407

HARLEQUIN

روايات أحلام

تعال نقطف النجوم

كارا كولتر

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

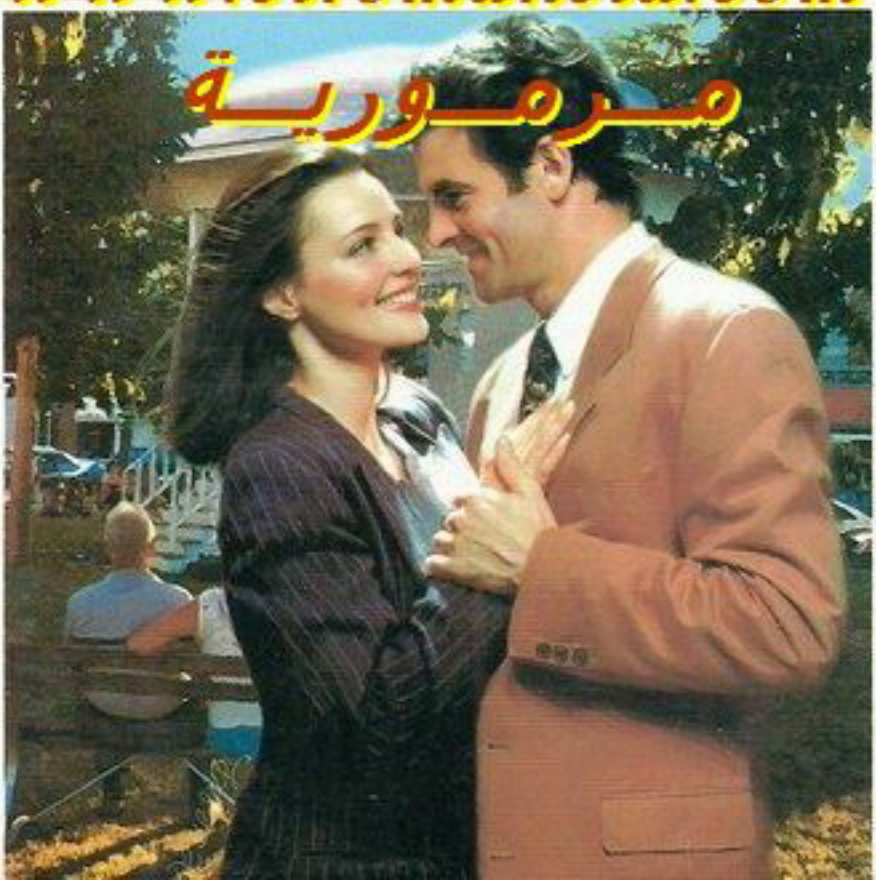

تعال نقطف النجوم

كان يسكن ريك تشايس إحساس بأنه سجين وعد قطعه لأخيه الميت؛
ورغم ذلك عاد وتورط في وعد آخر. واعاده هذا الوعد إلى حياة ليندا ستار.
كان مخطط ريك قبل أن يلتقي ليندا أن يعرض عليها وظيفة. وبهذا ينتهي واجبه تجاهها.. ولكنه بعد أن التقى بها. أدرك أنها من النساء اللواتي يجعلن حياة العزوبية التى يعيشها تبدو فارغة؛
لكن ماذا يستطيع أن يفعل بوعده؛
هذا الوعد يتطلب منه أكثر بكثير مما يتوقع ان يعطيه.
فهل سيكافؤه بأكثر مما يتخيل؛

لبنان	2500ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	75ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750-فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-375-9

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Books S.A

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Books S.A

العلامة التجارية Harlequin وشعار Joey هما ملك شركة Harlequin Books S.A
وهما مستعملان هنا بترخيص منها

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A Vow to Keep
First published in Great Britain 2006
Harlequin Mills & Boon Limited
© Cora Colter 2006
Translation © Dar El-Farasha - 2007
ISBN 978 - 9953 - 15 - 375 - 9

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

كارا كولتر

تعيش كارا كولتر وبطل حياتها الحقيقي، «روب»، في كولومبيا البريطانية. ويتشارك المنزل معهما قرهما «هانتر». تمتلك كارا وزوجها سبعة أحصنة، من بينها مهران: «وايتر» و«شنيتزل».

«زوجي روب متعهد بناء ويكره المنازل القديمة. كل ما توحي به بالنسبة إليه هو مجرد جدران غير مرتبة تحتاج إلى الترميم وذات مرة سأل ملك أحد المنازل التاريخية «روب» عما يظن أن منزله بحاجة اليه، فنظر إليه روب في عينيه وقال: «عود ثقاب». أما انا فرومنسية جداً وأعشق المنازل القديمة أعتقد بأنها تاريخنا وبأن جدرانها محملة بالأغنيات والروايات».

تمهيد

علا صوت الهاتف، وراح يرنّ بحدّة وإلحاح، ما جعل ريك تشايس يجفل مستيقظاً من نومه. سارع بإلقاء نظرة عَجلى على الساعة الموجودة على المنضدة قرب سريره، ليرى أرقامها الحمراء تومض في الظلام، مشيرة إلى الساعة الرابعة صباحاً.

فكّر ريك أن أي اتصال هاتفي في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل لا يمكن أن يحمل أي أخبار جيّدة. التقط سماعة الهاتف بيده، مدركاً أنّه كان يعدّ نفسه لتلقّي أسوأ الأنباء الممكنة، وآملاً في قرارة نفسه أن يكون المتصل شخصاً قد أخطأ في طلب الرقم الذي يريد.

- مرحباً!

- عمي ريك؟

أطار الصوت الذي سمعه آخر ذرّة باقية من آثار النعاس في عينيه، فانتصب جالساً في فراشه، دافعاً أغطية السرير بعيداً عن صدره العاري. أخذ يبحث بيد متعثّرة عن زرّ المصباح الموضوع على المنضدة بجانب السرير، كأنما الضوء الذي سيساعده على الرؤية، سيساعده أيضاً على السماع بشكل أفضل.

- بوبي!

- أنا آسفة جداً لأنني أيقظتك، لكنني أردت أن أتكلم معك قبل أن أتوجّه إلى الصف.

الصف! وفي الساعة الرابعة صباحاً؟ ما لبث ريك أن تذكّر أن ابنته بالمعمودية قد ابتدأت سنتها الجامعية الأولى في جامعة أونتاريو، التي تبعد ألفي ميل عن كالغاري، وتسبقها بالتوقيت بثلاث ساعات.

سألها: «هل أنتِ بخير؟»

- أجل، أنا بخير.

غير أن الارتعاش البادي في صوتها أنباه أنها قد لا تكون كذلك.

- ما الأمر بوبو؟

سألها ريك مستعملاً غريزياً اسم التحبّب الذي كان يناديها به وهي طفلة، مدركاً أن هذا الأمر سيجعلها تشعر بالأمان والاهتمام لكي تفضي بما في داخلها. غير أنه في الوقت نفسه بعث في داخله شعوراً بالندم، فاستخدام هذا الاسم أيقظ في داخله ذكرى الأيام الماضية، ذكرى بوبي وهي تلهو بدرّاجتها والهواء يشعث شعرها. مضت تلك الأيام ولن تعود. إنها ذكريات سعيدة لأيام هانئة لم يشبها الكدر والتعقيد.

أجابته بوبي بنبرة شاكية: «أنا قلقة جداً على أمي».

أحسّ ريك كأن يداً قد امتدّت لتعصر قلبه بين ضلوعه. أجاب متفاجئاً من الهدوء الذي ميّز صوته: «وماذا عن أمّك؟ ما بها ليندا؟».

- هل علمت أنها باعت منزلنا؟

شعر ريك بأنه يترنح قليلاً من الصدمة. ليندا باعت المنزل؟ باعته، ولم تتمّ عملية البيع من خلال شركتنا العقارية؟ من خلال شركتي وشركة زوجها المتوفي؟ إنها تملك عملياً نصف الشركة، ورغم هذا لم تستخدمها في عملية البيع تلك؟

أجاب ريك: «كلا، لم أعرف هذا من قبل».

- لقد باعته واشترت كوخاً يا عمي. كوخاً متهدّماً يكاد يسقط أرضاً، يقع في منطقة بوواتر. أرسلت لي صورته بالبريد الإلكتروني.

قالت بوبي ذلك مصدرة أنّة مكتومة دلّته على أن الطفلة التي يعرفها لا تزال هناك، مختبئة تحت ستار هذه الفتاة المتكلّفة، الجامعية، الرفيعة الثقافة.

بوبي فتاة مدلّلة، نشأت نشأة مترفة في رحاب منزل فخم تمتد مساحته حوالى السبعة آلاف قدم مربّع. إنه منزل ريفدايل الفخم الواقع على ضفاف نهر إلبو. لذا فإن ما يُعتبر كوخاً بنظر بوبي قد لا يكون كذلك في نظر غيرها من الناس.

لكن، على الرغم من ذلك، فإن منطقة بوواتر ليست بالمكان المناسب، وقد يكون العيش فيها صعباً. فما الذي دفع بليندا من بين كلّ الناس إلى شراء منزل في ذلك المكان؟

أكملت بوبي بصوت يحمل الكثير من الألم: «لقد انتقلت إلى العيش هناك. حتى إنها لم تترك لي الوقت لتوديع منزلنا القديم. لم تعطني الفرصة لكي أجمع بعض أشيائي الخاصة العزيزة. حتى السيارة باعتها أيضاً».

- المرسيدس؟

أخذ يفكر أن من المستحيل أن تكون ليندا تمرّ بظروف مادية صعبة تجبرها على هذا البيع، فالشركة هي في أحسن أوقاتها.

- آه! لا تزال تملك مرسيدس. لكن يجب أن تراها بعينيك كي تصدق ما أقوله.

أكملت بوبي متأوّهة بشكل دراما تيكي: «عمي ريك، حتى شعرها... قامت بقصّه قصيراً. أظنّ أن أمي بدأ تفقد صوابها».

شعر ريك بالاضطراب، وتساءل في قرارة نفسه عن مدى دقة هذا الوصف، وهذا الاحتمال. فليندا ستار قد تخطت تجربة صعبة وهي فقدان زوجها منذ ثلاثة عشر شهراً، والآن مع انتقال ابنتها إلى العيش في مكان آخر لمتابعة دراستها، هل يمكن أن تكون غير قادرة على التحمل وابتدأت بفقدان تمالكها لنفسها؟ كلا، لا يمكن أن يحصل هذا لامرأة مثل ليندا. لطالما كانت ليندا سيّدة راقية، رابطة الجأش، ومهذّبة في ردّات فعلها. حتى في خضّم أيّ فوضى، تجدها متمالكة لنفسها بتهذيب يكاد يكون ملكي الطبع، وكأن أيّ مكروه لا يمكن أن يمسّها من الداخل أو يحرك شعورها. كأنها صخرة صلبة تواجه تكسّر الأمواج عليها دون أن تهتزها. لكلّ هذه الأسباب مجتمعة كانت ليندا ستار آخر من يمكن أن يفقد رشده.

- ما الذي تريدين مني أن أفعله بالضبط، يا بوبي؟

أجابته بوبي بفقدان صبر أنثويّ: «اذهب واطمئن عليها».

وكأنما يجدر به أن يعرف الإجابة دون أن يسأل.

www.elromancia.com

أجابها: «حسناً! سوف أذهب لكي أطمئنّ عليها قبل أن أتوجّه إلى عملي».

من التنهيدة الثقيلة التي سمعها عبر الهاتف، أدرك ريك أن الفتاة توقعت أكثر من ذلك منه.

– عليك أن تطلب منها أن تعود إلى العمل ثانية. فهي قد أصبحت ثائرة وغريبة في تصرّفاتها.

أحسّ ريك بنبرة التوبيخ التي تشوب صوت بوبي، وأدرك أنه يستحق بعضاً من ذلك التوبيخ.

– حاولت التكلّم إلى والدتك يا بوبي من قبل، لكنّها ترفض التكلّم معي.

تابع في سرّه: فكيف بالأحرى أن تعمل معي! بالإضافة إلى ذلك مرّ أكثر من خمسة عشر عاماً منذ أن عملت ليندا أو شاركت بشكل فعليّ في أعمال الشركة.

– أرجوك عمي، لا تتذاكى عليّ. بإمكانك أن تقنع أيّاً كان بأي شيء. بإمكانك أن تبيع سمّ الأفاعي إلى المزارع الذي يربيها، وتريد أن تقنعني بأنه لا يمكنك أن تُقنع أمي بأن تعود إلى حياتها السابقة؟

أراد ريك أن يخفّف من ضغط الأمور عليه فمازحها قائلاً: «وهل هنالك فعلاً مزارعون يربون الأفاعي؟».

غير أنّ بوبي لم تكن بمزاج قابل للمزاح، ولم ترِد أن تضيّع الموضوع، فأكملت: «لقد هجرتها وتخلّيت عنها أنت بعد أن توفي بابا، كما تخلّى عنها جميع من تعرفهم».

أراد ريك أن يدافع عن نفسه ويجيب الفتاة بأن ليندا هي من أرادت أن تترك بمفردها، غير أنه شعر فجأة أن موقفه ودفاعه ضعيفين.

– لقد وقفت هي إلى جانبك في محنتك. لقد ساندتك ودعمتك أثناء عملية طلاقك من كاثي منذ سبع سنوات.

– أجل.

ذكرى جميلة وعاطفية أخرى عادت إلى ذهنه، تماثل برقّتها ذكرى بوبي على درّاجتها. إنها ذكرى أمّها ليندا وهي تحضن بيديها الرقيقتين الدافئتين يديه،

مطمئنة إيّاه بقولها: «سوف تتحسن الأمور معك يا ريك، قد لا تشعر بذلك اليوم. لكن ذلك سيحصل يوماً ما».

كانت مُصيبة في كلّ ما قالته. فبعد أن تخطّى ريك آلام الانفصال وإذلال الفشل، أدرك أن هذا الطلاق حرّره من قيوده ليعود قادراً على القيام بكلّ ما يريد فعله.

أوّل أمرٍ قام به كان شراء درّاجة نارية، ومع تفتح شهيته إلى المغامرات التي يستطيع القيام بها منفرداً، ابتدأ بحياة السفر والرحلات. لم تكن رحلاته تلك الرحلات الفاخرة إلى المنتجعات الفخمة التي كانت تستهوي زوجته السابقة، بل تلك الرحلات التي يستكشف من خلالها العالم على حقيقته، ذلك العالم الغني بالتناقضات والثقافات إلى درجة جعلته يتساءل عن مدى قدرته على اختبار ورؤية كلّ ما يريد من أمور. إلا أن ريك أدرك أن هذا الاكتفاء الداخلي الذي يشعر به من خلال هذه الحياة، بالإضافة إلى تجربة طلاقه المريرة، كلّ هذا جعل روحه تعيش في عزلة. وربما أصبح عنده أيضاً، وخلال هذه السنوات السبع، نزعة أنانية حوّلته إلى رجلٍ متطلّب، رجل يركّز تفكيره على ذاته.

أيّ عذر آخر باستطاعته أن يجده لنفسه ليبرّر تخلّيه عن صديقٍ في محنة؟ رغم أن علاقته بليندا، تبدو له عندما يفكّر بها، أكثر تعقيداً من أيّ صداقة عادية.

قال ريك بهدوء معتذراً من ابنة ليندا: «أنا آسف».

– كانت حياتها كلها تدور حولي، والآن أنا أيضاً رحلت وتركتها. إنّ أمي بحاجة إلى إيجاد هدف في حياتها، يا عمّي ريك. أرجوك! عدني بأن تجده لها، وتجد لها عملاً ما لتقوم به في شركة ستار تشايرز.

قالت بوبي ذلك رامية الكرة في ملعبه، تاركة إيّاه في حيره من أمره. ما الذي يعرفه هو عن كيفية مواساة امرأة مجروحة الكرامة ومحطّمة القلب؟ من جهة أخرى يعرف ريك كلّ شيء عن أهمية الوعود والعهود. وهو لا يريد أن يجد نفسه ثانية مسؤولاً عن سعادة أي إنسان آخر.

– كلّ ما تحتاجه هو أن تعود ثانية إلى الاحتكاك بالآخرين.

قالت بوبي ذلك بنبرة مليئة بتلك الثقة التي يتمتع بها الشباب التي تجعلهم

يظنون أنهم يعرفون كلّ شيء. أكملت تقول: «كلّ ما تحتاجه أمي هو أن تجد شيئاً تقوم به ليشغلها. إنها تحب المنازل القديمة، ولا تزال تحتفظ ببعض الصور لتلك البيوت الأولى التي قمتم، أنت وهي وبابا، بترميمها في بداية أعمالكم. لذلك باستطاعتنا أن نلعب على هذا الوتر ونحوّل تلك الطاقة إلى الطريق الصحيح، قبل أن تقوم هي ببيع أيّ شيء بعد».

أجابها ريك بنبرة حذرة: «لكنني لا أستطيع إقناع أمك بأن تقوم بأيّ عملٍ لا تريد أن تقوم به يا بوبي».

– فقط، عدني أنك ستقوم بالمحاولة.

لم يعرف ريك ما الذي جعله شديد التأثر، أهو النعاس الذي يشعر به في هذه الساعة المبكرة من الصباح، أم ذلك التوسل الذي يشوب صوتها الشاب الحنون. أجابها: «حسناً! أنا أعدك بأن أحاول».

– شكراً لك يا عمي ريك.

قالت بوبي ذلك ونبرة صوتها مضمّخة بالأمل به، وكأنها تعتقد حقاً بأنه قادر فعلاً على إصلاح شيء قد تحطم بتلك القوة. غير أنّه ما لبث أن ندم على ذلك الوعد، لأنه يعرف تمام المعرفة أنه يجب عليه ألاّ يتدخل في أمرٍ كهذا. أي اقتراب لمساعدة أيّ شخص جريح الفؤاد، هو أشبه بشخص يخطو إلى داخل أماكن محرّمة وأرض مقدّسة.

لكن، كلّ ما كان بإمكانه أن يفعله هو أن يعرض الوظيفة والعمل على ليندا، ولابدّ أنها سترفض، وبذلك يكون قد قام بواجبه وألقى عن كاهله ذلك العبء.

غير أنّه أدرك أن المطلوب منه، والوعد الذي قطعه، يتطلب منه جهداً أكبر من ذلك. هذه هي المشكلة مع الوعود والعهود، فهي دائماً تتطلّب من المرء جهداً كبيراً وعطاءً أكثر مما هو مستعد لبذله.

غباء منه أن يتورّط في هذا الأمر! فكّر ريك في قرارة نفسه وهو يحدّق في الهاتف الذي أغلقه منذ لحظة. لكن، ماذا إذا كانت ليندا تحتاج حقاً إلى مساعدته؟ إنها لن تطلب منه المساعدة أبداً، فهي بالإضافة إلى كبريائها وعزّة

نفسها، غاضبةً جداً منه. ذكّر نفسه بأنه يستحق غضبها، فيما راح يفرك عينيه ليطرد آخر ذرّات النعاس منهما. فإخفاء أسرار زوجها بلير عنها يستحق منها كلّ ذلك الغضب. ولا يزال هنالك سرّ أخير مخفيّ معه.

ما الذي جلبته على نفسي؟ فكّر ريك فيما كان ينهض من سريره، ويتوجه إلى المطبخ، ليسكب كوباً من الحليب. الشيء الوحيد الذي يدركه هو أنّه لن يذهب ليواجه ليندا ستار دون أن يكون في جعبته خطة محكمة.

www.elromancia.com

١ - نجمة الصباح

في بداية الأمر، ظنّت أنّه لم يكن هناك.

استلقت ليندا ستار بين أعشاب أيلول الذهبية الطويلة، ضابطة منظارها على منطقة الأعشاب المائية الكثيرة القصب، المتاخمة لحدود سور حديقتها الخلفية. بدت الأرض فضّية متلألئة بجليد الصباح، غير أن ليندا بالكاد شعرت بالبرد وهو يخترق بيجامتها. كان ضوء الفجر الرماديّ الخفيف يشقّ الظلمة محوّلاً سطح مياه النهر إلى استعراضٍ ضوئيّ متوهج. على الضفّة المقابلة للنهر، بدأ قلب مدينة كالغاري يضّج بالحياة. راحت أضواء المصابيح العالية تلمع كعقود من لآلىء، ملتقية مع أشعة نور الصباح الذي انعكست أضواؤه بقوّة فوق مياه نهر إلبو التي انسابت بهدوء.

مجرّد رؤيتها له في هذا المكان، في قلب المدينة تقريباً، كان أمراً لا يصدّق. إنّه هدية مميزّة! أدركت ليندا أن هذا المشهد لن يتكرّر ثانية في حياتها.

بدأت تشعر بالبرد، كما بدأت تلاحظ ازدياد الضجيج. أخذت الحياة تدب في الجهة المقابلة من الطريق، بنما الهدوء يلفّ المكان الذي كانت تستلقي فيه وهي ترتجف من البرد. كانت ليندا قد أدارت آلة تحضير القهوة، قبل خروجها إلى الحديقة. انسابت رائحة القهوة الزكيّة من بابها الخلفي المشرّع، تدعوها إلى دفء منزلها الصغير الذي لم تمضِ فيه بعد سوى ثلاث ليالٍ.

رفعت جسمها على ركبتيها، وتأوّهت حين شعرت بالألم من تصلبهما. غير أنها ما لبثت أن جمدت في مكانها حين رأته... ذلك الشكل الذي بدا أمامها كشبحٍ في البداية، أخذ يتحوّل إلى شكلٍ أكثر صلابة كلمّا أصبح الضوء أكثر وضوحاً فوق النهر. انحبست أنفاسها في حنجرتها وهي تشاهد السحر الماثل

أمامها، فيما حوّل ضوء الفجر ابيضاض الريش إلى لون البلاتين الأخّاذ.

إنه طائر الكركي الناعق!

قرأت ليندا الكثير عنه بعد مشاهدتها له في اليوم السابق.

إنّه واحد من أكثر الطيور ندرةً في أميركا الشماليّة، ومن أكثرها طولاً، فانبساط جناحيه يبلغ السبع أقدام ونصف القدم. قلّة من الناس يحظون برؤية طائر كهذا طيلة حياتهم، أما هي فلقد نبّهها إحساس داخليّ غريب، بأن هذا الأمر هو إشارة إلى أنها قد اتخذت القرار الصائب عندما قامت بشراء هذا المنزل الصغير القابع خلفها.

ازداد الألم في ركبتيها، فعدّلت من جلستها بهدوء وحذر شديدين، إلا أنّ حركتها البسيطة كانت كافية ليستدير الطائر فجأة إليها، مالئاً عدسات منظارها باحمرار وجهه الساطع، فيما بدا اللون الأصفر في عينيه مليئاً بالتحدّي.

- كير - لو كير - لو!

ارتفع صوت الكركيّ شبيهاً بصوت البوق، فيما بسط جناحيه حتى أصبحت قادرة أن ترى جهتهما السفلية الموشّاة بالسواد، والشاهدة على روعة هذا الطائر النادر. رفع الطائر جناحيه، ثم ارتفع بكلّ قوّة ومهابة إلى سماء الصباح التي استحالت زرقاء باهرة إلى درجة آلمت عيني ليندا. كان باستطاعتها سماع صوت جناحيه وهو يرتفع ناشداً الحرية في السماء. راحت ليندا تراقبه شاعرة كأنه يرسم خط مسار نجمة الصباح.

شعور غريب في داخلها اجتاحها للمرة الثانية. من أين جاءها ذلك الشعور؟ لطالما اعتبرت نفسها إنسانة واقعية. كلا، لم تكن كذلك. ذكّرت ليندا نفسها، بأن أيّ امرأة منطقية لم تكن لتشتري ذلك المنزل الصغير المتهدم الذي تقف أمامه الآن! أبقت منظارها مثبتاً على عينيها، مركّزة على الطائر حتى بعد أن تحوّل إلى بقعة صغيرة في السماء، وفي تلك اللحظة أدركت المعجزة التي حصلت لها. تسلّلت السعادة إلى قلبها كما يتسلل الضوء إلى ظلام الليل ليمحو عتمته.

استمتعت ليندا قليلاً بشعور السعادة الذي تملكها هذا، ساعة له بأن يجرفها

معه للحظات. منذ ثلاثة عشر شهراً فقط، انقلب عالمها رأساً على عقب، فتناثر قطعاً صغيرة، كأنما إعصاراً قد اقتلعه ثم رماه أرضاً. عادت إليها ذكرى ذلك اليوم الأسود المشؤوم الذي ظنت أنها من بعده لن تعرف السعادة مطلقاً. والأهم والاخطر من ذلك، أنها ظنّت أن الأمل بالحياة لن يعود إليها، وأنها لن تعرفه ثانية. انتابها ذلك الشعور الغريب ثانية، فلقد جدّدت رؤيتها لذلك الطائر النادر أملها بالحياة، حياةٍ تحمل في طيّاتها مفاجآت صغيرة فرحة، حيث يستطيع ملمس العشب البارد أن يدغدغ بشرتها بإحساس بسيط يحمل معنى الحياة كلّها.

لم تكن ليندا قد انتهت من تصوّر تلك الفكرة عندما شعرت بالشعيرات الصغيرة في مؤخرة عنقها تنتصب، فأدركت، حتى قبل أن تسمع تلك النحنحة الخفيفة خلفها، أنها لم تعد وحيدة في فنائها الخارجي. آه، حسناً! أنبّت ليندا نفسها، هذا درسٌ لك ولإيمانك بالسعادة. شعرت أن تفكيرها بعودة الأمل والسعادة إلى حياتها مجدداً هو أشبه بتحد للإرادة الإلهية التي حرمتها من السعادة. لابدّ أن هذا الدخيل هو قاتل ما. هذا بالضبط ما حذّرتها منه ابنتها عندما اصرت ليندا على قرارها بشراء هذا المنزل الصغير المتاخم لمحميّة الطيور. يقع منزلها في حي قديم جداً، مليء بالمنازل المتداعية تماماً كمنزلها. تلك المنازل تم ترميمها بشكل جميل محبّب أو أضيفت إليها غرف جديدة بشكل عشوائي.

- «أمي، كيف تفكرين بالعيش هناك؟ سوف يقتلونك وأنت نائمة...»

هذا ما قالته لها ابنتها بوبي. بالطبع، لم تكن الجثث مبعثرة على طرقات هذا الحي الهادىء الذي هو أحد أقدم أحياء كالغاري، غير أن رؤية جيرانها الشبان المثيرين للارتياب، بأجسامهم المغطاة بالأوشام وشعرهم الطويل وكلابهم الشرسة، هذا كله جعلها تقف للحظة وتعاود التفكير ببعض القلق.

حسناً! فكّرت ليندا، وهي تشعر ببعض الرضا، قد تكون ابنتها مصيبة في ما يتعلق بدخول المجرم إلى منزلها، إلا أنها على الأقل، ليست نائمة، على الرغم من ارتدائها ملابس النوم! راح قلبها يقرع كالطبول داخل صدرها، فيما احسّت بإحراج سخيف بسبب ارتدائها لبيجاما قطنية زهرية اللوّن ملبنة برسوم

شخصيات أفلام الكرتون. نهضت ليندا ووقفت وهي تمدّد جسدها، آملة أن توحي حركاتها بعدم الاهتمام واللامبالاة، فهي متأكدة أن أيّ مجرم يمتلك القدرة على معرفة الخوف في الشخص. استدارت بعدئذٍ لتواجه مصيرها المحتوم.

توقف قلبها عن الخفقان!

فكّرت ليندا أن التعامل مع أيّ مجرم سيكون أسهل من هذا. أدركت في تلك اللحظة أن بيجامتها المبللّة من الجليد المنتشر على الأرض، تظهر معالم جسدها. كما أحسّت، قلقة، أن جسمها راح يرتجف بشكل لا إرادي بسبب! البرد، لا بسبب تأثير الرجل الماثل أمام عينيها. على الأقل، هذا ما أملته! شبكت ذراعيها فوق جسدها، قبل أن يلاحظها الرجل وتراوده أيّة أفكار خاطئة. أكان من الضروري أن يراها بهذا الشكل؟

البيجاما التي كانت ترتديها، تنطق بتصريح واضح عن شخصيّتها الجديدة، المرأة اللامبالية بآراء الآخرين، المرأة الحرّة المنطلقة. كانت قد تناولتها من دون تفكير عن أحد الرفوف، إلا أنها الآن تشعر بنفسها سخيفة وضعيفة جداً.

- ريك!

نادته ليندا، آملة أن تتمكن من تحميل تلك الكلمة أكبر كمية ممكنة من برودة جليد الحديقة. من الإجفال الذي أصابه، أدركت أنها أصابت الهدف المنشود. تساءلت في داخلها عن سبب عدم شعورها بالرضا الذي يبعثه النجاح في تحقيق هدفها!

ريك تشايس هو عبارة عن ستة أقدام من الرجولة المطلقة. فهو طويل القامة، عريض الكتفين، بذلته الرائعة الخالية من أي عيب، والتي هي من تصميم أرماني على الأرجح، ساهمت في إبراز معالم جسده القوية المصقولة. إنه مذهل! هذا ما فكّرت به ليندا. إنه رجل في الأربعين من عمره، ويبدو في عزّ صحته وأقصى لحظات مجده. بدت ملامحه جذابة، خالية من أي شوائب. يزيد من جاذبيته غمّازة طفيفة في ذقنه، وعيناه رائعتان بلونهما الأخضر الداكن، الذي يشبه لون المياه الراكدة وصفائها. كان يرتدي ثياب العمل، وهي عبارة

عن بذلة رمادية غامقة اللون، وقميص بيضاء منشاة، وربطة عنق حريرية معقودة بشكل أنيق جداً.

ريك تشايس يمثل ذلك الصنف من الرجال الذي لا ترغب المرأة برؤيته إلا وهي في أبهى حلّة، وعندما تكون بكامل زينتها. ذكّرت ليندا نفسها بأنها كانت تشعر بالسعادة لأنها لم تضع أية زينة على وجهها منذ ما يزيد عن الشهر... كانت سعيدة ومكتفية بشخصيتها الجديدة... آه! إنك تستطيع دائماً أن تعتمد على الرجال وعلى قدرتهم على تحطيم السعادة، حتى من دون أن يضطروا إلى بذل أي جهد للقيام بذلك.

لاحظت ليندا رغم أناقته الكاملة، وإطلالته التي تليق بعارضي الأزياء الذين تظهر صورهم على أغلفة المجلات، أن شعره البني الغامق الذي يشبه لون كعكة الشوكولا مشعّث قليلاً، وهو لا يزال رطباً من حمّام الصباح. استيقظت في داخلها ثورة داخلية صغيرة، وعاودتها شقاوة طفولية ورغبة بأن تعبث بذلك الشعر الشبيه بذيل الديك وأن تمسّده بأناملها. انتبهت أن هنالك بعض الشعيرات الرمادية التي بدأت تشوب ذلك اللون البني الكثيف. تساءلت متعجبةً، كيف تمكن على الرغم من هذه الجاذبية، أن يبقى طيلة هذه الفترة من دون زواج أو ارتباط؟ مضت مدة طويلة تزيد على السبع سنوات على طلاقه. لم تنسَ ليندا يوماً مدى جاذبيته ووسامته، إلاّ أنها كانت ترفض مجرّد التفكير فيه وبأي شيء يتعلق به. لم تكن مشاعرها المرهفة تحتاج إلى أيّ تعقيد إضافيّ جديد، كهذا الذي تجسّد أمامها الآن في باحة حديقتها الخلفية. على الرغم من الرسائل الكثيرة المتعاقبة التي كان يتركها على مجيبها الصوتي طوال الثلاثة عشر شهراً الماضية، كانت ليندا ترفض حتى استحضار صورته إلى خيالها. أدركت أن الأمر سيؤلمها جداً، وسيجعلها تشعر بالوحدة والمرارة التي لا تشعر بها إلا المرأة التي تعرضت للخداع والخيانة.

جاءت تلك الخيانة من زوجها، الذي مرّ حتى الآن ثلاثة عشر شهراً على وفاته، ومن هذا الرجل الماثل أمامها، الذي كان صديق زوجها المقرّب وشريكه في أعماله التجارية. الرجل الذي يعرف كلّ أسرار زوجها، ولم يقم

ولو لمرّة واحدة... لا تعودي إلى التفكير بهذا الأمر! قالت ليندا ذلك لنفسها.

- ليندا!

وقفا ساكنين يحدّقان ببعضهما البعض، فيما كان ضوء الصباح يقوى وينشر أشعته حولهما. في الجهة المقابلة من ضفة النهر علت أصوات أبواق السيارات، وعلا صوت صرير عجلاتها.

بدا لها كأن الزمن قد توقف في هذه اللحظة. قال ريك أخيراً كاسراً جدار الصمت: «تبدين كأنك تتجمدين من هذا البرد الشديد».

قاومت ليندا الرغبة بأن تخفض نظرها لكي تنظر إلى جسمها، وتتأكد أن ارتجافها هو ما أوحى له بهذه الفكرة. سألته من دون أية لباقة: «ما الذي تفعله هنا؟»

- اتصلت بكِ هذا الصباح، لم تجيبي على اتصالي، فقرّرت أن أمّر بك.

قرّرت أن أمرّ بكِ! قال ريك ذلك وكأن بيتها يقع على الطريق الذي اعتاد سلوكه إلى عمله، أو كأنها هي أصلاً قد أبلغته بعنوانها الجديد، وهو أمر لم تفعله. إنها امرأة عاشت كلّ معاني الإذلال والألم والقهر لمعرفتها أن أقرب الناس إليها قد خدعها. بسبب ذلك تشعر ليندا الآن أنها قادرة على اشتمام رائحة الكذب ولو عن بعد خمس مئة ياردة.

- وما سبب هذا الاهتمام المفاجئ يا ريك؟

عند سماع عبارتها بدت في عينيه برودة كبيرة جعلتها ترتجف من داخلها أكثر مما جعلتها ببجامتها المبللة بالجليد. معرفتها بريك تعود إلى أكثر من عشرين عاماً، وتساءلت ليندا في سرّها إن كانت قد رأته يوماً غاضباً على هذا النحو. أدركت متفاجئة من ذاتها أن ريك يملك أكثر من ناحية قوية ومثيرة للاهتمام في شخصيته، وأحست بضعف كبير بداخلها تجاهه...

- لا تقولي أبداً إنني لم أظهر أيّ اهتمام!

قالها بقوّة واضحة ثم تابع يقول: «أنتِ من رفضتِ اهتمامي، ولم تجيبي على اتصالاتي الهاتفية. وإذا كنت قد احترمت رغبتك وإرادتك، فهذا لا يعني أبداً أنني لم أكن أفكّر بكِ».

أجابته بنبرة تعمدت أن تكون مقتضبة: «أشكرك إذاً على هذا الاهتمام. والآن، ما الذي دعاك إلى وقف احترامك لحاجتي إلى البقاء بمفردي؟»

نظر إليها ملياً، فيما مرّر يده على شعره الرطب، ما أيقظ في داخلها شعور الشقاوة مجدداً. بدت بوضوح رغبته في أن يقطع المسافة بينهما، لكي يمسكها من كتفيها، ويخضّها بقوة كي تصحوَ من حالتها. إلا أنّه أخمد هذه الرغبة المشتعلة في عينيه، وأجابها بهدوء شديد: «أريد أن أطلب مساعدتك، فأنا أحتاج إليكِ في أمرٍ ما».

هدأت أحاسيسها قليلاً، وتجاهلت رغبتها في العبث بشعره، ثم أجابته: «هل جئت لكي تطلب من امرأة تقف في حديقتها، مرتدية بيجامتها في الفجر الباكر أن تقوم بمساعدتك في أمرٍ ما؟ ألا ترى معي أنه يجب عليك التفكير ملياً بهذا الأمر قبل أن تطلب الخدمة؟».

قالت له هذا بنبرة مليئة بالسخرية الناعمة، إلا أنه اختار ألا يحسّ بالإهانة جراء كلماتها هذه. على العكس من ذلك ابتسم لها ريك ابتسامة عريضة. آه كم تمنت لو أنه لم يفعل ذلك! ففي تلك اللحظة بدا خط فكه جذاباً وساحراً، بل أكثر قوة وجاذبية ممّا هو عليه. إن ابتسامة كابتسامته هذه، متهورة، جذابة مليئة بالسحر، قادرة على أن تبني جسراً بينهما وتعبر بهما فوق ذكرى الماضي المؤلم رادمة هوّة الخلاف إلى الأبد...

- سوف أغامر معكِ وأرى فرصتي. لا أحد يمكنه أن يتكهن متى يحتاج إلى مهارات امرأة بارعة باستخدام المنظار.

نظرت ليندا لا شعورياً إلى منظارها الذي علقته حول عنقها.

- حسناً! ما الذي كنت تفعلينه هنا؟ أكنتِ تتجسسين على الجيران؟

- باستطاعتك أن تقول هذا.

أجابته بذلك مقاومة الرغبة في داخلها لكي تقوم بشرح ما كانت تقوم به له. ولّت تلك المرحلة التي كانت تقوم فيها بتبرير نفسها وأفعالها. إنها تملك الحرية لتفعل ما تشاء، وتراقب الطيور في الفجر إذا ما أرادت، من دون أن تضطر إلى

تبرير فعلتها إلى أيّ كان. لقد أصبحت ليندا ستار الجديدة ذات الشخصية المتحررة.

فجأة قال لها بصوت رقيق ناعم: «أنت ترتجفين من البرد».

أهي الشفقة التي يحسّها؟ إن ليندا ستار الجديدة ترفض أي شعورٍ بالشفقة من قبله، بل تشعر أنه يهينها إذا ما كان يفكر بهذا الشكل. غير أن نبرة صوته الرقيقة لمست في داخلها ذلك المكان المميز الذي لم تكن تريد أن يلمسه أحد. ذلك المكان الذي كان يصرخ بها في ظلمة الليل عندما تفشل في عدم الإصغاء إليه: أريد من يحبني ويهتم لأمري!

قالت لليندا تدعوه بخفة: «القهوة محضّرة داخل المنزل. بإمكاننا الدخول لشرب القهوة، وهناك تخبرني بما تريده مني».

من دون أن تعرف ما هو الأمر الذي جاء به، أدركت أن جوابها سيكون الرفض لأي شيء قد يطلبه، لأن ريك ببساطة هو جزء من عالم تعمل جاهدة لكي تتركه وراءها وتنساه، من جهة اخرى جعلها ريك تدرك أنها في الوقت الذي ظنت فيه أنها أصبحت امرأة مستقلة معتمدة على ذاتها، كانت على الأرجح تبدو له كامرأة فقدت صوابها وهي تثير الشفقة. سوف تقول «لا» فقط لكي تتمرن على لفظ هذه الكلمة على شفتيها. سوف تقولها انتقاماً لكلّ الأوقات التي أرادت فيها أن ترفض بعض الأشياء ولم يكن باستطاعتها القيام بذلك.

تبع ريك تشايس ليندا فيما اتجهت هي إلى داخل منزلها، وهو يفكر أن بوبي لم تكن لديها فكرة عن صعوبة الأمر الذي طلبته منه. استطاع أن يعرف من خلال الغضب والكبرياء البادين على وجه ليندا عندما مرّت بقربه، أن جوابها سوف يكون الرفض مهما كان طلبه.

حسناً! هذا الرفض سوف يهوّن الأمور عليه ويجعلها أبسط. أليس كذلك؟ كلّ ما يمكنه القيام به هو المحاولة، وها قد فعل. حتى بوبي لا يمكنها أن تتوقع منه أكثر من ذلك.

لقد فاجأته ليندا بشكل كبير، وأخذته على حين غرّة. بدت مذهلة، وهي

تقف في العراء، مرتدية بيجامتها الزهرية وهي ترتجف من البرد. بدت مختلفة عمّا يعهده منها فشعرها الذي أصبح قصيراً بلونه البني الفاتح، والذي لم يكن مسترحاً، بدا مبعثراً حول معالم وجهها الجميلة، الأنيقة والمليئة بالتحدي.

في آخر مرّة رآها كانت لا تزال متشحة بالسواد. حتى شعرها كان أسود اللون، مرفوعاً فوق مؤخرة عنقها بطريقة راقية. يومها بدت أنيقة، باردة، وغير قادرة على المسامحة أبداً.

- هل كنت تعلم؟

سألته يومها، وعيناها مليئتين بالألم والدموع، متوسلة إياه أن يجيبها بلا، لم أكن أعلم!

غير أنّه لم يقدر على قول ذلك. ومن خلال صمته، عرفت ليندا الحقيقة المؤلمة وحدها. إن إحساسه العميق بالذنب والخجل، لكونه كان كاتم السر أو الأسرار، التي لا يزال أحدها مجهولاً من ليندا، منعه من أن يقف إلى جانبها ويساندها. قام بعد ذلك ببعض المبادرات، فاتصل بها، وترك لها عدداً من الرسائل الصوتية، لكنها لم تقم بالرد على هذه الاتصالات، لذا لم يتابع الأمر ولم يصّر عليه، وجعله ذلك يشعر بالارتياح. غير أنّ التغيير الذي رآه ريك اليوم لم يقتصر على المظهر الخارجي فقط لليندا. لطالما كانت تبدو ضعيفة هشّة، أمّا اليوم فالقوّة تظهر على ملامحها. في السابق كانت تبدو منعزلة وغير مهتمة، أما الآن فهي تبدو متأقلمة تماماً مع نمط حياتها. في السابق كانت تبدو متحكمة بنفسها، مسيطرة على كلّ انفعالاتها أما الآن فهي تبدو... شغوفة مليئة بالحماس، أم أن هذا الوصف قوي جداً عليها؟ من هي ليندا الجديدة هذه؟

تذكر ريك محادثته مع بوبي في الليلة السابقة وكيف أنهتها بقولها: «لم يكن عليّ الموافقة على الذهاب إلى الجامعة هذه السنة. كان يجب أن أبقى في المنزل. هل تعتقد يا عمي أنّه يجب عليّ أن أعود إلى البيت؟»

بالطبع، يجب عليها أن تعود إلى المنزل، فكّر ريك بذلك في قرارة نفسه. فهو بالتأكيد لا يريد أن يكون المسؤول عن عملية إنقاذ ليندا ستار، لاسيّما بعد أن بدا له جلياً أنّها لا تريد هذا الإنقاذ، وسوف تستاء جداً من مجرّد التلميح إلى هذه

الفكرة.

تذكر قول بوبي فيما الحزن والاستياء يملأن صوتها: «وكأنني أملك منزلاً كي أعود إليه... ! حاجياتي وأغراضي أصبحت مكدّسة في الصناديق».

مجرّد ذكر هذا الموضوع، بدا له في الليلة الماضية، دليلاً على أن هنالك خطباً ما، أما الآن، وهو يقف ناظراً في بهاء ضوء الصباح إلى ظهر ليندا وكتفيها اللتين توحيان بالكبرياء، أدرك ريك في داخله أنه لم يرَ في حياته كلّها امرأة أقلّ منها حاجة إلى المساعدة والإنقاذ.

تساءل ريك في داخله، أتراه وجد في تلك الحجّة الواهية، بأن حاجيات بوبي مكدّسة في صناديق، عذراً كي يأتي ويلعب دور المنقذ الصالح، عارضاً المساعدة فقط لكي يراها في حالتها هذه؟

قام ببعض الحسابات فأدرك أن ليندا ذات الثمانية والثلاثين عاماً، كانت تبدو أكبر من سنّها بعشر سنوات في جنازة زوجها، أمّا الآن فهي تبدو أصغر من سنّها بعشر سنوات. بدت له ليندا امرأة واثقة من نفسها، متحدّية العالم من حولها، وفي أشدّ حالات الغضب لأنه وجدها في وضع تبدو فيه ضعيفة. إلا أنها بدت جميلة جداً إلى درجةٍ تهدّد بتدمير الحائط الذي شيده حول قلبه وحياته منذ مدّة طويلة. فكّر ريك أن الغرض من زيارته يبدو منتهياً قبل أن يبدأ، فكلّ ما عليه فعله هو تقديم العرض لها، وهي لابدّ أن ترفضه. عندئذٍ يستطيع إبلاغ بوبي أنّ أمّها على ما يرام.

في الواقع، إنها أكثر من ذلك، فهي تتّقد بشعلة الحياة بشكل لم يرها فيه من قبل. أو على الأقل لم يرها فيه منذ سنواتٍ طويلة.

سارت ليندا حافية القدمين، على العشب الفضيّ تاركة آثار أقدام صغيرة، وعبرت باب بينها الخلفي متوجهة نحو الداخل. تبع ريك آثار قدميها التي قادته مباشرةً إلى المطبخ. أخذ يتفحص المنزل بفضول. راح ينظر متسائلاً، هل هذا منزل امرأة تعيش حياتها بشكل جيّد، أم منزل امرأة تتحطّم من داخلها بشكل خفيّ؟

يشكّل المظهر الخارجيّ لمنزلها صدمة لمن ينظر إليه، ولابدّ أنّ هذا المنظر هو

ما جعل بوبي تظنّ السوء بوضع أمها والمنزل. على الرغم من أن الكثير من المنازل التي تقع في منطقة بوواتر كانت تخضع لعمليات ترميم وإعادة تأهيل مكلفة، نظراً لقربها النسبي من وسط المدينة، إلاّ أن منزل ليندا لم يكن من هذه البيوت.

تقييم المنازل هو اختصاص ريك، وهذا المنزل لا يتمتع بالمؤهلات بنظره. فهو عبارة عن منزل صغير مؤلف من طابق واحد، سقفه الخشبي ضائع في النباتات المتعرشة التي غطته منذ وقت طويل. بدا له الفرق شاسعاً جداً بين هذا الكوخ والمنزل الفخم المستكين على أحدى ضفاف نهر إلبو، والذي باعته ليندا.

بالرغم من كلّ شيء، كان جو المنزل يعبق برائحة القهوة الزكية ورائحة بهارات مختلفة لم يقدر ريك على تحديد نوعها. بالطبع يحتاج المنزل إلى الكثير من العمل لكي يصبح جيداً، إلا أنّه يتمتع بسحر خاص لا يقاوم. ذلك السحر الذي تمتاز به الأكواخ الجميلة، كما أنّه يناسب جداً، ليندا الجديدة ذات الشعر القصير المشعّث والبيجاما الزهرية الطريفة.

أشارت له إلى كرسي ليجلس عليه، وسكبت القهوة في فنجان كبير. وضعت ليندا الفنجان أمامه بقوّة فيما تركت الغرفة بحركة واحدة، تاركة إياه ليستكشف المكان بحرية باحثاً عن علامات الجنون. تساءل ريك في داخله إذا كان جميع ما يفعله هو من أجل بوبي فقط، لكنّه أدرك أنّه يخدع نفسه بهذا العذر.

بدا جلياً أنها انتقلت حديثاً إلى البيت. فالصناديق مازالت مكدّسة بترتيب ظاهر، وعليها ملصقات تحمل كلمة مطبخ للدلالة على المحتويات، وكلّها تنتظر من يفرغها. بدا أن المشمع الذي يغطي الأرضية يحتاج إلى تغيير، كذلك خزائن المطبخ والمجلى والأدوات المختلفة. كان ريك متأكداً أن هذا الاهمال الواضح في المطبخ يمتدّ إلى مختلف أنحاء المنزل. إلا أن بالإمكان إصلاحه ليبدو جيداً. يعود السبب في هذا إلى الأرضيّة المصنوعة من الخشب الجيّد القوي، التي تختفي تحت مشمّع الأرضيّة الذي كان مهترئاً بشكل كبير. كذلك كانت إطارات النوافذ، والسقف الخشبي المرتفع الذي يطغى عليها اللون الذهبيّ المائل إلى الاخضرار، والناتج عن قدمها. هذا اللون الذي لا يظهر إلاّ في الخشب القديم ذي النوعية

الجيدة.

عادت ليندا إلى المطبخ، بعد أن وضعت فوق بيجامتها كنزه رمادية واسعة، لفتها بقوة حول جسمها. اعتاد ريك أن يرى النساء يقمن بمجهود أكبر من ذلك قليلاً في حضوره، بهدف نيل إعجابه، لكن ولسبب ما في داخله، أعجبته فكرة أنها لم تقم بأيّ مجهود من أجله. ما أعجبه أكثر هو أنه، رغم الحزن الكبير المتكدّس بينهما، فهما لا يزالان ريك وليندا اللذين يرتاحان لصحبة بعضهما البعض. الكنزة التي ارتدتها ليندا، أبرزت جسدها النحيل بشكل جميل. فكر ريك أن النسوة النحيلات يجعلن الرجال يفقدون صوابهم ويحلمون ليل نهار بكيفية حمايتهن. هذا ما سيحصل له، إن لم يكن حذراً.

تذكّر ريك بوضوح لبعض اللحظات، ردّة فعلها يوم أخبرها أن لديه مشكلة ما. تذكّر كيف ذابت عيناها رقّة واهتماماً... ثم احتلتهما الثقة.

سكبت ليندا لنفسها فنجاناً من القهوة، إلاّ أنها لم تجلس. بلّ وقفت مسندة ظهرها إلى حافة خزانة المطبخ، ناظرةً إليه من خلال البخار المتصاعد من فنجان قهوتها. بدت عيناها بنيتي اللون، بلون الشوكولا الذائبة. لطالما اعتبر ريك هاتين العينين أجمل عينين في الوجود، أمّا الآن فكانت هناك غيوم وظلال مختلفة تعكّر صفاءهما. الأسى، الخيانة، والنضج... هذه الأشياء كلها اجتمعت لتضفي على عينيّ ليندا المزيد من الغموض، كأنها تزيد الظلال في اللوحة بهدف إبراز عمقها. بدا لون شعرها البنيّ، أفتح بدرجتين من لون عينيها. أدرك ريك ذلك متفاجئاً، كما أدرك أن اللون الأسود لم يكن اللون الحقيقي لشعرها. بدا كأنها وضعت في السابق قناعاً يخفي حقيقتها، أمّا الآن، فإنّ ليندا الحقيقية ابتدأت تشعّ من خلال ما يحيط بها. قطعت ليندا الصمت قائلة: «حسناً! بإمكانك أن تقولها. أنا أعرف ما تفكر به».

لطالما تنبأت ليندا بالأشياء قبل حدوثها، ولطالما كان حدسها صحيحاً إلى درجة مخيفة.

نظر ريك إلى وجهها المشرق، وللحظة تمنى لو أنه يستطيع معانقتها ودفن وجهه في ذلك الشعر البني الرائع.

قال متناسياً أنه منذ لحظة كان يود عناقها: «حسناً! يبدو العيش في هذا الحي صعباً. أليس كذلك؟»

نظرت ليندا إليه، وهي تومئ برأسها وكأنها مهتمة وموافقة على رأيه.

أكمل ريك قائلاً: «والمنزل يبدو بحاجة إلى الكثير من العمل، أكثر مما تستطيع عمله امرأة بمفردها. لِمَ بعتِ منزل ريدايل واستبدلته بهذا المنزل؟»

تنهدت ثم أجابت: «ذلكَ البيت لم يكن يوماً منزلي. كان منزل بلير. حبّه للفخامة ولإظهار المرتبة الرفيعة كان بادياً في كل حجرٍ وكلّ قطعة قرميد. لطالما كرهت ذلك المنزل، وازداد كرهي له بعد عملية التجديد والتحديث التي قام بها بلير. بالإضافة إلى ذلك فإن المنزل كبير جداً ومن السخافة أن تسكنه امرأة وحيدة».

ريك أيضاً لم يكن معجباً بالمنزل بعد عملية التحديث التي قام بها بلير. فقد المنزل مع هذه العملية سحره الأساسي الذي كان يتمتع به، وأصبح متكلفاً جداً. بالإضافة إلى ذلك لطالما اعتبر أن بلير وحده كان مسؤولاً عن المشاكل التي قامت بينه وبين زوجته ليندا.

فجأة بدا الأمر واضحاً لريك؛ أخوه وزوجته كانا شخصين مختلفين، وكانت قناعات كلّ منهما تسير في مسارٍ متناقض مع قناعات الآخر.

ليندا كانت دائماً شخصية متواضعة، ذات روح طيّبة تريد أن تفيد الجميع من حولها، ولم تكن طباعها تنسجم مع طموحات بلير، وأحلامه اللامتناهية، وفكرته عن النجاح المتلخصة بكميّة الأموال والمقتنيات التي يشتريها.

لم يرغب ريك يوماً بمناقشة تعقيدات العلاقة بين ليندا وبلير غير أنّه كان دوماً واثقاً من حقيقة واضحة وهي أن ليندا شخصيّة عميقة ولا تناسب بلير.

قال محاولاً تغيير الموضوع: «قهوة جيدة!»

ثم أكمل آملاً أن يقطع هذه اللحظة الحرجة، ويحوّل الحديث إلى نقاش عن غنى نكهة القهوة: «ما هي نوعيتها؟».

أجابته ليندا: «إنها خلطتي الخاصة، فأنا أطحن مزيجاً من أنواع مختلفة من الحبوب».

آه! إنها كابنتها بوبي، لا يمكن إبعاد تفكيرها عن الموضوع الأساسي. عيناها سألتا ريك السؤال الذي منعها تهذيبها من طرحه: لِمَ أتى إلى هذا المكان؟

إلا أن ريك قام بطرح سؤال آخر عليها، ولم يكن هذا السؤال أيضاً متعلقاً بما جاء به إليها: «لِمَ لم تعرضي منزلك للبيع عن طريق شركتنا؟ إنها شركتك أيضاً، كما تعلمين... أو على الأقل نصفها لكِ».

أغمضت ليندا عينيها قبل أن تجيب: «أعتقد أنني زودت طاقم شركة ستار تشايرز بما فيه الكفاية من الأخبار كي يتناقلوها يا ريك. ولا أريد أن أزيد تفاصيل جديدة عن حياتي الشخصية لتصبح موضوع الأحاديث مع القهوة الصباحية في الشركة».

ظلت الفضيحة التي أحاطت بموت بلير المفاجئ محور أحاديث جميع من في الشركة لفترة طويلة. أراد ريك أن ينكر حدوث ذلك، لكنه لم يستطع. عندما كانت ليندا تضطر إلى زيارة الشركة بداعي العمل- مع أن زياراتها تلك كانت نادرة- كان الجميع يرمقونها بنظرات العطف والشفقة. تلك النظرات التي تؤكد أن الكل يعرف ما حدث. لم يدرك ريك كيف استطاعت ليندا أن تكون بتلك الكياسة وتلك الكبرياء أثناء جنازة بلير. كلّ ما يدركه هو أنه لا يستحق منها أي غفران، نظراً للدور الذي لعبه في هذه الفضيحة. في الواقع، إنه لا يستحق الغفران لأنه لا يزال يحفظ سراً آخر من أسرار بلير. شعر بالذنب من مجرد وجوده في هذا المكان، فيما عيناها الصافيتان ترمقانه بنظرات متفحصة.

أمر ريك نفسه: قم بما جئت من أجله وغادر بعد ذلك. إلاّ أنه بدلاً من أن يقوم بإتمام مهمته، وجد نفسه يتأمل رسومات شخصيات الرسوم المتحركة على بيجامة ليندا، راغباً بأن يعلم المزيد عن ليندا ستار الجديدة. ذكّرته ليندا بنبرة مهذّبة: «قلت لي إن لديك مشكلة ما!».

حاول أن يفكر بمشكلة ما، غير أن أي مشكلة لم تأتِ إلى تفكيره، باستثناء عينيها ولونهما البنيّ. الحمد لله أنّه وضع خطة! فكّر ريك أنه لهذه الأسباب يضع الرجال الخطط... تحسّباً للحظات التي يخذلهم فيها ذكاؤهم، كهذه اللحظة بالضبط.

يدرك ريك أنّه لا يستطيع، بأي صورة من الصور، أن يعرض عليها وظيفة بشكل مباشر. فالأمر بحدّ ذاته سيبدو مهيناً جداً لها. لأنها، ورغم كلّ شيء، تملك نصف الشركة. ما الذي بإمكانه أن يعرضه عليها؟ أيقول: تعالي إلى الشركة وكوني نائب المدير العام؟

- أنا أعاني من بعض المشاكل في أحد البيوت.

آه! لقد رأى بارقة من الاهتمام في عينيها، وعرف أنّه ومن دون أن يدرك، قد لعب على الوتر الحسّاس عند ليندا ووجد الطريق الصحيح إليها. لطالما أحبّت ليندا البيوت القديمة، ولطالما استهوتها مثل هذه البيوت. والبيت الذي اشترته هو أكبر دليل على صحّة هذا الأمر!

- إنه مبني على الطراز الإدواردي، ويعود إلى العام ١٩١٢.

كتمت ليندا شهقة الاعجاب بصعوبة، فيما تابع ريك يقول: «إنّه كابوس بالنسبة لي».

ثم أكمل يشرح لها عن الأضرار الجسيمة التي خلفتها المياه، وعن عمليات الترميم السيئة التي تعرّض لها البيت خلال السنوات المتعاقبة. كما شرح لها تحديداً عن ابنة صاحبة المنزل التي تأتي إليه باكية، مرتعشة اليدين.

- إنها في السبعين من عمرها، ولقد ارتمت أمام الجرافة عندما حاولنا تحطيم الشرفة التي أضيفت على البيت في إحدى عمليات الترميم. استقال، حتى الآن، مشرفان على هذا العمل. والآن بدأت بحملة لحمل الجيران على توقيع العرائض احتجاجاً على ما نقوم به من أعمال.

لم يتوقع ريك أن يتمكن من وصف الوضع بهذا الشكل الملفت. فلقد أحسّ براحة كبيرة عندما أفرغ ما في جعبته.

- وما الذي تريده منّي؟

- تولّي أمر هذا المشروع، وكوني أنت المسؤولة عنه.

فغرت ليندا فاها من الدهشة وهي تجيب: «لا أستطيع أن أقوم بذلك».

- أنقذيني من هذا الأمر يا ليندا، أرجوكِ. لقد ارتكبت غلطة بأخذي لهذا المشروع.

أقرّ ريك معترفاً: «وقعت في غرام هذا البيت. فاندفعت إلى شرائه منقاداً بعاطفتي، وهذا ليس أمراً جيداً في عالم الأعمال».

الانقياد وراء العاطفة هو أمر سيء في كافة المجالات! فكّر ريك بذلك في قرارة نفسه. لهذا السبب عليه أن يتصرف بحذر وهو بصحبة ليندا، فهو يشعر بأشياء يجب عليه ألاّ يشعر بها... هذا ولم يمضِ على لقائه بها أكثر من دقائق.

استدارت ليندا بعيداً عنه، ووضعت فنجانها في المجلى، غير أن ريك لاحظ تلك النظرة في عينيها.

الذكريات! تلك هي المشكلة في قدوم ريك لرؤيتها. لقد تقاطعت دروب حياتهما والتقت، ثم جرفتهما بعيداً، وها قد عادت الآن لتتقاطع مجدداً. في عينيها الصافيتين، رأى ريك تلك الذكريات بوضوح شديد كأنه يشاهد فيلم فيديو. هو، ليندا، وبلير كانوا شباناً يافعين، في بداية حياتهم المهنية. كانوا يقومون بشراء البيوت القديمة المتداعية المهملة، فيعيدون تأهيلها، يدهنون جدرانها، ويملؤون أصص الزهور حولها... باختصار، كانوا يقومون بإجراء عمليات جراحية تجميلية لهذه البيوت، ثم يعقدون أصابعهم متمنين أن تباع بسعر جيد، بعد أن يضعوا عليها لافتة كتب عليها: «معروض للبيع».

- فليب. قلوب!

أصدر ريك ذلك الصوت عالياً، تذكراً الاسم الذي كانت ليندا تطلقه على تلك العمليات. أراد بلير اسماً منمّقاً للشركة، كالاسم الذي حصلوا عليه من خلال دمج أسماء عائلاتهم.

استدارت ليندا عن حوض المجلى، لتواجهه وهي تبتسم ابتسامة ضعيفة. في عينيها رأى ريك توقاً شديداً. أهو توقٌ إلى الأمور القديمة وما كانت عليه؟ أهو شوق إلى الضحك والتشويق الذي رافق العمليات الأولى، في تلك السنوات البعيدة؟

طلبت منه بوبي أن يساعد أمها. بل أكثر من ذلك، لقد توسلته. وليندا، كما رآها لا تزال مغرمة بالبيوت القديمة كما كان ريك، وربما أكثر.

أراد أن يبتعد عنها، لكي يحافظ على سلامه الداخلي، لكنه يعرف أن الرجل

الذي يبتعد ويترك امرأة بحاجة إلى أي شيء، يفعل ذلك فقط لكي يحمي نفسه. وهو لا يرضى بأن يكون ذلك الرجل.

– هل ستأتين معي؟ على الأقل، القي نظرة على المنزل الذي وظفت فيه الادخار الجامعي لابنتكِ.

ما رآه ريك في عيني ليندا، فاق كلّ ما كان يتأمله.

– لا أعتقد أنّه يجب عليّ أن أقوم بهذا الأمر.

لم يحمل جوابها الرفض القاطع الذي توقع ريك سماعه. ذكّرها قائلاً: «أنتِ لا تزالين تملكين نصف الشركة».

أشارت ليندا إلى الصناديق المكدّسة، وأجابته: «آه، حقاً... لدي حقاً الكثير من الأمور لكي أقوم بها».

قولها لكلمة حقاً مرتين، جعل ريك يدرك ما الذي تريده ليندا حقاً! قال بنعومة: «تعالي! فقط ساعديني في التحدث إلى هذه المرأة. انظري إلى المنزل الذي أخبرتك عنه بنفسك، أخبريني إذا ما شعرت بشيء مميز حياله».

أدرك ريك جيداً أنه بمجرد أن يقوم بإقناع ليندا بالذهاب معه، فإن الباقي سيغدو عملية منتهية.

– أنت لست بحاجة إليّ!

قالت ليندا ذلك، كأنها تنبأت بحقيقة الأمر. غير أنها لم تكن الوحيدة في إدراك الحقائق. شعر ريك من كلماتها تلك كم تتوق لكي يكون أحدهم بحاجة إليها، فموت زوجها، ومغادرة ابنتها للبيت وضعاها على هامش الحياة.

كانت بوبي محقة في ما قالته. لقد تخلّى عن ليندا في أكثر الأوقات التي هي بحاجة إليه فيها. إنها بحاجة إلى صديق. هذه الفكرة جعلته ينزعج جداً من نفسه. أجابها: «كلاّ، لست بحاجة إليك، لكنني أريدك معي».

قال ذلك وهو يرفع حاجبيه بطريقة شقية جعلتها تضحك. تماماً كما تمنى. جاء صوت ضحكتها جيداً وسيئاً في الوقت عينه. فضحكة كتلك تجعل أيّ رجلٍ يدمن على سماعها، وهذا شيء قد يعرقل مسار أي رجل مهما كان واثقاً من صحة ما يقوم به.

أسدلت يديها باستسلام قائلة: «حسناً!»

أدرك ريك أن هذا الأمر فاجأها وصدمها، وأخافها بنفس القدر الذي فاجأه به، وصدمه، وأخافه.

www.elromancia.com

٢ - لا تسألي!

- يجب أن أغيّر ملابسي.

قالت ليندا ذلك وهي تنظر إلى نفسها وما ترتديه. شعرت بوجنتيها تشتعلان احمراراً، فبيجامتها بدت أسوأ مما كانت عليه عندما ارتدتها. أما كنزتها... فلم تكن أفضل حالاً! ما الذي جعلها، بحق السماء، تختار هذه الثياب التي أظهرتها بمظهر امرأة رثة الملبس، منهكة وغير أنيقة؟

يا لها من صدمة! أدركت ليندا أنها في حالة صدمة، ولهذا السبب وافقت على عرضه. قالت له إنها سوف تذهب معه لترى المنزل، وهي مدركة تماماً أنه ليس هنالك من حجة منطقية تجعلها تقوم بذلك. لم يكن هنالك أي منطق في أيّ شيءٍ تفعله أو تفكر فيه في هذه اللحظات.

ريك تشايس أثّر عليها وعلى تفكيرها بشكل غريب جداً. مجرّد النظر إليه، إلى بنيته القويّة الضخمة وهي تملأ مطبخها الصغير، وتنشق عطره العابق بالرجولة، ذلك العطر الذي أثار أحاسيسها وملأ كيانها جعلها تشعر كأن الفراشات تطير داخل معدتها باعثة فيها ذلك الشعور الغريب.

معرفتها بريك تعود إلى أكثر من عشرين عاماً، لكنها لم تشعر بهذه الأحاسيس تجاهه من قبل. بالطبع! فكّرت ليندا أنها لم تكن قبل اليوم امرأة عزباء وغير مرتبطة. لكن كيف لها أن تعلم أنه هو غير مرتبط. لِمَ لا تضع أمامها احتمال أنّ تكون إحداهن قد اختطفته من عزوبيته؟

- ريك، هل أنت...؟

جمدت الكلمات في فمها، عندما التفت ريك ناظراً إليها بتساؤل. ليس من شأنها سؤاله عن هذا الأمر. فذلك ليس من ضمن اهتماماتها...

- هل أنا، ماذا؟

لا تطرحي هذا السؤال أرجوكِ! توسلت ليندا نفسها، لاسيما وأنتِ تبدين بهذا الشكل...

- هل أنت... على علاقة مع إحداهن؟

حسناً! لقد رمت سؤالها بشجاعة. لهذا السبب بالضبط تحوّلت ليندا إلى شخصية انعزالية؛ لأنها تعرف تمام المعرفة أنه لا يمكنها الوثوق بنفسها.

أجابها ريك: «كلاّ».

شعرت ليندا باحمرار وجنتيها يشتدّ محرقاً بشرتها، فهرعت هاربة من أمامه مبتعدة عبر الصالة، لتجد نفسها في أمان غرفتها. أغلقت باب غرفتها، ثم أسندت ظهرها إليه ووقفت تستجمع شتات نفسها، آخذة نفساً عميقاً وثابتاً. تساءلت ليندا، لما أحسّت بردّة الفعل هذه تجاه ريك!

وتجت نفسها قائلة: «لأنك لا تواعدين أحداً، ولا تخرجين بشكل كافٍ».

حسناً! سوف تخرج مع ريك، وتذهب لتتفحص هذا المنزل، عندها بالطبع، سوف ترفض استلام المشروع. لن تكون المديرة المسؤولة عن ترميم هذا المنزل، مهما أحبّته وأرادت العمل فيه.

بعد ذلك سوف تعود إلى منزلها وتقوم بالاتصال بابنتها... سوف تحاول أن تلتحق بأحد النوادي. إذا استطاعت، سوف تشترك بأحد نوادي هواة مراقبة الطيور، فهذا سيكون أمراً جيّداً.

فتحت باب خزانتها، فوجدت أنّها لم توضّب بعد إلاّ القليل من ملابسها، فيما ظل معظمها مكدّساً في الصناديق. في الشهور القليلة الماضية لم تعر أي اهتمام إلى خزانتها وإلى تجديد محتواها. لاسيّما بعد أن أصبحت حياتها ملكاً لها.

لم تعد هناك ابنة بقربها تجّعد أنفها معترضة على منظرها وهي تقول: «أمي! لا تقولي لي إنّك ستخرجين حقاً وأنتِ مرتدية هذه الثياب».

كما لم يعد هناك زوجٌ متطلب، لطالما شعرت ليندا أنها فاشلة في محاولاتها لجذبه وإرضائه.

عاد اليوم قرار اختيار ما سترتديه قراراً صعباً ثانية. إن الثياب التي وضّبتها في خزانتها قليلة جداً...

احتارت ليندا في اختياراتها، هل يجب عليها أن ترتدي أقراط الأذنين؟ هل تضع زينة على وجهها؟ وما الذي تستطيع فعله مع هذا الشعر القصير الذي لا يريد أن يبدو مرتّباً، مهما حاولت أن تفعل به؟

سرعان ما عادت واستجمعت شتات نفسها. ما الذي دهاها؟ وما الذي تفعله؟ راجعت نفسها جيداً، ثم قرّرت أمراً ما.

نادت من غرفتها بعد أن فتحت بابها قليلاً: «ريك!».

- أجل!

- لا أستطيع أن أذهب معك في مشوارك. لا تهتم للأمر، وشكراً على مرورك بي.

حسناً! لقد فعلتها، وأنزلت الأمر عن كاهلها. عادت إلى داخل الغرفة، وجلست على سريرها منتظرة أن تسمع صوت صرير الباب وهو يفتحه.

قطع تفكيرها صوت نقرة صغيرة على باب غرفة نومها، فجمدت ليندا في مكانها. كان باب غرفتها لا يزال مفتوحاً قليلاً، لكنه ما لبث أن فُتح على مصراعه. وقف ريك أمامها مسنداً ظهره إلى جانب الباب، واضعاً إبهاميه تحت حزام بنطلونه. بدت ساقاه طويلتين قويّتين، أما كتفاه فبدتا عريضتين وممتلئتين.

راودتها فكرة جامحة، فتمنت لو أنه يدخل إليها، فيأخذها بين ذراعيه و... يعانقها...

لهذا السبب بالضبط وبسبب هذه الأفكار، بالتحديد عليها أن ترفض الذهاب معه إلى أيّ مكان.

نظرت ليندا إلى عيني ريك. بدت نظراته غامضة، مشوشة... أتراه...؟

سألها ريك: «لمَ لا تريدين الذهاب؟»

نزعت ليندا نظرتها عنه، وقفزت واقفة على قدميها. بسرعة، سحبت صندوقاً من كومة الصناديق الموجودة في الغرفة، وبدأت بإفراغ محتوياته بشكل

عشوائي ومن دون أي تفكير.

- لمَ لا أريد، ماذا؟

- أن تذهبي وتلقي نظرة على المنزل.

أوه! الصندوق الذي أخذته وبدأت بإفراغه مليء بالثياب الداخلية! تلك الثياب التي لم تعد ترتديها. بدأت بإعادتها إلى الصندوق بسرعة... بالسرعة نفسها التي أخرجتها منه.

- أنا لم أوضّب أغراضي بعد. إنها ما زالت مكدّسة في الصناديق. كما أنّ الباب الخارجي يحتاج إلى التزييت... قد أقوم كذلك بصنع بعض البسكويت... كما تعلم، لا يصبح المنزل منزلك فعلاً، إن لم تقم بصنع بعض البسكويت فيه.

أحسّت ليندا أنها تبدو كشخص أحمق، يتلفظ بكلام غير مفهوم ومجرد من أي معنى لكنها بالرغم من ذلك نظرت إلى ريك رافعة ذقنها بتحدٍ. ألا يدرك أنه يتصرف بوقاحة؟ لم يكن يجدر به الوقوف هناك عند الباب المؤدي إلى غرفتها الخاصة مسبباً لها تلك الأفكار الحميمة المقلقة.

داعبت شفتي ريك ابتسامة بسيطة.

قالت ليندا بنزق: «اذهب أنت. أنا مشغولة جداً!»

- إذا أتيت معي، لنذهب ونلقي نظرة على المنزل، فسوف أساعدك لاحقاً في إفراغ أغراضك.

لا جدوى من الكلام معه! لم تكن ليندا تريد منه أن يساعدها في إفراغ صناديقها. فوجوده وحده يربكها، ويجلب إليها أحاسيس متناقضة مضطربة، وحنين إلى حياةٍ كانت قد اعتادت الابتعاد عنها منذ وقت طويل. أكمل ريك قد واتسعت ابتسامته: «أنا لا أقصد هذا الصندوق بالذات».

فكرت ليندا، آه! سيكون أمراً جيداً لو أن شخصاً آخر يساعدها على تحريك قطع الأثاث الكبيرة من مكان إلى آخر. كم هو جميل أن يساعدها أحدهم على إنجاز أعمالها. لكن... باستطاعتها أن تستخدم شخصاً ما!

تساءلت ليندا في داخلها عن السبب الذي جعلها تصبح أكثر إدراكاً بأنها

تثير الشفقة عند الجميع بعد ذلك اليوم المشؤوم الذي علمت فيه حقيقة زوجها؟

– كلا، في الحقيقة. أنا . . .

– سأساعدك أيضاً في إعداد البسكويت!

استدارت ليندا لتواجه ريك، واضعة يديها على خصرها، وقالت: «ريك تشايس. . . أنت لا تعرف كيفية إعداد البسكويت!»

– وأنتِ لا تعرفين شيئاً عمّا أعرف أو ما يمكنني أن أفعله.

بدت عيناه في تلك اللحظة مثبتتين على وجهها. راح ريك ينظر إليها بشغف، وقد حملت نظرته شيئاً آخر أيضاً: التوق الشديد.

هذا الأمر ليس مفاجئاً، فريك عاش وحيداً لفترة أطول من الفترة التي قضتها ليندا في الوحدة. لكن، لا شك أن باستطاعته الحصول على أيّ امرأة يريد. وليندا أكيدة من هذا الأمر.

غمرتها موجة من الضعف، أرادت ليندا في تلك اللحظة أن ترمي بنفسها بين ذراعيه، أن تسمح له أن يحتضنها، وأن تتقبل تلك المساعدة التي يعرضها عليها. لكن هذه النقطة تلخص مشكلتها كلّها، فهي لا تريد أن تبدو ضعيفة، لن تسمح لنفسها بإظهار ضعفها.

من جهة أخرى، أدركت ليندا أنها سوف تبدو ضعيفة أيضاً، إذا لم تذهب مع ريك لمشاهدة ذلك البيت السخيف، بعد أن وافقت من قبل على الذهاب لرؤيته.

ذكّرها ريك قائلاً: «لطالما كنتِ أنتِ الطاهية الفاشلة. وأنا أراهن أنك إذا ما صنعت البسكويت، فسوف ينتهي بك الأمر بوضع زيت الباب في عجينة البسكويت».

كان يستعيد ذكريات قديمة جداً. ذكريات محاولاتها الأولى في المطبخ، كزوجة حديثة العهد بالمسؤولية، وأم شابة، والتي انتهت معظمها بكارثة.

غير أنها، ومنذ ذلك الوقت، عملت على نفسها وتعلّمت كيفية القيام بأشياء جيدة لدرجة كانت تسمح لها بأن تعدّ بعض الأطباق لنشاطات بوبي المدرسية: كعكات مزيّنة من أجل عيد القالنتاين، كاتو بالشوكولا لمزاد بيع

الكاتو. تعلّمت ليندا كذلك كيف تعدّ اللازانيا، واللحم المحمّر، والدجاج، حتى إنها في إحدى المرّات استطاعت أن تعدّ بمفردها عشاءً من ديك الحبش لفرقة بوبي في الكشافة المؤلفة من اثنتين وأربعين فتاة.

ريك لم يكن يعلم شيئاً عن هذه الأمور. كلّ ما كان يعرفه هو أن بلير، ومن دون أيّ مراعاة لفخرها بنفسها وتطوّر مهاراتها في فن الطبخ، قام بتوظيف طاهٍ ما إن أصبح قادراً مادياً على ذلك.

شعرت ليندا بالألم يعتصر قلبها، هذا الألم الذي يصيبها كلّما عادت بها الذكريات إلى حياتها السابقة مع بلير. فكرة واحدة فقط من تلك الذكريات كانت كافية لإفساد نهارها كلّه!

لاحظت أن ريك يقدّم لها الدواء المناسب للخروج من هذه الذكريات التي كانت تطاردها وتؤرقها، وشعرت فجأة أنها تريد التمسك بهذا العرض بكلّ قوّة، شاعرة بالغباء لمحاولتها رفضه في البداية.

قالت ليندا: «حسناً! لا أحتاج إلا إلى دقائق قليلة لأصبح جاهزة».

أومأ برأسه لها بحركة بسيطة، ثم خرج وأغلق الباب خلفه. جلست ليندا على سريرها من جديد، معيدة التفكير في كلّ ما حدث، ومواجهة نفسها بحقائق الأمور: لقد شعرت بالارتياح نوعاً ما لأنها سوف تعيد وضع حياتها على المسار الصحيح للأمور، شعرت بالذهول أيضاً لقدرتها على الإحساس بمشاعر مختلفة لم تراودها منذ وقتٍ طويل جداً. أحست في الوقت ذاته أنها عادت إلى الحياة، بنفس الزخم والروعة اللذين أحست بهما هذا الصباح، عندما ارتفع الطائر عن الأرض وانطلق.

ذكّرت نفسها بمرارة: «ليندا، تذكري أن شعورك بالسعادة، هو ذلك التحدي الذي وضعته لنفسك».

خرجت ليندا بعد ربع ساعة لتجد أن ريك ينتظرها في الخارج. كانت قد استقرت على ارتداء البنطلون القشدي اللون، والقميص الحريرية البفسجية اللون. لم تضع أي زينة على وجهها، ولم يكن هذا بكامل إرادتها، فهي لم تستطع إيجاد الصندوق الذي وضعت عدّة الزينة فيه. لم تقدر أيضاً على تسريح شعرها

الذي بدا مشعّثاً مهما حاولت ترتيبه، فتركته يتطاير في خصل متنافرة ثائرة، كانت بالتأكيد ستجعل عيني بوبي تجحظان.

كان ريك واقفاً يتفحص سيارتها. ابتسم لها وهو يقول: «جميلة!»

لمست شعرها بردّة فعل عفوية. لم تكن تلك الكلمة بالضبط ما توقعته منه. لكنها سرعان ما لاحظت أنّه يقصد السيارة بتعبيره، ولا يقصدها هي.

كانت سيارتها من طراز سمارت، التي طوّرتها شركة مرسيدس بنز، كسيارة صغيرة جداً. السيارة أيضاً تعبّر عن تغييرها الجذري لحياتها السابقة. قالت ليندا مربتةً بحنان على السيارة: «بوبي تدعوها حبة الفاصوليا، فهي ما زالت غير قادرة على التصديق أنني تخلصت من المرسيدس SL ٥٠٠ لكي أشتري هذه السيارة».

لم ترّ ليندا الأمور بهذا الشكل، بل اعتبرتها خطوة أخرى للعودة إلى ذاتها، إلى المرأة الشابة التوّاقة للحياة، الشغوفة والمهتمة بالعالم من حولها. لقد عاشت الحلم، المنزل الفخم على ضفة النهر، الخدم، السيارات والمجوهرات، أحسّت أن هذه الأشياء نستهلك قواها كلّها وتسحب منها الحياة، كما يمتص مصّاص الدماء الدماء من ضحيته. أصبح حلمها الآن بسيطاً... أرادت الحياة البسيطة والعودة إلى شخصيتها الحقيقية التي كانت عليها من قبل.

سألها ريك فيما كان يفتح لها باب سيارته الكاديلاك: «هل تحبّين هذه السيارة؟»

- أنا مغرمة بها.

- هذا أمرٌ جيد لك.

- وأنت، هل تعجبك سيارتك؟

سألته ليندا، فيما كان ريك يعود إلى جهة السائق ويتزلق في مقعده الملاصق لها.

قام ريك بحركة بكتفيه، دلّت على لامبالاته بالموضوع. أدار محرك السيارة، ثم وضع حزام الأمان حوله وأجابها: «أعتبر هذه السيارة ضرورية. إنها جزء من مستلزمات العمل. فأنا آخذ العملاء لكي يروا العقارات المختلفة في أماكن

كثيرة. لذلك أريد أن أؤمّن لهم رحلة آمنة ومريحة على قدر ما أستطيع، وهذه السيارة قادرة على تأمين ذلك».

فكرت ليندا قليلاً بالكلام الذي قاله ريك. كمّ يبدو تفكيره مختلفاً عن تفكير بلير! بالنسبة لبلير، آخر ما يهمّه في السيارة الأمان والراحة اللذان تستطيع تأمينهما لزبائنه.

- أنتِ تعرفينني يا ليندا...

أهي تعرفه حقاً؟ تذكرت تلك الأيام التي أعقبت وفاة بلير، عندما بدأت حقيقة الأمور تنجلي أمامها... عندما راودها ذلك الشعور بأنها لا تعرف أحداً. والأهم من ذلك، إحساسها بأنها لا تعرف حتى نفسها.

- لو لم أكن أعمل في هذا المجال، لكنت، على الأرجح، لا أزال أقود درّاجتي النارية. أنا أمتلك واحدة، كما تعرفين. ليست درّاجة فخمة، لكنني أخرجها لأستخدمها فقط في عطل نهاية الأسبوع التي أقضيها وحيداً، فأتوجه إلى منطقة بناف، أو أذهب على الطريق المعتمدة في سباق الريف عبر منطقة بلاك دايموند.

أتراه يذهب وحيداً؟ أرادت ليندا أن تسأل. غير أنها وجهت إليه هذا السؤال من قبل، وسوف يعتبر اهتمامها زائداً عن الحد إذا ما تابعت السؤال عن هذا الموضوع. أخذ ريك وليندا يتحدثان عن أمور مختلفة، كالمعارف المشتركين بينهما. زوّدها ريك بآخر أخبار الأشخاص الذين كانت قد أدارت ظهرها لهم. في الواقع، مازالت الحياة مستمرة، فهناك أطفال قد ولدوا، وأشخاص قد تزوجوا وآخرون تطلقوا، كما فقد بعض الأشخاص ذويهم...

أعجبت ليندا بطريقة قيادة ريك، إذ كان يقود بشكل بعيد جداً عن التوتر، ويتعامل مع زحمة السيارات بدماثة وسهولة تامة. عندما أشتّد الزحام وبات أشبه بالدخول في عنق الزجاجة، في منطقة ميموريال دراي، لم يظهر ريك أي علامة من علامات التأفف وقلّة الصبر. أشار ريك إلى جانب الطريق وقال: «هذه هي المشكلة التي تسببت بكلّ هذا الازدحام».

رأت ليندا أمامها شابة تقف أمام سيارة قديمة الطراز وقد فتحت غطاء

المحرّك، وراحت تنظر إليه بعجز ويأس. شغّل ريك إشارة التوقف في السيارة، ثم ركن سيارته أمام السيارة المتوقفة.

– سوف أرى إذا ما كنت أستطيع أن أقدم لها يد العون بشكلٍ ما.

قال ريك ذلك بشكل عادي جداً، وكأنما توقفه هذا أمر طبيعي لا يحتاج إلى تفكير، لأنه الأمر الصائب الذي يجب فعله.

بعد لحظات قليلة عاد إلى السيارة، ويداه ملطختان، فأخذ منديلاً أبيض ومسحهما جيداً به. بدا من الواضح أنّه، رغم توسّخ يديه، لم يندم على قراره أو على التصرف الذي قام به.

– كانت تلك مبادرة لطيفة منك.

قالت ليندا ذلك مدركةً أنها تضّن عليه بالمديح في تلك العبارة، وأكملت: «أقصد توقفك لمساعدة تلك الشابة».

– لم أستطع أن أقوم بالكثير لمساعدتها. كلّ ما فعلته هو أنني اتصلت لها بالقاطرة.

رغم ذلك بقيت مبادرته جميلة. إنها فضيلة تعود إلى زمن قديم. تساءلت ليندا إذا كان ما يزال هناك في أيامنا الكثير من الرجال الذين يتحلون بمثل هذه الشهامة.

– لقد ذكّرتني ببوبي. يشعرني هذا ببعض الاطمئنان إلى أن أحداً ما سيتوقف ليساعدها، أو يساعدك، إذا ما حصل مع أيّ منكما أمر مشابه.

لطالما اعتبرت ليندا أن قلبها الرقيق وحنانها الزائد هما نقطة ضعفها وهي تحتفظ بهذا الحنان وهذه الرقّة لشخص واحد فقط. ابنتها بوبي. لكنّها الآن وفي هذه اللحظة، أحست بمشاعر الحنان والرقة تغمرها وتضعف قلبها.

تمالكت نفسها بصعوبة... كان باستطاعته أن يتصرف معها هي تصرّفاً نبيلاً في ما مضى. كان باستطاعته مساعدتها بمجرد إخبارها الحقيقة عن زوجها وعلاقته غير الشرعية. لكنه اختار بملء إرادته ألاّ يفعل ذلك. في الواقع، هذا ما يجب عليها أن تعيد تذكير نفسها به كلما شعرت بالانجذاب نحوه، وبأنها تحلّق فوق الغيوم عندما تتنشق رائحة عطره، أو كلما سحرتها تلك العينان

الخضراوان الساحرتان.

بسطت ليندا يدها على صدرها، ضاغطة بشدّة على قلبها، حيث تجمع الأسى والألم، فيما حدقت بعيداً إلى الخارج.

من جهة، فكّر ريك بما قاله لها قبل قليل. أتراه حقاً عرض عليها المساعدة في توضيب أغراضها وخبز الكعك؟ بّرر تصرفاته لنفسه، بأنه كان في مرحلة التفاوض معها، وأنه كان مستعداً لعرض أي شيء لكي توافق على ما يريده. لكن، ألم يكن بإمكانه أن يعرض عليها أي شيء آخر لإقناعها، غير التورط معها بشيء شخصي للغاية كتلك المساعدة؟

لكن... اللعنة! إنه معجب بها.

لطالما كان ريك معجباً بليندا. ولطالما ساوره الشعور بالذنب لتفكيره المستمر بأنها تزوجت من شخص لا يستحقها.

تنهد ريك بقوّة. فنظرت ليندا إليه بطرف عينيها، لكنه خشي في تلك اللحظة أن ترى، رغم لمحتها السريعة، أعماق روحه، والضغط الذي يحمله في داخله. استغرق في تفكره مجدداً، لمّ سألته ليندا قبل قليل، إذا ما كان يقيم علاقة عاطفية ما؟ ما السبب الذي يدفع أيّ امرأة لتسأل الرجل سؤالاً كهذا؟

فجأة تذكر ريك، أنّه رغم معرفته بليندا منذ أن كانا شابين طائشين، فإن علاقتهما الحالية جديدة عليهما. لأول مرّة في التاريخ المشترك بينهما كان كلاهما غير مرتبطين. وهو قام بعرض مساعدته عليها ليشاركها في إعداد الكعك! هذا الأمر يماثل عرض الزواج على أيّ أرملة.

الشيء الوحيد الذي يرفض ريك تكراره في حياته ثانية، هو الزواج. عندما قام بتوقيع آخر معاملة من معاملات طلاقه، قام في الوقت نفسه بدفن ذلك الجزء من ذاته الذي كان قادراً على الاهتمام بأحدهم بشكل عميق، ذلك الجزء القادر على التألم بشكل كبير أيضاً.

الحقيقة أن ريك يحب واقع كونه عازباً ليس للأسباب التي قد تتبادر إلى ذهن أي شخص مباشرة. فريك ليس من ذلك النوع اللعوب من الرجال، الذي يقضي أوقاته متنقلاً بين النساء. إنه حتى لا يحب مواعدة النساء. هو يحب الحرية

المطلقة التي تسمح له أن يركب درّاجته النارية وينطلق حيث يشاء، دون الحاجة لأن يعطي موعداً للعودة إلى أحد. يحب فكرة أنّه قادر في أيّ لحظة على رفع سمّاعة الهاتف وحجز رحلة إلى تايوان أو بومباي أو بورنيو. كما يحب القيام برحلات سيراً على الأقدام في مكسيكو وأميركا الجنوبية دون أي مخطّط أو مسار محدد للرحلة.

ريك تشايس يحب عزوبيته ويتمتع بها.

أمّا ذلك الخاطر الذي خطر له وهو في منزلها، حين شاهدها وهي في غرفة نومها، فهو قادر على تهديد تلك الحياة بأكملها إذا ما سمح له بذلك. لكنه مصمم على ألاّ يسمح له بذلك مهما كان الثمن.

دخل ريك وليندا منطقة مونت رويال، الواقعة على تلة جنوبي وسط مدينة كالغاري. قطع الأرض في هذه المنطقة واسعة المساحة، المنازل فخمة مترفة، والشوارع العريضة امتلأت بالأشجار الكبيرة الكثيفة الأوراق. بالرغم من وجود بعض المنازل المنتشرة بشكل عشوائي، بقيت آثار النعمة القديمة واضحة للعيان.

توقف ريك وليندا عند مدخل منزل آل أوبراين، وهو منزل نموذجي في تلك المنطقة. الشرفات المسقوفة أحاطت بطابقي المنزل، كما ظهرت النوافذ المصنوعة من الزجاج الملون الأصلي، وبدت السلالم العريضة التي تمتد أمامه منتهية بباحة شاسعة.

بالرغم من السعادة البالغة التي كان ريك يشعر بها لدى مشاهدته للمنزل، إلا أنه لم يستطع كبح جماح زمجرة صدرت عنه. على شرفة المنزل الذي يملكه الآن، ظهرت تلك المرأة التي تراه كالمسخ العجيب. كانت جالسة على أرجوحة الشرفة، تهزها إلى الإمام والوراء، كأن المنزل لا يزال ملكاً لها.

- هذه هي ميلدريد!

قال ريك ذلك موجهاً الحديث إلى ليندا، ثم تابع: «حاذري منها. على الأرجح أنها تحمل معها مسدساً محشواً بالملح ومعدّاً للانطلاق».

بالطبع بدت ميلدريد مثالاً للسيدة العجوز الصغيرة الحجم. نظرت ليندا إلى

ريك نظرة جعلته يبدو كأنه إنسان فظ فاقد الإحساس، وخرجت مسرعة من باب سيارة الكاديلاك.

تنهد ريك تنهيدة عميقة ثم خرج من سيارته. وضع يديه داخل جيبي بنطلونه، وتبع خطوات ليندا عبر الممر. أمّا ميلدريد، وبوجهٍ دلّت معالمه على التأهب للمعركة، فنزلت السلالم كي تلاقيهما.

عرّف ريك المرأتين ببعضهما البعض قائلاً على مضض: «ليندا ستار، ميلدريد هاوسويل».

أجابت ميلدريد، مظهرة حقها في التواجد في هذا المنزل: «كنت أدعى ميلدريد أوبراين».

- كم هذا جميل!

قالت ليندا ذلك بصدق مظهرة سعادتها. أخذت كلتا يدي العجوز المجعدتين بين راحتيها وقالت لها: «هل لك أن تتلطفي وتأخذينني في جولة لكي أرى البيت؟».

نظرت ميلدريد إلى ريك نظرة حادة محملة بالرضا والاكتفاء، وكأنها قد وجدت أخيراً من يقدّر وجودها، ثم أجابتها: «هذا من دواعي سروري!»

فتح ريك الباب لليندا وميلدريد كي تدخلا، وبعدها تجاهلته المرأتان نهائياً، فيما راحتا تتجولان مستكشفتين المنزل سوياً.

جد ميلدريد كان المالك الأوّل لهذا المنزل الفخم، الذي بُني في للعام ١٩١٢. لكل غرفة حكايتها عند العجوز، فهي تعرف تاريخ كل واحدة من تلك الإضافات على المنزل، وقد بدت متعلقة بشكل غريب به.

بدت حالة المنزل من الداخل سيئة جداً. فالخشب الأصلي المتقن الصنع الذي يغطي الأرضية مغطى بالسجاد الملطخ الذي بدا في حالة سيئة ولا يستحق الاحتفاظ به. لاحظت ليندا أن هناك أضراراً كبيرة في قساطل المياه تحت مغسلة المطبخ وفي أحد حمامات الطابق العلوي، غير أن الأشياء الأساسية في المنزل، كالزجاج المطبّع، والخشب الذي لا مثيل له، والأسقف العالية وتلك التفاصيل الهندسية الصغيرة التي لم يعد أحد قادراً على التكفّل بمصاريفها، بدت استثنائية

في جمالها. وبما أنه خبير في سوق كالفاري العقاري، يعلم ريك أنه حتى لو استثمر مئة ألف دولار في تكاليف إعادة التأهيل، فإنه سيجني بالتأكيد الكثير من الأرباح من هذا المنزل. كما أنّه سيعيد المنزل إلى فخامته ومكانته القديمة.

لمح ريك وجه ليندا فيما كانت تجول في المنزل، وأدرك شعورها على الفور. فليندا مثله مغرمة بالمنازل القديمة، التي بنيت منذ ما يقارب المئة عام، والتي شهدت تعاقب الأجيال عليها، تاركة بصماتها على كلّ تفصيل من تفاصيلها.

– هل تملكين بعض الصور التي تظهر كيف كان المنزل في الماضي؟

سألت ليندا ميلدريد ذلك عندما عادتا إلى الباب الأمامي بعد انتهاء الجولة.

نظرت ميلدريد إلى ريك نظرةً أقلّ ما يقال فيها أنها انتقامية، ثم أجابت ليندا: «أملك المئات من تلك الصور».

– هل باستطاعتك أن تريني إيّاها؟

سألتها ميلدريد بارتياب: «لأي سبب تريدين رؤيتها؟»

أجابت ليندا بصوت رقيق ونبرة مهذبة: «هذا المنزل يحتاج إلى الكثير من العمل، لكنه يستحق أن يعود إلى جماله وحالته الأصلية. لهذا السبب أريد أن أرى تلك الصور، لكي نقوم بالأمر بالشكل الصحيح. وأنا أتمنى أن تقومي بمساعدتي على ذلك».

نظرت ميلدريد إلى ريك نظرة قاسية، صلبة، وكأنها تقول له: أرأيت؟ هنالك من يقدرني ويعرف قيمتي.

تساءل ريك في قرارة نفسه ما إذا كانت ليندا تدرك ما تضع نفسها في خضمه بسماحها لتلك المرأة العجوز الفضولية بالمساعدة. لكن ليندا، كما لاحظ ريك، تتحدث بطريقة توحي أنها سوف تقوم بالمشروع بنفسها.

غرقت ميلدريد في ذكرياتها وأخذت تحدثهما عن القصص السابقة الدّالة على مكانة هذا المنزل وفخامته. ابتدأ ريك يشعر بأنه يكاد يفقد صبره، لكن ليندا أصغت للمرأة العجوز، منحنيةً إلى الأمام بجدّية واضحة، وقد بدت على وجهها علامات الاهتمام الحقيقي. لاحظ ريك بوضوح تميّز روحها ورقيها

ورأى أناقتها في التصرف.

أصبح قادراً الآن على رؤية مدى الأذى الذي أصابها، وليس من بلير فقط...

إنه يدين لليندا بشيء ما، وبوبي أدركت هذه الحقيقة ولهذا اتصلت به في الليلة الماضية. وهو قد أدرك هذه الحقيقة الآن وهو يشاهد ليندا. لقد ساهم هو في انتزاع شيء منها. في انتزاع قدرتها على الثقة مجدداً. لذلك هو من سيقوم بمساعدتها على استرجاع تلك الثقة ثانية، حتى لو شكل ذلك تهديداً لأسلوب الحياة الذي يستمتع به.

لم يقم ريك بالأمر الصحيح واللائق طوال تلك السنين التي مضت، والتي كتم خلالها أسرار بلير عن زوجته. كما أنّه لم يعد واثقاً ما الذي قد يفعله لو عاد به الزمن، واستطاع الاختيار ثانية.

لم يدرِ ريك ما الذي يجب عليه أن يفعله بالسرّ الذي لا يزال يحتفظ به حتى الآن. وكيف سيكون وقع الأمر على ليندا؟ هل سيحطمها نهائياً أن تعلم مدى عمق الخيانة التي قام بها زوجها؟

– ربما لن نكون قادرين على القيام بكلّ الأمور بالطريقة التي ترغبين أن يتم الأمر بها، لكنني أريدك أن تطمئني إلى أنّنا سوف نقدّر قيمة الروح الأصلية لهذا المنزل، ونعمل على إبقاء تلك النفحة والكرامة له. سوف تشعرين بالذهول عندما ننتهي من أعمالنا في ترميمه.

قالت ليندا ذلك موجهة حديثها إلى ميلدريد. أمّا ميلدريد، التي لم تقم منذ اليوم الأوّل إلا بتصعيب الأمور على ريك، فقد ابتدأت بالبكاء. فهذا هو بالضبط الأمر الذي كانت تريده. أن تكون متأكدة أن المنزل سوف يحترم، وأن بعض الذكريات ستبقى كما هي، بالإضافة إلى أن عائلتها ستكرّم.

وقف ريك يحدّق بليندا مذهولاً. فهي تعرف كيف تتعامل باهتمام مع من يحدّثها، أمّا هي فنظرت إليه وعلى وجهها ابتسامة خفيفة.

عرف ريك ساعتئذ ما الذي لم يستطع هو وبلير أن يفعلاه دوماً، ألا وهو إعطاء عملهما قلباً يحسّ.

نظر إلى عيني ليندا فوجد داخلهما مكاناً، لم تكن هي نفسها تعلم بوجوده. رأى روحها الحقيقية. فجأةً أصبح مدركاً للطريقة التي يجب عليه استخدامها لإعادة ثقتها بنفسها وبالآخرين.

غادرت ميلدريد المكان، فيما بقي ريك وليندا واقفين، ينظران إلى المنزل سوية. لمست ليندا بيديها الأحجار القديمة للحائط الذي أحاط بالعقار.

- كنتِ مذهلة. شكراً لك!

ضحكت ليندا ضحكة قصيرة وقالت: «من مجنونة إلى مذهلة خلال ساعة واحدة!»

سألها بنعومة: «سوف تتولين الاهتمام بهذا المشروع، أليس كذلك؟»

أراد أن يحتضنها. أن يشعر بها بين ذراعيه، أن ينظر داخل عينيها. من الجنون أن يشعر بنفسه منجذباً إليها لهذه الدرجة. هذه المشاعر سوف تعكّر نواياه تجاهها وتحيده عن المسار اللازم لتحقيقها. تساءل ريك كيف يمكنه أن يعيد الثقة إليها، فيما لا يزال يخفي عنها بعض الأسرار؟

- ماذا هنالك؟

سألته هامسة، وكأنها أدركت ما يفكر به. شعر ريك بدافع قوي في تلك اللحظة لكي يقترب منها ويعانقها. آه! وكأنها ستحتضنه عوضاً من أن تصفعه! وكان الماضي الذي وجد بينهما يمكن أن يمحى بسهولة...

سألته مجدداً: «ماذا؟»

- سوف تقومين بالاشراف على عملية الترميم هذه. أليس كذلك؟

أغرورقت عيناها بالدموع، وشعر ريك أنها تريد أن ترفض، لكن ليندا بدت عاجزة عن الرفض أمام جمال هذا المنزل وسحره. أجابته: «يسعدني القيام بهذا».

مهما كان نوع الرابط الذي يجمعهما، والذي جعلهما يشعران معاً بالرضا، إلا أن ريك تساءل هل سيكون هو أيضاً ضعيفاً، غير قادر على المقاومة أمام ذلك الجمال الذي يراه أمامه؟ جمال ليندا وليس جمال المنزل.

٣ - حلوى، عتاب و... عناق

- حسناً! ليندا، هل أمّر بكِ هذا المساء؟

قال ريك ذلك، فيما أوقف سيارته أمام منزلها، ثم ألقى نظرة خاطفة إلى ساعته.

ذكّرتها تلك الحركة البسيطة، بشكل حاد ومؤلم، أنها ليست تلك المرأة الكثيرة الأشغال التي يمكنها الذهاب إلى العديد من الأماكن. كانت بوبي، ابنتها، السبب الذي من أجله تابعت الحياة، والذي دفعها طيلة تلك الأيام إلى النهوض من سريرها في كلّ صباح. أمّا الآن، وبعد مغادرة ابنتها لكي تسكن على بعد ثلاثة آلاف ميل، كانت ليندا تشعر في بعض الأحيان، أنها فارغة إلى حدّ الألم، دون أي هدفٍ يملأ حياتها.

تساءلت ليندا، أليس من شيم الرجال أن يوقظوا ذلك الإحساس بعدم الرضا في داخلنا؟ بالإضافة إلى ذلك فإن موافقتها على مشروع ترميم منزل أوبراين، وقبولها مسؤولية الإشراف عليه كافيان لتغيير كلّ نواحي حياتها.

تمنت لو أن ريك لا يغادر. فلقد استمتعت بالوقت الذي قضياه سوياً. مشاهدة طائر الكركي في ساعات الفجر الأولى ليس كافياً ليلطّف آلام الوحدة في داخلها. تلك الوحدة التي لم تشعر بها إلا قليلاً، قبل ظهوره في حديقة منزلها الخلفية هذا الصباح.

قبل وفاة بلير، زوجها، جعلت ليندا من ابنتها بوبي محور حياتها وعالمها كلّه. خاطت لها الملابس التنكرية لعيد الهالوين، ترأست جمعيتها الكشفية. كانت ترافقها إلى دروس الموسيقى والتزلج. إلى طبيب الأسنان، وطبيب العيون وإلى أخصائي تقويم الأسنان.

كلّ عالمها كان عبارة عن البحث عن الأفكار الصغيرة المضحكة والهدايا البسيطة المميزة لتضعها في علبة الغداء الخاصة بابنتها كي تفاجئها بها.

تساءلت عمّا إذا كانت قد استعملت ابنتها كذريعة للابتعاد عن الناس، فأصبحت إنسانة منعزلة، ترفض التقرب من أي كان، كما ترفض اهتمام أي كان بها! أتراها تحوّلت إلى إنسانة وحيدة مثيرة للشفقة؟

لكن، حتى لو أصبحت كذلك، فإنها مصممة على عدم إظهار هذه الحقيقة. قالت: «الليلة؟ كلاّ. أنا آسفة يا ريك، فلدي مشاريع أخرى».

رفع ريك أحد حاجبيه متسائلاً، داعياً إياها بحركته تلك إلى مشاركته أفكارها. لكن ليندا فضلت أن تتركه يتقلب في فكرة احتمال أن لديها موعداً مع أحدهم.

لم تكن مخططاتها لهذه الليلة بتلك المشاريع الممتعة. ما ستقوم به هو حفّ حوض الاستحمام القديم إلى أن يلمع، وإفراغ محتويات صناديق المطبخ. لكن ليس من الضروري أن يعرف ريك تلك الحقائق.

- حسناً! ما رأيك في ليلة الغد إذاً؟ سوف أحضر معي جدول الميزانية ولائحة بأسماء بعض المتعهدين الذين أفضل التعامل معهم. هل تريدين أن يكون أجرك مبلغاً محدداً سلفاً، أم أن تتقاضي نسبة من ثمن مبيع المنزل؟

أدركت ليندا أن اختيار النسبة يحمل مخاطرةً كبيرة، لكن هذا كان أحد أهدافها الجديدة في الحياة: أخذ المخاطرات الكبيرة.

- سوف آخذ نسبة على الأرباح.

قالت ليندا ذلك دون أي تردد، فأجابها ريك بإيماءة من رأسه علامة الموافقة.

أدركت فجأة أنّه أصبح لديها هدف جديد في حياتها. لم تشأ أن تقوم بالألاعيب مع ريك، بل ارادت أن تكون حقيقية وواضحة مئة بالمئة.

فكرت أن عرضه بجلب المعلومات اللازمة إليها في البيت هو نعمة بالنسبة لها. فهي لن تضطر إلى مواجهه تلك النظرات، التي تعرفها، للموظفين في مكاتب الشركة.

- في الحقيقة، يا ريك. لِمَ لا تمر بي الليلة؟ فالأشياء التي خططت للقيام بها تستطيع الانتظار.

أخذت ليندا نفساً عميقاً ثم أكملت: «في الواقع، كنت أنوي فرك مغطس الحمام».

- جيد! فكلّما تحركنا بسرعة وأسرعنا في إنهاء ترميم هذا البيت، كلما كان ذلك أفضل. أراكِ الليلة حوالى الساعة الثامنة والنصف إذاً، أم أن ذلك الوقت متأخر بالنسبة لك؟

فكرت ليندا بسخرية. بما أن ريك أصبح الآن يعرف حقيقة مشروعها الكبير في فرك الحوض، أصبح يظن أنها تأوي إلى الفراش لتقرأ كتاباً في الثامنة والنصف.

أجابته: «كلا، الثامنة والنصف هو وقت ملائم!»

خرجت ليندا من السيارة، بينما انطلق هو ذاهباً. وقفت تنظر إليه وهو يغادر، ثم استدارت ببطء وسارت باتجاه منزلها. ها قد بدأ مسار حياتها بالتغيّر!

- آه، يا ليندا! أنتِ الآن كمن يرقص مع الخطر.

قالت ليندا ذلك لنفسها بصوت عالٍ فيما كانت تدخل عبر باب منزلها، ثم تنهدت. كان لديها الكثير من الأعمال لتقوم بها في المنزل. أرادت أن تدهن الجدران وتعيد فرش الأرضية. كما أنها لم تكن قد انتهت بعد من توضيب الصناديق وإفراغها. ما الذي كانت تفكر فيه عندما وافقت على الالتزام بتعهد آخر؟

ذهبت ليندا إلى غرفة نومها وبدأت بالتنقيب في الصناديق. أخرجت من الصناديق عطرها، عدّة التبرج، بلوزة بيضاء ذات وبر طويل، بنطلوناً أسود. قرطين ماسيين صغيرين وسواراً بسيطاً ملائماً. بعد ذلك، جرّبت تلك الثياب. الصورة المنعكسة في المرآة بدت جيدة جداً. لقد بدت ناعمة، جذّابة وعملية.

- والآن، مشاعر من تلك التي تحاولين التأثير عليها؟

سألت ليندا مرآتها بوجه عابس. إنها لا تحاول التأثير على أحد أو التلاعب بمشاعره وانطباعاته. كلّ ما أرادته هو أن تبدو بأفضل صورة ممكنة، لكي

تمحو من ذهن ريك ذكرى تلك البيجاما الزهرية المزركشة.

بعد أن انتهت المهمة وتم اختيار الثياب، أمضت ليندا بقية النهار في إفراغ الصناديق. حتى إنها استطاعت أن تجد الوقت الكافي لفرك المغطس.

عند انتهائها من كلّ ما أرادت القيام به. استحمت وارتدت ثيابها المختارة ثم لاطفت شعرها حتى استطاعت أن تجعله يبدو مرتباً إلى حدّ ما. وضعت عطرها... بضع نطرات فقط، كما وضعت القليل من الزينة على وجهها.

نظرت ليندا إلى صورتها في المرآة، ولاحظت أن آثار بعض التقدم في السنّ قد بدأت تظهر؛ ظهرت بعض التجعيدات الخفيفة حول عينيها، كما ظهر خط بسيط يدل على القلق المزمن ما بين حاجبيها، وبدأ خط فكّها يصبح أقلّ وضوحاً.

قد تكون تلك العيوب التي لاحظتها ليندا في وجهها، هي السبب الذي جعلها متوترة عند اقتراب الساعة من الثامنة والنصف. بدت كفتاة مراهقة تنتظر حبيبها. أنّبت ليندا نفسها قائلة: «لا تكوني سخيفة. إنه ريك! إنه رجل تعرفينه منذ الأزل، كنت وإياه خلال كلّ مرحلة الرشد في حياتك. لذلك من الغباء أن تشعري بهذا الترقب والتوتر لاقتراب موعد وصوله».

رغم ذلك كله، بقيت على تلك الحال من التوتر، بل إنها شعرت بما يشبه الدوار، وبارتخاء في أعصابها عندما فتحت له الباب الأمامي بعد الساعة الثامنة بعشرين دقيقة. لاشك أنه دقيق في مواعيده، كما فكّرت ليندا وهي تشعر بالرضا لهذه الفكرة. بدت كمن يقيمّ الآخر لمعرفة إمكانياته.

نظرت إلى ريك عن قرب ولاحظت أن وجهه يحمل علاماتِ التقدم في السن أيضاً: ظهرت خطوط حول عينيه، وكأنها موجودة للفت النظر إلى رموشه الكثيفة الداكنة. كما غزت خيطان فضّية اللون الداكن لشعره، جعلت ليندا تتعذب أكثر وهي تقاوم الرغبة في لمس شعره والعبث به.

لمَ تضفي آثار التقدّم في العمر جاذبية على بعض الرجال؟ ارتدى ريك بنطلون جينز وقميصاً عادية طويلة الكمين، ذات لون أخضر كلون الغابات ألقى بظلّه على عينيه، فبدتا فاتنتين جداً. بدا ذقنه حليقاً، أمّا شعره فمسرح

حديثاً، وبالرغم من ذلك لاحظت ليندا أن تلك الخصلة الأمامية لديه لا تزال عصيّة ولم يقدر على ترويضها. آلمتها أصابعها لشدة توقها أن تلمس تلك الخصلة المتمردة وترتبها، فوضعت يديها وراء ظهرها وشبكت أصابعها جيداً.

- أهلاً بك!

شعرت بالسرور لأن صوتها بدا طبيعياً جداً، ولا يحمل أيّ دلالة على امرأة تشغل بالها أفكار جامحة حول المستقبل أو حول ترويض خصلة الشعر.

- جلبت لك هدية معي.

قال ريك ذلك لها وهو يلوّح بحقيبة يده في يدٍ وكيس في اليد الأخرى.

سألته ليندا وهي ترجع خطوة إلى الوراء فاسحة له المجال لكي يدخل: «بأيّ مناسبة؟»

أجابها بغموض: «لبثّ الدفء في المنزل».

- لم يكن عليك أن تقوم بذلك!

قالت ليندا ذلك مع أنها شعرت بالسعادة في سرّها لمبادرته هذه.

عملت طوال النهار على إفراغ معظم الصناديق التي كانت في غرفة الجلوس لكي يتمكنا من الجلوس فيها، لكن ريك نظر حوله، ثم توجه مباشرة إلى المطبخ. اللعنة! قالت ليندا في سرّها. إنه يتصرّف وكأنّه في منزله!

وضع ريك حقيبة يده على الأرض، ثم وضع الكيس على الطاولة. وبدأ بإفراغ محتوياته. ضحكت ليندا عالياً لدى مشاهدتها لما وضع ريك أمامه. فهديته لها هي عبارة عن ثلاث لفافات من عجينة البسكويت تشبه لفافات النقانق. أعلن ريك قائلاً: «لدينا عجينة رقائق الشوكولا، عجينة مع حبوب الشوكولا المقرمشة، وعجينة الشوفان بالزبيب. أيّها تريدين؟»

- عجينة حبوب الشوكولا المقرمشة.

- كنت أعلم أنّك ستختارين هذه العجينة.

- أحقاً؟ كيف عرفت؟

- لقد وضعتك في خانة الفتيات المحبّات للشوكولا المقرمشة.

مضت مدّة طويلة منذ أن وصفها أحدهم بالفتاة. أحسّت أن اللياقة تقضي

www.elromancia.com

بأن تصحّح له قوله وتخبره أنها تخطت أيام اعتبارها كفتاة منذ سنوات عدّة وتجارب مريرة كثيرة. . .

– كما جلبت أيضاً. . .

تابع ريك وهو يمدّ يده إلى داخل الكيس ويخرج علبة: «. . . حلوى براونيز بالشوكولا ذات وجه مقرمش. هذه بالتأكيد ستضفي على بيتك رائحة المنزل الحقيقي»

– لازلت أفضل الشوكولا المقرمشة.

– كنت متأكداً من ذلك.

قال ريك ذلك بنبرة مليئة بالرضا عن النفس، ثم أكمل: «باستطاعتنا أن نحتفظ بالبراونيز للمرة الثانية».

نحتفظ نحن! مرة ثانية! ها هو الخطر يتجلّى واضحاً، ليس لأنها قبلت بالوظيفة الجديدة، بل لأنها وافقت على عودته إلى حياتها ثانية.

حتى لو كان ريك قد أحس بانزعاجها المفاجئ. إلا أنه لم يظهر ذلك، وقال: «كما جلبت لكِ هذا أيضاً».

وأخرج، بحركة متباهية، علبة صغيرة من دواء شديد الفعالية لتنظيف البلاط والمغاطس. شعرت ليندا بالتأثر بشكل سخيف من مبادرته تلك. فهذه المبادرة جعلتها تدرك أنّه كان بالفعل يستمع إليها! أخذت العلبة واحتضنتها بقوّة، ثم قالت: «شكراً! الآن أصبح لدي مخطط رائع لليلة السبت».

اكتست عيناه بضبابية وغموض فيما قال: «حسناً! أهي مشاريع تتضمن فقاعات الصابون والشموع؟»

توهجت وجنتاها وهي تجيبه: «أقصد أنني سأمضي عشية السبت وأنا أنظف مغطس الاستحمام».

– حسناً! ما من امرأة تقوم بتنظيف المغاطس من دون سبب ولأجل لا شيء.

لم تستطع ليندا الكلام. فهذا النقاش مع ريك حول المغاطس والشموع وفقاعات الصابون بدا حميماً إلى درجة الإغراء. و. . . ما معنى تلك النظرة التي

بدت في عينيه؟ أتراه يفكر بالانضمام إليها؟

سرعان ما تأكدت ليندا أنها مخطئة في تفسيراتها، فقد استدار ريك مبتعداً عنها بشكل غير متوقع ومفاجئ.

سألها: «ألديك أوراق لخبز البسكويت؟ بإمكاننا أن نجهزها، ثم نراجع التفاصيل المتعلقة بمنزل أوبراين فيما نحن ننتظر نضوجها في الفرن»

– يا لك من رجل متعدد المواهب!

حاولت ليندا أن تبدو ممازحة، لكن عقلها بقي يفكّر في موضوع المغطس.

– أجل، إنني كذلك.

تساءلت كيف يمكن أن يكون هذا الموضوع بهذه السهولة وبهذه الصعوبة في آن واحد. يجعلها حضور ريك تشعر بابتهاج مربك وأخرق في الوقت نفسه. بدت مثل فتاة مراهقة لا تعرف أي شيء عن طبيعة الرجال، لا كامرأة في الثامنة والثلاثين من عمرها. امرأة قد دفنت زوجها، ولديها ابنة في الجامعة. امرأة قامت، لأول مرة في حياتها، بشراء منزل وسيّارة خاصّين بها.

أخرجت ليندا ورقة لصنع البسكويت من أحد الصناديق وأعطته إياها. أخذها ريك وقال بوجه صارم: «والآن انظري كيف يكون العمل».

نزع الغلاف البلاستيكي عن لفافة العجين، واقتطع كمية وافرة منها، مستخدماً أصابعه، وألصقها على ورقة البسكويت، ثم أخذ ملعقة خشبية ضرب بها العجينة بخشونة حتى تشكّلت قطعة بسكويت.

ضحكت ليندا عالياً، فحملق بها ريك وقال: «إنه ليس أمراً يستدعي الضحك. فصناعة الكعكة المثالية هي علم بحدّ ذاته».

– غير أنّ طريقتك تبدو. . . كيف أقولها؟ شديدة الرجولية.

– حسناً! دعينا نرى طريقتك إذاً.

تحدّاها ريك، فتناولت ليندا ملعقة، وأخذت بها كمية صغيرة من العجينة من اللفافة. شكّلت العجينة على شكل طابة صغيرة متكاملة، ثم وضعتها على ورقة البسكويت.

وقف ريك وليندا جنباً إلى جنب قرب منضدة المطبخ يعدّان البسكوت

ويضعانه على ورقة الخبز. بدا عملهما حميماً ودافئاً، مثل شيء يقوم به أفراد العائلة معاً.

ألم تكن تحلم بشيء مثل هذا لعائلتها؟ لكن بلير لم يشاركها يوماً حلم البسكويت. فصناعة البسكويت أو الفطائر المقلية صباح نهار الأحد لم تكن فكرته المفضلة عن قضاء وقت ممتع.

مجرد التفكير بالأمر، أثار الغضب في نفس ليندا! ابتدأ الألم يحفر في داخلها...

- هاي!

قال ريك ذلك فيما تناول الملعقة الخشبية التي كانت ليندا تستخدمها لتسوية البسكوت، وضغط بها على عظمة أنفها، وأكمل: «إنها لا شيء سوى بسكويت. لا تتوتري هكذا، سوف يصبح لديك تجاعيد!»

ضغطت الملعقة على تلك النقطة بالتحديد حيث شاهدت ليندا التجعيدة التي بدأت تستوطن جبينها!

أجابته بنبرة ملؤها الإباء: «في العمر الذي أنافيه، تعوّدت على تقبل التجاعيد كواقع من وقائع الحياة. كلّ صباح تجعيدة جديدة».

حدّق في وجهها متفحصاً: «أحقاً؟»

ثم أكمل بنعومة: «عليّ أن أقول لكِ إنني لم ألاحظ ذلك، أنا أعتقد أنّك تبدين جميلة جداً. بل أجمل مما كنتِ تبدين طيلة حياتك».

جمد كلاهما وتوقفا عن الحركة. للحظة وحيدة بشعة ظنّت ليندا أنها سوف تبكي. مضت مدّة طويلة منذ أن وصفها أحدهم بالجميلة. مدّة طويلة جداً...

مدّ ريك يده نحو جبينها، وأزال بإصبعه قطعة من العجينة كانت قد علقت هناك، ثم وضعها في فمه.

شعرت ليندا أنها تكاد تتوقف عن التنفس. لقد باغتتها تلك اللحظة دون إنذار. نعومة لمسته، متزامنة مع معرفتها بأنّه يعتبرها جميلة، أثّرت بها إلى درجة كادت تغشي أبصارها.

- حسناً!

قالت ذلك، قبل أن تبدأ بالبكاء أو تقوم بأي تصرف غبي آخر. انتزعت منه الملعقة وسوّت بها بسكويتة أخرى، وقالت: «دعنا ننهي هذه ونضعها في الفرن قبل أن ننتقل إلى العمل».

توّردت وجنتاها بعنف، وابتعد ريك عنها مسرعاً، فيما قامت هي بفتح باب الفرن لتدع حرارته تلفح وجهها فيصبح لديها عذر للاحمرار الذي يعلوه. استقرّ ريك خلف الطاولة، وأخرج الأوراق من الحقيبة.

بعد أن وضعت ليندا البسكويت في الفرن، انضمت إليه وجلست معه إلى الطاولة. قال ريك وهو مصّمم على الالتزام بالعمل فقط: «حسناً! هذا هو المبلغ الذي دفعناه ثمناً لهذا البيت».

وبنفس التصميم بإبقاء الأمر منحصراً بالعمل، نظرت ليندا إلى الرقم المذكور في الأوراق أمامها وأجابت: «إنها صفقة جيدة، بالنسبة إلى منزل يقع في ذلك الحي».

- هذا هو عملي، إيجاد الصفقات. أنا أنظر إلى ما يغفل عنه الجميع ولا يرونه.

خمّنت ليندا قائلة: «شعر الآخرون بالاشمئزاز عندما رأوا الخراب، الفوضى والعمل الكثير المطلوب. فيما رأيت أنت الأساس الجيّد».

كان ريك محترفاً في رؤية الأساس الجيّد. بدا لها أنّه رأى الأساس الجيّد فيها أيضاً. بغض النظر عما خلّفته السنوات على وجهها، فإن ريك رأى شيئاً آخر... رأى الجمال. لذا كان من الصعب عليها أن تركّز.

- بالضبط! إذاً، هذه هي التقديرات الموضوعة لتكلفة التدمير وإعادة الترميم.

أعطاها ورقة مرتبة تتضمن هذه التفاصيل. نظرت ليندا إلى الأرقام المطبوعة على الورقة فكادت تغصّ. قالت: «هذا مبلغ كبير من المال، يا ريك. أنا لم أقم بهذا النوع من الأعمال من سنوات طويلة...».

- باستطاعتك أن تقومي بهذا العمل.

- وكيف تعرف ذلك؟

– ذلك يبدو جلياً، وأنا أراه في وجهك.

للمرة الثانية، كان عليها مقاومة ذلك الإحساس الفظيع بالرغبة بالبكاء. لمَ يفعل ريك كلّ هذه الأشياء لها؟ لماذا يرى فيها الجمال والقوة والموهبة، فيما لم يرَ أحد أي شيء فيها منذ مدّة طويلة؟

– وهذا هو المبلغ الذي سوف يباع به المنزل عندما ننتهي من العمل.. أو بالأحرى هذا ما اعتقده.

حملقت ليندا بالرقم الموجود أمامها، ثم قامت ببعض الحسابات في ذهنها وقالت: «إن المبلغ المخصص لجامعة بوبي هو في أمان معك، أليس كذلك؟»

ضحك ريك قائلاً: «حسناً! هنالك فرق كبير بين سعر الشراء وسعر المبيع. إنه أفضل نتيجة متوقعة».

لاحظت ليندا أنها هي نفسها باتت موضوعاً لتوقعاته. رأى ريك فيها الجمال والقوة والموهبة، لكن، ماذا لو لم تكن تملك هذه الأشياء؟ عادت وفكرت أن المنزل أيضاً بدا جميلاً وقوياً، وكلّ ما يحتاجه هو الشخص المناسب الذي يكشف من السحر والمجد الكامن فيه. وهي سوف تكون ذلك الشخص!

ظاهرياً، بدا ريك غافلاً عن الاكتشافات المهمة التي تجول في خاطر ليندا، وهو يريها كتيباً دعائياً لأحد الأخصائيين في تركيب الأرضيّات القديمة.

اضمحلّت شكوك ليندا، فيما راحت هي وريك يراجعان لائحة المتعهدين الموثوقين الذين تم التعامل معهم من قبل، وهم يتعاملون مع ريك منذ اثني عشر عاماً أو أكثر. وابتدأت تشعر بالحماس.

فجأة، رن جرس الفرن. وضع ريك الأوراق جانباً وقال: «سأترك هذه الأوراق معك. حان وقت تجربة المذاق. كلا لا تنهضي! اجلسي. فأنا المسؤول هنا. التقديم الصحيح هو أهم شيء في مجال عملنا».

سواء كانت منازل قديمة، أو مجرد قطع بسكويت، فإن ريك يعرف كيف يقدّمها. وجد صحناً، فوضع فيه القطعة الضخمة السيئة المنظر التي قام بصنعها. ذاقت ليندا قضمة منها وأعلنت أنها شهية. قام ريك بالتذوق أيضاً، من قطعة ليندا نفسها. بعد ذلك تذوقا كعكاتها هي ذات الشكل الدائري

المتكامل.

– ليست بالجودة نفسها!

أعلن ريك ذلك بصوت وقور وبرّر بقوله: «إنها مثالية أكثر من اللازم».

أخذت ليندا قضمة من الكعكة المثالية التي قدّمها لها. كيف لكعكتين صنعتا من العجينة نفسها ووضعتا على ورقة الخبز نفسها أن تختلفا في الطعم إلى هذه الدرجة؟

– أوافقك الرأي، فالكعكة الأولى هي الرابحة معنا.

جلسا يأكلان البسكويت، الواحدة تلو الأخرى. حتى شعرت ليندا بالانزعاج تقريباً.

منذ طلاقه، كان ريك كثير الأسفار والرحلات. قام بتنشّق الياسمين في الأردن، والبهارات في أسواق الهند المفتوحة، والورود في حدائق بريطانيا. لكن الجلوس هنا، في مطبخ ليندا المتواضع هذا بدا أمر مختلفاً! لم يكن ريك أكيداً إذا كان قد تنشق شيئاً مثيراً ومغرياً كالرائحة المنعشة لصابون ليندا مختلطة برائحة البسكوت المخبوز.

ألقى نظرة عليها وهي تراجع بجدية ميزانية مشروعها، فأحس كأنّه عاد عشرين عاماً إلى الوراء. النظرة التي رآها في عينيها، بدت كنظرة امرأة شابة تائقة، خائفة، شجاعة وجاهزة. غير أنّ وجهها قد نضج بشكل جعله يبدو أكثر جمالاً مما كان عليه سابقاً. لقد عنى ذلك عندما قال لها هذا.

نهضت ليندا لكي تخرج الصينية الثانية من الفرن، فاستطاع ريك أن يتفحصها بنظرة مطوّلة. تذكر البيجاما التي كانت ترتديها هذا الصباح. آه! بدت الكنزة أكثر تكلّفاً وأناقة، وأبرزت أنوثتها ورشاقة جسمها، لكن كلا القطعتين كانتا تدعوانه إلى معانقتها. فكتاهما جعلتا ليندا تبدو كامرأة خلقت لكي تُضم إلى صدر رجل وترتاح بين ذراعيه.

– تفضّل!

قالت ليندا ذلك وهي تضع صينية الكعك الطازج أمامهما.

مدّ ريك يده ليأخذ قطعة، رغم إدراكه أنه قد تناول منها أكثر من اللازم. لم يستطع إلاّ إغماض عينيه أمام الإحساس بالبسكويت الساخن وهو يذوب في فمه. فكيف يمكن لكعكة بسيطة، ليست من صنع البيت تماماً، أن تفعل به هذا كله؟

فتح عينيه، فرأى ليندا جالسة قبالته، مغمضة عينيها بلذّة واضحة، فيما علقت قطعة صغيرة من الشوكولا الذائبة على شفتيها.

فجأة حدث شيء ما. إذ رنّ جرس الهاتف.

نهضت ليندا ونظرت إلى الجهاز الذي يظهر رقم المتصل، ثم قالت بفرح ظاهر فيما رفعت سماعة الهاتف: «بوبي!»

راح ريك يشاهد تعابير وجه ليندا وهي تتغير، فيما وجّهت إليه نظرة حادّة متسائلة. كان يجدر به أن يتصل ببوبي قبل الآن لكي يخبرها بأنّه جعل أمّها تعتقد أن مجيئه إليها وتقرّبه منها هما فكرته هو.

أغلقت ليندا خط الهاتف، ثم شبكت ذراعيها فوق صدرها وحملقت فيه غاضبة.

سألها بصعوبة: «أتريدين قطعة بسكويت؟».

قالت له بغضب: «هذا كله فكرة بوبي، مررت بي هذا الصباح بناءً على اقتراحها، وعرضت عليّ وظيفة لأن ابنتي قلقة بشأني. أليس كذلك؟»

أجاب بعدم ارتياح: «حسناً! أجل.. وكلا».

- عليك أن توضح هذا الأمر قليلاً.

- أجل يجب عليّ ذلك. أقصد أنها اتصلت بي. بدت قلقة عليك، بسبب بيعك منزل ريفردايل، واختيارك لسيارتك الجديدة. وطلبت مني أن أطمئن عليك.

- خذ كعكاتك وحلواك واخرج من منزلي!

- حسناً يا ليندا.

- لا تقل لي حسناً يا ليندا. أيها المخادع!

يفترض به أن يشعر بالاحراج الشديد، لكنّه بدلاً من ذلك شعر بالرهبة.

حتى في ثورة غضبها، بدت ليندا مذهلة. راحت عيناها تبرقان وصدرها يلهث. وإن لم يكن مخطئاً فإن ليندا تنوي أن ترميه بشيء ما... ولقد فعلت.

أخذت كعكة طازجة وصوّبتها إلى رأسه. أخفض ريك رأسه وانحنى أرضاً، فيما مرت الكعكة قربه دون أن تؤذيه.

- أتيت إلى هنا لأنك تشعر بالشفقة عليّ!

استقرت نظرته عليها، ولم يستطع التذكر لما أتى إليها. من المؤكد أنها، في هذه اللحظة، لا تبدو بحاجة إلى الشفقة على الإطلاق.

- لو كان هذا السبب وراء مجيئي...

مرت قرب رأسه كعكة أخرى فيما أكمل: «... الشفقة ليست السبب وراء مجيئي إليكِ».

كانت ليندا قد تناولت كعكة جديدة، إلا أنها ترددّت في رميها. أسرع ريك يكمل كلامه: «ليندا، عندما رأيتك في ذلك المنزل القديم، أدركت أنكما التوأم المناسب، كبسكويت الشوكولا والجوز تماماً».

- اخرج من هنا!

- ليس قبل أن نحل هذه المسألة كشخصين راشدين.

- لا أريد أن أحلّها.

لم يجد ريك سوى طريقة واحدة لكي يجعلها تفهم، وبشكل لا يحتمل أيّ شك، أنه لا يجدها مثيرة للشفقة، ولا بأي صورة من الصور.

عندما قطع المسافة بينه وبين ليندا، سألته: «ما الذي تفعله؟»

وفيما كانت ترفع الكعكة كأنها مسدس يطلق أشعة لايزر، قالت له: «ابقَ بعيداً عني».

اقترب منها خطوة إضافية وهو يقول: «كلا، لن أبقى».

تراجعت ليندا خطوة إلى الخلف إلا أنها لم تستطع التراجع أكثر، فهذا كلّ ما سمح لها به مطبخها الصغير فالحائط كان مباشرة وراءها.

- لديك بعض الشوكولا هنا.

قالها ريك ثم لمس شفتها ليزيل عنها الشوكولا.

www.elromancia.com

لم تجفل ليندا، أو تخفض رأسها أو تنحني لتهرب بعيداً. نظرت إليه بعينين تتوسلانه أن يقول لها إن السبب وراء وجوده معها ليس كونه يشفق عليها، وليس لأنها في حالة يرثى لها. بل لأنه لم يستطع مقاومة حاذبيتها وجمالها. رفع ريك إصبعه عن شفتها واقترب منها أكثر. وسرعان ما انحنى إلى الأمام وعانقها، ما جعلها غير قادرة على التفوه بأية كلمة.

قبل أن يعانقها، لم يدرك ريك أنّه يتوق إلى هذه اللحظة والى هذه الخطوة منذ أكثر من عشرين عاماً، وأنه قد عاش من أجل هذه اللحظة. القوّة التي بثّها ذلك العناق البسيط فيهما، أثّر فيه بقوة جعلته يبتعد إلى الخلف وهو يشعر بالذهول. إنه الذهول نفسه الذي ظهر في عينيها.

قال ريك: «حسناً! حسناً!»

رفعت ليندا يدها التي لم تكن تمسك الكعكة بها. ظنّ ريك بأنها رفعتها لتمسح آثار عناقه، لكنها لم تفعل ذلك. لقد قامت بلمس المكان الذي لمسه ريك حين عانقها، فيما التمعت عيناها بنظرة غريبة.

- أعتقد أنّه... يجب عليّ أن أغادر.

قالها ريك بينما كان أقصى ما يتمناه في العالم هو البقاء.

وافقته ليندا بغير اقتناع: «أعتقد ذلك».

تراجع مبتعداً عنها، وعن تلك القوة المغنطسية التي ملأت الهواء بينهما، كما تملأ الكهرباء أجواء ليالي الصيف الحارّة قبل بدء العاصفة.

- أنا بحاجة إليك.

قالها ريك، ثم لاحظ أنها قد تُفهم بشكل خاطئ.

- أقصد أن منزل أوبراين بحاجة إليك. حقاً!

أحنت ليندا رأسها.

- سوف تستمرين بالعمل به؟

أحنت رأسها ثانية.

- حسناً! إذاً.

عاد ريك إلى الطاولة وأخذ يكدّس الأوراق في حقيبته، محاولاً تذكر أي

أوراق عليه أن يتركها لها وأيها يحتاج إلى أخذها معه. استدار خائفاً من ذاته، لأنّه إذا عاود النظر إلى عينيها ثانية، فلن يستطيع السيطرة على مشاعره، سوف يفلت الحقيبة من يده، ويعبر الغرفة ليصل إليها ويعانقها من جديد.

- تصبحين على خير.

حيّاها، واتجه مسرعاً نحو الباب. كانت يده قد أصبحت على مقبض الباب عندما استوقفه صوتها.

- ريك!

استدار ريك لينظر إليها.

- شكراً لك.

احمرّت وجنتا ليندا وهي تضيف بتردد: «على الحلويات».

غير أن كلاً منهما كان يدرك أن ليس هذا ما قصدته. كما أدرك ريك أنّه سيتلاعب بقدره إذا ما أجابها بأن ذلك من دواعي سروره. لأن كلاهما يدرك أيضاً أن سروره لم يكن بالحلويات.

٤ - خطوة نحو المجهول

دخل ريك من باب شقته الراقية، ثم وقف ليأخذ نفساً عميقاً ليرتاح وينفّس ما بداخله. شعر كأنه اجتاز للتو حقلاً من الألغام، ولا يزال غير مصدّق أنّه خرج منه سالماً دون إصابة. بدا شارد الفكر تماماً طيلة طريق العودة، حتى إنّه شارف على الاصطدام بمؤخرة سيارة كانت تسير أمامه، عندما توقفت تلك السيارة فجأة.

لقد عانق ليندا ستار ضمها إلى صدره في عناق سريع وخفيف. بالرغم من ذلك أعطاه ذلك العناق لمحة عن شيءٍ كان يفتقده في ذاته. ذلك العناق هزه من أعماقه أكثر مما يحق لتجربة قصيرة كهذه التجربة أن تفعل!

أضاء ريك ضوء المدخل، ودخل إلى غرفة الجلوس، المساحة الأحبّ إلى قلبه. نظره حوله بيأس طفيف أحسه داخله. أراد ريك من أغراضه أن تعيده إلى حاله، أن تقتلعه وتحمله إلى عالمه الخاص ثانية.

بدت الغرفة مليئة بتذكارات جلبها معه من أسفاره العديدة. زرافة منحوتة باليد من أفريقيا، غطاء حريري طويل للأريكة جلبه معه من الهند، سجادة فارسية صغيرة قام بالمقايضة عليها في سوق في تركيا، فنجان ذو قاعدة فضّية اشتراه من لندن. إنها حاجيّاته! لطالما جعلته تلك الأشياء يشعر بالغنى والاكتفاء. غير أنّه الليلة، وعندما عانق ليندا، شعر كأن كلّ شيء سابق مرّ عليه كان مجرّد وهم.

ليس لأيّ رجل أن يشعر بالاكتفاء من الأشياء المادية فقط. لا تستطيع تلك الأشياء أن تقوم بلمس ذلك المكان الدفين في قلبه، الذي لم يدركه ريك من قبل، والآن اكتشف فجأة أنه فارغ إلى درجة كبيرة.

الهواء الذي ملأ بيته لم يحمل أي رائحة. . بدا عقيماً. أراد ريك أن تملأ منزله رائحة البسكويت بالشوكولا. نظر إلى ساعته، فوجد أن الوقت ليس متأخراً ليذهب إلى محل قريب يفتح أبوابه عادة حتى ساعة متأخرة. باستطاعته أن يصنع البسكويت بنفسه، باستطاعته أن يملأ منزله بالروائح الزكية والغنية، فهو ليس بحاجة إليها. . .

فتح ريك باب الخزانة التي تخفي في داخلها جهاز التلفزيون، واسترخى على أريكته. راح ينقّل بين القنوات بسرعة إلى أن أدرك بعد حين أنّه غير قادر على نزع تلك الفكرة من رأسه. عبثاً حاول من خلال التقليب بالقنوات، ومن خلال البرامج السخيفة أن يشغل تفكيره بشيء آخر، إلا أن هذه الفكرة بقيت في رأسه ولم تذهب.

لقد قام بمعانقة ليندا ستار!

عندما احتضنها وشعر بها بين ذراعيه، أحس كأنه عاش حياته كلها منتظراً تلك اللحظة، وكلّ شيء آخر قام به، كلّ رحلة، أو إضافة على مجموعة مقتنياته، كلّ إنجاز حققّه، أو بيت قام بترميمه، كلّها بدت باهتة مقارنة بهذا الأمر. في ظلمة عيني ليندا، وفي نعومة بشرتها، استطاع ريك أن يلمح المكان الوحيد في الدنيا الذي لم يسافر إليه بعد. الأرض الغريبة المجهولة التي هي قلبه هو.

أطفأ ريك جهاز التلفزيون، وأسند ظهره إلى الخلف مسترخياً في جلسته، ثم أغمض عينيه وقال بنعومة: «اللعنة!».

لقد صمّم على إقناع ليندا أنّه لم يأتِ إليها ويقوم بعرض الوظيفة عليها بدافع الشفقة. صمّم على إقناعها أنّه لم يجدها وحيدة وفي حالة يرثى لها. لكن كلّ ما استطاع ريك إثباته هو أنّه لم يكن يعرف حقيقة نفسه.

في الواقع، إنه هو الإنسان الوحيد، وهو المثير للشفقة. خلال سنوات حياته قام ريك بالسفر حول العالم في محاولة لإيجاد ما يملأ به ذلك الفراغ الذي يشعر به في قلبه، عن طريق القيام بمغامرات جديدة واقتناء أشياء ثمينة. لكن قوّة تلك الرغبة المستجّدة داخله، وشعوره بأن لا شيء آخر قادر على ملء ذلك

الفراغ، أفقداه رباطة جأشه، وجعلاه يصر بعناد شديد على استعادة عالمه القديم، حيث هو المسيطر والمسؤول عن كلّ شيء.

أعلن لنفسه بعزم: «عليّ أن أبقى بعيداً عن ليندا».

عليه أن يكفّ عن التفكير بليندا مطلقاً. أن يكفّ عن تذكّر رائحة الشوكولا الشهية العابقة في مطبخها، والشوكولا الذائبة في عينيها. وبالتأكيد عليه أن يتوقف عن تذكر رائحتها المماثلة لنسيم الربيع المنعش، القادم بعد شتاءٍ طويل وقارس، المحمّل بالوعود الدافئة.

عليه أن يجدّ في العمل! أقنع ريك نفسه بذلك. لطالما شكّل العمل البلسم الشافي له. في الماضي، عندما أصبح من الواضح له أن زواجه شارف على الانتهاء، قام بتخليص نفسه من ذلك الزواج نهائياً، ورمى بنفسه في خضمّ العمل إلى أن قارب درجة الهوس والإدمان.

فتح ريك غطاء حقيبته، مستعجلاً البدء بالعمل الذي سيوفر له العلاج الناجع من أفكاره المؤرّقة. على وجه الأوراق الموجودة في حقيبته، رأى كلّ الأوراق والأشياء التي تحتاجها ليندا في عملها.

- اللعنة!

قالها ريك ثانية ممرراً يده في شعره الذي كان قد أفقده ترتيبه من قبل. في هذه الحال ليس أمامه خيار آخر إلاّ أن يرى ليندا ثانية. سوف يعيد هذه الأوراق المهمة إليها في اليوم التالي في منزل أوبراين، وليس في منزلها المليء بالأشياء المبعثرة، ذلك المنزل العابق برائحة البسكويت المخبوز. بدا منزلها له، كالمكان المسحور، حيث يتمّ إغراء الرجل من خلال الأشياء الجميلة التي لا يمكن له مقاومتها أو عدم الوقوع تحت تأثير سحرها.

أعاد إدخال الأوراق إلى حقيبته، وصعد إلى مكتبه في الطابق العلوي وبدأ ينقر على أزرار جهاز الكمبيوتر الخاص به. في بريده الالكتروني وجد رسالة من بوبي. شكرها على رسالتها بسخرية في سره!

اصدر ريك صوتاً مزمجراً وأغلق جهاز الكمبيوتر من دون حتى أن ينظر إلى الرسائل الأخرى التي أتته. عبر الممر إلى غرفة نومه، حيث وقف يتأمل في مياه

النهر الكالحة الغامضة لفترة ليست قصيرة، قبل أن يتوجه إلى فراشه في النهاية.

بدا السرير واسعاً وكبيراً على شخص واحد، بمفرده. أدرك ريك أنّه سوف يتقلّب ويتقلّب ويفكر بلا انقطاع بحياته المنظمة بشكل جيّد، وكيف تمّ إقلاق راحتها وسلامها في وقتٍ لا يتعدى الأربع والعشرين ساعة.

بل في وقت لا يتعدى الخمس ثوانٍ، وذلك حين ارتاح جسد ليندا بين ذراعيه مستقبلاً عناقه المباغت... انزلق ريك بين أغطية السرير الكتّانية، محاول أن يركّز ذهنه على فكرة ذهابه إلى بالي في فترة الميلاد.

ابتدأ ريك بتخيّل نفسه يتمشّى على شاطئ أبيض الرمال، قبالة المياه اللازورديّة، فيما أشجار النخيل تتمايل مع النسيم العليل. وفجأة، ودون أن يدري كيف حصل ذلك، وجد ليندا في هذا المكان أيضاً، ويدها تحتضن يده.

* * *

في صباح اليوم التالي، لم يجد ريك في نفسه الشجاعة والإقدام اللذين أرادهما. وجوده وحده مع ليندا في ذلك المنزل الكبير يحمل كمية كبيرة من الإغراء تصعب مقاومتها.

مسؤولية إيقاف هذا الأمر عند حدّه تقع على عاتقه، خصوصاً أنّه يريد إنهاءه فعلاً. غير أن ذلك، سوف يجبره لسوء الحظ، على لقاء ليندا والتعرض لسحر جمالها فتنتها.

اتصّل ريك بالمتعهد المفضّل عنده، وهو شابّ طموح ذكي يدعى جايسون، وطلب منه أن يلاقيه في منزل أوبراين. أجاب جايسون بتصميم: «لا أستطيع الذهاب هذا الصباح».

ردّ ريك بالتصميم نفسه: «يجب أن يتمّ الأمر هذا الصباح».

- لِمَ هذه العجلة المفاجئة؟

- لَقد ماطلت بالبدء بالعمل بهذا البيت لمدّة أطول من اللازم. بالإضافة إلى ذلك أريدك أن تتعرف بمديرة المشروع الجديدة.

عمل ريك وجايسون معاً في مشاريع تعدّت قيمتها المليون دولار على الأقل. ولم يكن ريك يحتاج إلى تذكير جايسون بذلك.

قال جايسون: «حسناً! سأحاول إعادة تنظيم بعض الأمور هنا، وسأقابلك في ذلك المنزل».

لكن عندما وصل ريك وأوقف سيارته أمام منزل أوبراين، لم يجد سوى سيارة ليندا ستار، السمارت الصغيرة، ولا شيء غيرها. أخذ نفساً عميقاً، وشدّ من عزيمته، متغلباً على الضعف الذي يشعر به، ثم حمل الملّف الذي يحوي المعلومات التي جمعها من أجلها، وصعد على درجات ذلك المنزل العريضة. غمره إحساس بالقلق والتوتر في داخله جعله يشعر أنه أشبه برجل يسير متجهاً نحو مستقبله ومصيره المحتوم.

تجوّلت ليندا في منزل أوبراين الفارغ لتعاينه. في الأمس القريب فقط، بدا لها البيت جميلاً ومليئاً بالوعود، أمّا اليوم، وفيما كانت تسير ودفتر الملاحظات في يدها، بدا لها أنها أشبه بمن يأكل قطعة لا يقدر على هضمها. بالطبع هي لا تعني بسكويت الشوكولا، رغم أنها أكلت من هذه أيضاً أكثر ما هي قادرة على هضمه.

تدفّق اللون الأحمر إلى خديها لمجرد التفكير بهذا الموضوع. لقد قامت هي وريك تشايس بتبادل العناق. حسناً! لم يكن هذا العناق مليئاً بالشغف، إنه مجرد عناق لطيف رقيق، إلا أنه ترك أثراً بالغاً في داخلها.

في تلك اللحظة فقط، عندما راحت ذراعاه تضغطان على ظهرها لجعلها تقترب منه أكثر، راح شيء ما في داخلها يحلّق عالياً. أهو الأمل؟ الأمل بأن هنالك رجل محترم في هذه الدنيا يهتم لأمرها.. الأمل بأنها ستصبح قادرة على منح ثقتها لشخص ما من جديد..

لكنّ ريك كذب عليها عندما أخبرها عن السبب الذي جعله يأتي إليها. من الصعب جداً اعتبار ذلك أساساً صلباً لعلاقة مبنية على الثقة!

لم تكن فكرة ريك أن يمرّ بها أو أن يشركها في ترميم هذا المنزل. كان يجب عليها أن تشعر بالإهانة بشكل أكبر لتصرفه هذا.

إلا أنها لم تكن في حياتها امرأة شديدة الانفعال أو شديدة الشغف. من ناحية أخرى، هي لا تزال تبحث محاولة إيجاد شخصيتها الحقيقية. لربما تكون

حقاً إحدى هؤلاء النسوة اللواتي يقدرن على صفع رجلٍ على وجهه، بقوةٍ قد تدير معها رأسه، بكلّ هدوءٍ وبرودة أعصاب.

الفكرة بحدّ ذاتها، جعلتها تقهقه ضاحكة. آه! ها هي الآن امرأة ناضجة في الثامنة والثلاثين من عمرها تقهقه وحيدة.

أصبحت ليندا إنسانة مختلفة عن تلك التي كانت عليها في اليوم السابق. قبل أن يغلّف ذلك العناق المتهور كلّ شيء بضبابه، حتّى طريقتها في التصرف وردّة فعلها تجاه حقيقة أن ريك لم يأتِ إليها من دون إكراه أو ضغط.

- ركّزي، واحصري تفكيرك.

أمرت ليندا نفسها بذلك، مدركة أنها اكتسبت عادةً جديدة هي مخاطبة ذاتها بصوت عال. لقد أصبحت غريبة الأطوار، انعزالية وفريدة في تصرفاتها، لذا لا عجب أنها اتفقت مع ميلدريد هاوسويل!

مع دفتر ملاحظتها بيدها، ابتدأت ليندا جولتها من الطابق الأرضي وصولاً إلى الطابق العلوي. مع كلّ خطوة كانت تدرك بشكل أكبر مدى ضخامة هذا المشروع.

التوصيلات الكهربائية وتجهيزات التدفئة كان بحاجة إلى تحديث وتطوير. نظام العزل يجب إعادة تحديثه. هنالك جدران يجب إزالتها وأسقف يجب إعادة صنع جفصينها. كما يحتاج المنزل إلى خزائن جديدة، وإلى إصلاح النوافذ أو صنع غيرها. الخشب كان بحاجة إلى أن تقشر عنه الطبقة القديمة، فيعاد صقله ودهنه، أما الشرفة الأمامية فبدت فظيعة. يبدو أنها أضيفت إلى المنزل في وقت لاحق، لذا يجب أن تزال من أساسها.

بالرغم من هذا كله، بدلاً من أن تشعر ليندا بأنها مرتبكة وغارقة في العمل كلما كبرت لائحتها، شعرت بأنها منهمكة ومأخوذة بهذا المنزل الجميل.

- ليندا!

جمدت ليندا في مكانها لدى سماعها الصوت. تساءلت هل هي مستعدة لرؤيته مجدداً؟ أحسّت بشعور سخيف يدعوها للدخول إلى تلك الخزانة الفارغة، وإغلاق بابها، والتظاهر بأنها ليست موجودة. بالطبع، سوف يعتبر

هذا تصرفاً جباناً من امرأة كانت تفكر منذ دقائق بصفعه.

غير أنّ الحقيقة هي أنها أبعد ما تكون عن إمكانية القيام بشيء مثل صفعه. على العكس من ذلك، راحت تتساءل عن الطريقة التي يجب أن تستخدمها لمنع نفسها من التحديق في عينيه!

ردت قائلة: «أنا هنا في الأعلى».

راحت تسوّي تنورتها فيما ساورها شعور بالندم على اختيارها تلك البذلة القديمة الطراز وهي عبارة عن تنورة رمادية ذات قصّة مستقيمة، مع سترتها، كما أنها انتعلت حذاء ذا كعب منخفض. لم تكن تلك البذلة قط بذلة امرأة تتبادل العناق مع رجل أو تقوم بصفعه، غير أنها قد تكون بذلة امرأة تختبئ في الخزانة!

استمعت ليندا إلى صوت خطوات ريك وهو يصعد الدرج، مجتازاً درجتين في كلّ خطوة.

لا تنظري إلى عينيه! أمرت نفسها، مذكرة إيّاها بذلك

دخل ريك إلى غرفة النوم الصغيرة، فوجهت نظرها مباشرة إلى عينيه! بدتا مليئتين بالسحر والغموض. وكما تذكر من الليلة الماضية، فهما تتمتعان بنظرات آسرة. قالت ليندا بصوت هشّ: «صباح الخير».

جاء صوت ريك عميقاً أجش: «ليندا!»

أرجوك، كفى! توسلت ليندا في سرّها. ارتدى ريك هذا الصباح بذلة عملية مقلمة ذات قصّة جميلة، مع قميص بيضاء وربطة عنق مطبّعة باللون الكحلي. هيئته تختصر هيئة رجل الأعمال الجذاب، لولا تلك الشعرات التي أصرت على الوقوف في قمة رأسه، تلك الشعرات المتمردة.

- لقد نسيت...

- ما رأيك في أن...

تكلّم كلاهما في اللحظة نفسها، ثم استغرقا في الضحك معاً. نظرت ليندا إلى أصابع قدميها في ذلك الحذاء العملي جداً، ثم رفعت نظرها إليه. وكان ريك يتأمل وجهها! في هذه اللحظة بالذات، بدت فكرة صفعه أبعد ما تكون عن

تفكيرها. حتى لو قام بمعانقتها للمرّة الثانية!

- نسيت أن أترك لكِ هذه الأوراق.

السبب الذي جعله ينسى تركها احترق داخل عينيه ونظراته. فكرت ليندا أنه لا يحق لأي رجل أن يمتلك مثل هاتين العينين الساحرتين فلونهما الأخضر يتميز بهدوء وإغراء بركة باردة في غابة خضراء في يوم صيفي حار.

أخذت الملف من ريك فاحتكّت يداهما. كيف يمكن لشعورها به أن يكون بهذه القوّة؟ هذا ريك... ريك الذي قام بتغيير كلّ ما حولها عندما عانقها في الليلة الماضية.

- شكراً لك.

بدا صوتها خاطفاً، كشخص يحاول أكثر من اللازم أن يظهر بمظهر الاحتراف. ثم أكملت مسرعة: «لقد أحببت هذه الغرفة فهي تملك الكثير من المميزات»

- أنا أحببتها أيضاً لكنها صغيرة جداً.

- لهذا السبب بالضبط، أرى أنه يجب علينا أن نقوم بهدم الحائط بين هذه الغرفة والغرفة المجاورة.

قالت ليندا ذلك وهي تنظر إلى دفتر ملاحظاتها بدقة.

- بالضبط! اسمعي، اضطررت إلى المرور من هنا اليوم لأنني، وبطريقة ما، أخذت معي دون أن أقصد، كل المعلومات عن المتعهدين والأشياء الأخرى التي تحتاجين إليها.

بالطبع هذا هو السبب الذي أتى به إلى هنا ولا شيء آخر. كلّ ما يفكر به هو العمل، وليس ذلك العناق الذي شغل ذهنه وأصبح يطارد أفكاره. رفعت ليندا نظرها إليه، فوجدته لا يزال يتأمل في وجهها.

أبعد ريك نظره عن ليندا فجأة، ثم توجه إلى نافذة الغرفة وقال: «إنه منظر جميل فعلاً».

- هذا ما اعتقدته أيضاً. فهي تطل على الحديقة الخلفية، التي تتميز بخصوصية مدهشة ومثيرة للعجب، كوننا عملياً لا نزال في وسط المدينة. كنت

أفكر أن هذه الغرفة ستشكل مكاناً مثالياً لإقامة حمام مع نافذة كبيرة. حوض استحمام غير اعتيادي، وأبواب فرنسية هنا بينه وبين الجناح الأساسي في المنزل.

آه! إنها لا تريد حتى التفكير ولو للحظة بالأجنحة الأساسية، والأمور التي تحدث في تلك الأجنحة، خصوصاً بوجود ريك معها في الغرفة نفسها.

لكن التفكير بهذا الأمر كان كلّ ما فعلته. استطاعت ليندا أن ترى الغرفة أمامها، وكأن الأبواب قد تم وضعها بالفعل. تخيّلت المساحات الغنية بالرومنسية؛ أرضية خشبية قائمة من الألواح العريضة، سجادة صغيرة في الوسط، سرير مظلّل بسقف وستائر، وأبواب فرنسية تفصل الغرفة عن الحمام حيث المغطس الساخن المليء بالمياه المعطّرة والشموع الطافية على وجهه. . . .

- تشكّل الحمامات نقطة مهمة في المنازل عند القيام ببيعها، وخصوصاً الحمامات المميزة، كهذا!

وافقها ريك، وأكمل قائلاً: «هنالك صورة في أحد الكتيبات التي أعطيتك إياها، تعكس ما تريدينه بشكل واضح».

مد يده ليأخذ الملف الذي أعطاها إيّاه للتوّ، وفتحه. فتّش بين الأوراق حتى وجد الورقة التي كان يبحث عنها، وسلّمها إلى ليندا. اقترب جداً منها كي يصبحا قادرين على دراسة الصورة سوياً.

تنفست ليندا بصعوبة قائلة: «بالضبط! هذا ما أعنيه».

الحمام الذي كانا ينظران إلى صورته أوحى بالأناقة التامة والترف الذي تتميز به المنتجعات الفخمة. الرومنسية التي تصوّرتها ليندا في غرفتها الخيالية لا تقارن بالجو الحميم السائد في هذه الغرفة؛ الأرض الرخامية، الإضاءة الخافتة، صنابير المياه الذهبية، المغسلة المزدوجة الجميلة. . . حتى إنهم وضعوا مدفّئاً للمناشف.

غير أن المغطس الاستثنائي هو ما شكّل العنصر الأساس في هذه الغرفة. من البديهي أن هذا المغطس معدّ لشخصين.

- ريك؟ هل أنت هنا؟

لابّد أنهما كانا قريبين جداً من بعضهما البعض، لأنهما ابتعدا عند سماع الصوت بحركة مباغتة ومفاجئة.

- لابدّ أن هذا هو جايسون! أردت أن أعرّفك به لأنه أحد أفضل المتعهدين العاملين في حقلنا. كلما أسرعنا في مباشرة العمل، كلما كان ذلك أفضل.

- أنت على حق في ذلك!

اتجه جايسون بخطوات ثابتة إلى داخل الغرفة. بدا شاباً أشقر الشعر، أجعده، مفتول العضلات ويفيض حيوية.

عرّفه ريك بها: «هذه هي ليندا ستار المديرة الجديدة لمشروعنا».

- أوه! لم تخبرني أنّ مديرة المشروع هي فتاة.

أجابه ريك: «إنها امرأة!»

بدا ريك مقتضباً في تصحيحه لقول جايسون. فنظرت ليندا إليه بحدّة.

بدت شخصية جايسون جذابة ومنفتحة خلال جولتهم داخل المنزل، وشاركته ليندا بعض أفكارها الأولية وملاحظاتها عمّا كانت تنوي القيام به.

خلف شخصيته المرحة الساحرة، تحلّى جايسون أيضاً بالجدية في العمل. وهي جدية ظهرت واضحة من خبرته في التعامل مع المنازل القديمة ومتطلباتها.

وجدت ليندا نفسها تنزلق إلى القيام بذلك الأمر الذي لطالما كرهته الفتيات في أمهاتهن: التساؤل عن إمكانية إعجابه ببوبي. راحت تطرح عليه أسئلة شخصية عن حياته من دون أن تتطرّق إلى الأمور الخاصة، وأجابها جايسون عن تساؤلاتها بكلّ سرور. عندما سألته ليندا عن مخططاته المستقبلية هدأت تلك الطاقة التي كان جايسون يظهرها من قبل، وأجابها أنه يأمل أن يتضمن مستقبله فتاة مميزة، عائلة وكلب صغير.

ابتسمت ليندا لسماعها ذلك، فالمتعهد الشاب الواثق من نفسه لم يكن إلا طفلاً كبيراً. أما ريك، الذي يقف في الجهة المقابلة، فكان الشرر يتطاير من عينيه وهو ينظر إليهما.

تساءلت إن كان ريك يفسر اهتمامها بجايسون كنوع من المغازلة. بحق السماء! كلّ ما تبادلته هي وريك كان أقصر عناق في التاريخ، لم يقوما بتبادل

www.elromancia.com

عهود الزواج.

استطاع ريك أن يرى أنها وجايسون قد انسجما معاً وراحا يتبادلان المزاح، إلا أن كليهما مدرك أنها لعبة آمنة وهما لا ينتظران منها نتيجة. فليندا تكبر جايسون بعشر سنوات على الأقلّ.

- مرحباً...

أغمض ريك عينيه وقال مزمجراً: «ها هو ظهور جديد للروح التي تسكن هذا البيت».

أمسك بمرفق ليندا بحزم قائلاً: «أظن أنه يجدر بنا، أنا وأنتِ، أن نذهب لإلقاء نظرة على صالة عرض الحمامات وغرف النوم. هنالك متجر جديد يدعى سيرينتي، ونحن نتعامل معه. أظن أنك لم تريه بعد».

أحسّت ليندا بأنها أخذت على حين غرّة. لم يَدُر في خلدها أنها وريك سوف يقومان معاً باختيار اللوازم والأدوات التي يحتاجها ترميم المنزل. بحق السماء، إنها لا تريد اختيار المغاطس معه!

قادها باتجاه السلم المؤدي إلى الطابق السفلي، حيث كانت ميلدريد واقفة في الأسفل. حدقت المرأة أولاً بريك ثم ابتسمت لليندا. قال ريك موجهاً حديثه إلى ميلدريد: «نحن نهمّ بالمغادرة الآن».

تبعهما جايسون إلى الأسفل، ورافقهما نحو الخارج.

استدارت ليندا نحو ميلدريد وقالت لها: «سوف أعود بعد...».

قطع ريك جملتها قائلاً: «بعد أسبوع».

قالت ليندا لميلدريد بنعومة متجاهلة تذمر ريك: «لِمَ لا تعطيني رقم هاتفك، وسأقوم أنا بالاتصال بك؟»

وأكملت متوجهة إلى جايسون: «أما أنت، فأنا مسرورة جداً بالتعرف إليك، ولا أستطيع الانتظار لبدء العمل معك. متى بإمكانك أن تبدأ؟»

- ما رأيك في الصباح الباكر من يوم غد؟

- سيكون ذلك رائعاً.

قام ريك بفتح باب سيارته لليندا، لكن شيئاً ما في شكل كتفيه أنبأها بأنه

متوتر.

- ما الذي اقترفته تلك المرأة المسكينة لتثير أعصابك بهذه الطريقة؟

- من؟ ميلدريد؟

حسناً! إذا لم يكن وصول ميلدريد المباغت هو السبب في هذا التوتر الشديد؟ فما السبب يا ترى؟

أجابها بعد لحظة: «إنها تذكرني بزوجتي السابقة».

قهقهت ليندا ضاحكة، فاستحقت منه نظرة سوداوية. قالت: «تذكرك بكاثي! كاثي كانت امرأة خلاّبة، أما ميلدريد فامرأة عجوز!»

حدّق فيها، ثم قال: «أنا لا أتكلم عادة عن زوجتي السابقة».

- حسناً، ربما يجب عليك أن تفعل!

- ما الذي سأجنيه من ذلك؟

- قد تشعر بتحسن في داخلك؟

- لم يشعرني الأمر بالسوء، قبل هذه اللحظة!

- إذا كان شخص كميلدريد قادر على تذكيرك بشخص ككاثي، فلابدّ من أنك تشعر بسوء كبير في داخلك.

- أنا لا أشعر بذلك!

- حسناً!

للحظات، ساد الصمت في السيارة. أصبح وجه ريك قاسياً كالحجر، بعدئذٍ أوقف السيارة بعنف ومن دون إنذار إلى جانب الطريق.

- أنا أكره فكرة أن زواجي قد فشل، وأمقت تلك الفكرة. عندما قطعت العهود على نفسي كنت أعني ما أقول.. كان ذلك أسوأ فشل في حياتي.

أجابته بنعومة: «أنا أدرك ذلك».

- أنت تدركين ذلك؟

- لقد أدركت دائماً أنك تشعر بهذا السوء، وكأن الغلطة غلطتك.

- كانت تلك غلطتي. كان يجب عليّ أن أجد طريقة ما لإنجاح الأمور.

أجابته لينداً بحذر: «كاثي كانت امرأة رائعة، إلا أنها لم تهتم إلا بنفسها.

www.elromancia.com

كانت متطلبة غير عقلانية».

تنهد ريك كرجل يحمل في داخله سراً دفيناً ثم قال: «كانت امرأة متسلطة جداً، يا ليندا. مهما فعلت من أجلها، لم يكن ذلك يرضيها أو يبدو كافياً لها».

نظر إليها للحظة، ثم ابتسم ابتسامة صغيرة وقال: «بالضبط، مثل ميلدريد هاوسويل».

ابتسمت هي أيضاً قائلة: «أظن ذلك».

سألها ريك بنعومة: «هل هذه هي موهبتك يا ليندا؟»

وأكمل: «هل تجعلين الناس يواجهون مشاكلهم العاطفية إلى أن يشعروا بأنهم سوف ينفجرون ويتحولون إلى فتات، وبدلاً من ذلك تقودينهم إلى الشعور أنهم بحال أفضل مما كانوا عليه يوماً في حياتهم؟»

شعرت ليندا فجأة بغرابة الموقف فعلقت قائلة: «لا تكن سخيفاً! أنا لا أملك أيّة مواهب من هذا النوع».

- أحقاً؟ أنتِ غير قادرة على سحر رجل بكعكات الشوكولا، أو من خلال الكلمة المناسبة في الوقت المناسب؟

- كلاّ!

- وماذا من ابتسامتك؟ ألا تقومين بإلقاء السحر من خلال ابتسامتك؟

- هذا أمرٌ سخيف!

- أهو سخيف حقاً؟ ما رأيك لو نسأل جايسون إذا ما كان الأمر سخيفاً حقاً؟

- جايسون!؟

- بدا لي أنه مأخوذ بك.

ضحكت ليندا لتلك الفكرة الغريبة.

- ولقد قمتِ أنتِ باستخدام هذا الافتتان بالطريقة الصحيحة، فهو سيبدأ العمل صباح الغد. أراهنك أنني لو كنت أنا المسؤول، كان سيؤجلني إلى الشهر القادم.

- أنا لم أقم بإلقاء السحر عليه.

- اسمعي! ما أريد أن أقوله لك، هو أنك كنتِ متزوّجة لمدّة عشرين عاماً. ليندا أنت لا تدركين القواعد الجديدة للحياة. لا تدركين طبيعة هؤلاء الشبان الحقيقية.

ضحكت ليندا ضحكة مكبوتة ثم سألته: «هل تقوم أنت الآن بحمايتي من حقائق ووقائع العالم الجديد يا ريك»؟

أجابها ريك بقوة بثّت القشعريرة في ظهرها: «أجل، أنا أقوم بذلك»

- لا يفترض بك أن تقوم بهذا.

- كان جايسون ينازلك. وأنتِ قمت بتشجيعه!

ثم أكمل مقلداً إيّاها بصوته: «وما هي مشاريعك المستقبلية يا جايسون؟»

- أنا أعتقد أن جايسون هو شاب جذّاب جداً.

- أدركت هذا الأمر بنفسي.

- أردت معرفة مدى تقبّله لفكرة أن أقدّمه إلى بوبي عندما تأتي في عطلة عيد الشكر. لا أدري لماذا فعلت ذلك. أعرف أن بوبي لن ترحب بتلك المبادرة... أنا أكيدة من ذلك، بل إنّها ستثير اشياءها. لكنك لو رأيت صديقها الأخير، لأدركت لما أفعل هذا. إنه ليس إلا عازف على آلة البونغو.

تساءل ريك بنبرة ملؤها عدم التصديق: «أعجبك جايسون من أجل بوبي!».

- ريك، أنا لست مهتمة بالشبان اليافعين بتلك الطريقة التي ظننتها. هل أنت مجنون؟

هزّ رأسه قائلاً: «أظن أنني مجنون بالفعل».

ثم ابتسم لها معتذراً، وأدار السيارة مكملاً الطريق. بعد قليل، توقف أمام مبنى كبير أمامه لوحة معدنية كتب عليها «سيرينتي».

أخذت ليندا نفساً عميقاً وتساءلت، لِمَ لم تراودها تلك الأفكار من قبل؟ ما الذي تغير فيها وما الذي ستشعر به وهي تتأمل الأسرّة مع ريك تشايس؟ هل سيكون هذا الأمر مثيراً للهدوء والصفاء مثلما يوحي اسم الصالة؟ وكيف يمكنها أن ترفض خوض هذه التجربة فيما هي متشوقة إليها حقاً؟

www.elromancia.com

٥ - مغامرة... اثنتان

قلّما وجد ريك تشايس نفسه في موقف غريب أو مزعج، غير أن شعوراً بالغرابة والانزعاج في آن راوده وهو يفتح باب السيارة لليندا أمام متجر سيرينتي، أشهر متجر للحمّامات الفخمة في كالغاري.

تساءل ريك، أتراه شعر حقاً بنوع من الغيرة بسبب الانسجام والتجاوب بين ليندا وجايسون؟ كلاّ، بالطبع! ما أحسّ به هو مجرد شعور بالحماية تجاهها. ليندا بحاجة إلى معرفة الكثير من الأمور، فقد استجّدت أمور كثيرة لا تدري بها بسبب ابتعادها عن الحياة العصرية لفترة طويلة.

لم يرغب ريك بأن يكون هو الشخص المسؤول عن شرح حقائق العالم الحديث لليندا! هذا الأمر لا يدخل ضمن اتفاقه مع بوبي وعهده الذي قطعه لها.

لقد نجح في مهمته المتمثلة بجذب ليندا مجدّداً إلى قلب الحياة. غير أن ريك لم يفكر ملياً بالتشعبات التابعة لهذا الأمر! لم يعرف مدى مسؤوليته، وحجم المهمة التي ستقع على عاتقه في عملية تثقيفها أثناء رحلة عودتها إلى مسار الحياة.

شعر ريك أنه إذا ما استمر في التصرّف على هذا النحو، فإنّه سيتفوّق على أساليب زوجته السابقة في التسلّط! فالاهتمام بشخص ما لا يعني أبداً السيطرة عليه أو امتلاكه. الاهتمام يعني الحماية ومعرفة الطريقة الأنسب لمساعدة الآخر في تحقيق ما يريد. غير أن الخط الفاصل بين هذين الأمرين هو أمر يصعب على البعض إدراكه.

بالنسبة لريك، لم يكن استعراض مغاطس الحمام مع ليندا، هو الأمر الأمثل للبدء سوياً!

بدا متجر سيرينتي رائعاً. لطالما استمتع ريك بمشاهدة غنى البضائع والنوعية الممتازة التي اعتاد المتجر تقديمها. أمّا اليوم، فقد أدرك أن كلّ شيء في هذا المتجر كان معدّاً لإثارة حواس ورغبات الزبائن. من الإضاءة التي تبعث على البهجة، إلى الروائح المغرية، والأدوات المميزة الفريدة من نوعها... لم يكن هذا المتجر معدّاً للأشخاص الذين يعتبرون الاستحمام مجرد أمر من أمور النظافة الشخصية.

- يا إلهي! ما هذا؟

تمتمت ليندا بنبرة لا توحي بأنها ليست سعيدة على الإطلاق. ثم تابعت بحماسة: «هذا المكان يعكس قمة الرومنسية. إنّه بالضبط التأثير الذي نريد من الحمام في الجناح الرئيسي للمنزل أن يعكسه. أليس كذلك؟»

نحن! رومنسية! تأثير! جالت هذه الكلمات في ذهن ريك، فيما أحسّ بقطرات من العرق تتجمع على جبينه.

- انظر يا ريك، هذا حوض جميل!

قالت له ليندا ذلك وهي تتحرك بخفّة في صالة العرض متجهة إلى طقم حمام أنيق. تبعها ريك سائراً في الاتجاه نفسه. الحوض الذي أشارت إليه ليندا، لا يمكن أن يصنّف بأنه تقليدي بأي شكل من الأشكال. فعوضاً عن البورسلان الخارجي العادي للأحواض، غطي جدار هذا الحوض بالخشب المصقول، فبدا كأنه درابزين صغير تمّ وضعه تحت الحافة العليا للحوض، وقد ثبت بقطع نحاسية أنيقة. أما الصنابير التي وضعت على جانبي الحوض، عوضاً عن وضعها في آخره، فبدت قديمة الطراز، ومصنوعة أيضاً من النحاس.

- هذا الحوض يلائم طابع البيت بشكل واضح. ألا تعتقد ذلك يا ريك؟

لم يستطع ريك إلا أن يوافق على ذلك.

قالت ليندا بنبرة يشوبها الشك: «وُضعت عليه بطاقة تشير إلى أنّه معد ليستخدم من قبل شخصين معاً».

شعر ريك أن فمه قد أصابه الجفاف. في حقيقة الأمر، لم يشأ أن يفكر بالأحواض المعدّة لشخصين مع وجود ليندا في الجوار، كما أنه لم يشأ التفكير

بالتأثير الملائم، ولا بالرومنسية.

تساءل ريك وهو يشدّ ياقة قميصه بعيداً عن رقبته: «ألا يوجد مكيّف للهواء في هذا المكان؟»

– يبدو لي أنّه من غير الممكن لشخصين أن يجلسا مرتاحين في هذا الحوض.

لطالما شعر ريك أن ليندا هي إنسانة متزمتة إلى حدّ ما. تعود فكرته هذه عنها إلى الأيام التي كانا يعملان فيها معاً منذ سنوات طوال. إنها تتمتع بقدرة رهيبة على التركيز تحجب عنها أي إلهاء خارجي.

دارت حول الحوض مرّتين، وعلا جبينها عبوس أخذ في الازدياد، أما ريك، فأخذ ينظر حوله في الصالة وهو يشعر باختناق شديد. راح يتساءل إن كانت هناك مروحة في ذلك المكان.

– أعتقد أن طوله مناسب وجيّد. غير أنني لا أستطيع قول الشيء ذاته عن عرضه.

توهّج وجه ريك إلى درجة الاحتراق، كتلميذ مدرسة صادف معلمته الجميلة مستلقية في حوض استحمام ولا يعلوها إلاّ فقاعات الصابون والأزهار!

برر ريك لنفسه بأن هذا النوع من الاهتمام الدقيق بالتفاصيل، هو المسؤول عن دفع المبالغ الضخمة في سوق بيع المنازل الذي يعمل به. والآن ماذا؟

سألته: «ألا تعتقد أن الأشخاص الذين يقومون بشراء الأحواض المعدّة لشخصين يريدون أن يستحموا إلى جانب بعضهم البعض؟»

– لا أملك أدنى فكرة عن الموضوع.

توسل إليها ريك في سره أن تراف بحاله.

التقت عيناها بعينيه... المرح الذي بدا عليهما من قبل اختفى وحلّ مكانه شيء آخر أكثر حرارة. عضت ليندا شفتها بعصبية، غير أن تأثير حركتها تلك لم يجعل الأمر أكثر سهولة على ريك. تذكّر ريك بوضوح ذلك العناق الذي تبادلاه في منزلها. أما الآن، وهي على هذه المسافة القريبة منه، كلّ شيء آخر اختفى: الأضواء، المتجر والأصوات. كلّ شيء عداها.

رفعت ليندا إحدى يديها، فحبس ريك أنفاسه، معتقداً أنها سوف تقوم بلمس وجنته، أو حاجبه أو ربما شفتيه. غير أنّ ليندا قامت بتسوية تلك الخصلة المتمردة من شعره. تلك الخصلة التي ما زالت تعذبه كما عذبت أمّه في أيّام الطفولة. استعاد ريك بعدئذٍ أنفاسه.

– آه!

قالت ليندا، فيما سادت عينيها نظرة عميقة. بعد ذلك أصبحت هادئة جداً، وبدا عليها أنها تفكر في حقيقة أنها وريك يتحدثان في أمر غاية في الحميمية.

علت وجنتيها حمرة قانية، استحقت كلّ لحظة غير مريحة قضاها ريك إلى جانبها.

في تلك اللحظة أطل بائع. سرعان ما اقترب منهما وسألهما: «هل أستطيع مساعدتكما؟»

– هذا ليس بحوض معدّ من أجل شخصين.

أعلمت ليندا البائع بذلك، بالرغم من الورود الحمراء التي لوّنت خديها. ثم أكملت: «لقد وضعتم في إعلانكم عنه أنّه معدّ لشخصين».

أجاب البائع بلباقة تامة: «لربما تم صنع هذا الحوض في بلد حجم الناس فيه أصغر».

ثم أكمل: «... أو في مكان يستحم الناس فيه وهم يرتدون ملابسهم...».

وجّه إليه ريك نظرة نارية محذّرة، فتوقف البائع عن إكمال كلامه بلمح البصر.

سألهما البائع: «أأنتما حديثا العهد بالزواج؟»

توردّ وجنتي ليندا تحوّل إلى لون أحمر قانٍ. ركزت انتباهها على إصلاح شأن تنورتها متجاهلة ملاحظة الرجل. ولاحظ ريك نظرات البائع الشرهة وهو يتأمل ليندا، فوجه إليه نظرة قاتلة بحدّتها.

– نحن شركاء عمل.

www.elromancia.com

أجاب ريك بذلك ثم أخرج بطاقة عمل من جيبه، وقدّمها إلى البائع لإبعاد نظرات الرجل عن ليندا التي تقوم بتعديل تنورتها.

نظر الرجل إلى البطاقة التي قدّمها إليه ريك، وسرعان ما لاحظ هذا الأخير تعابير الاحترام تعلو وجه البائع لدى معرفته للاسم.

- ميرسير مايتلاند.

عرّف البائع بنفسه، ثم أضاف: «هذا الطراز من الأحواض يأتي أيضا بحجم أكبر».

سألته ليندا مستفسرة: «ما هو حجمه؟ هل هو أعرض من هذا؟»

- سوف أذهب لإحضار الكتيّب الخاص به.

قال ميرسير لهما ذلك وهو يسارع في الانصراف.

بعدما ذهب ميرسير. تجوّلت ليندا في الصالة مستعرضة الحمامات الأخرى المعروضة، فيما حافظ ريك على مسافة صغيرة بينه وبين ليندا، من باب الاحتياط.

- هذا الطراز عصريّ جداً.

قالت له ليندا ذلك مشيرة إلى حوض ضخم مجهّز، وأكملت: «إنه لا يتلاءم مع الجوّ العام للمنزل».

شكر ريك ربّه في سرّه لأن ليندا لم تقرّر تجربة ذلك الحوض، بالرغم من أنّه بدا جلياً أنه يتسع لشخصين...

إن عالم اليوم هو عالم جديد، وليندا جاهلة تماماً لخباياه. ماذا لو تورطت دون إرادتها مع أشخاص يستغلون براءتها وجهلها لما يدور في هذه الحياة من ألاعيب، لاسيما هذه الأيام؟

لحسن الحظ عاد ميرسير، جالباً معه الكتيّبات الجديدة وصور الحوض الأكبر، قبل أن يتسنى لريك أن يفكر بكيفية إيجاد طريقة لحماية ليندا من الرجال السيئين؟ غير أن الخطر المحدق بليندا كان وشيكاً جداً، فقد بدا ميرسير معجباً بها بشدّة.

أمل ريك أن تكون ليندا مدركة لإعجاب ميرسير، وربما بسبب هذا الأمر

قامت باختيار بقية اللوازم بسرعة، مثل مرشة الحمام، الحاجز الزجاجي للمغطس، كرسي الحمام، ومدفئ المناشف...

طلب ريك من الرجل أن يضع جميع هذه اللوازم على حساب شركة ستار تشايسرز، غير أن ميرسير استطاع أن يجد طريقة أخرى ليسلّم إلى ليندا بطاقة العمل الخاصّة به.

* * *

أليس هذا أمراً لطيفاً؟

سألت ليندا ريك وهما في طريقهما إلى السيّارة، حاملة مناشف استحمام بيضاء معدّة للزبائن. حاول ريك أن يتذكّر إذا ما كان قد تلقى ولو منشفة واحدة للدعاية. كان متأكداً من أن هذا الأمر لم يحصل يوماً.

- انظر، لقد وضع لي في الكيس رقم هاتف منزله، إذا ما احتجت إلى الاتصال به لأمر ما بعد انتهاء ساعات العمل.

- كم هو لطيف!

أجابها ريك ضاغطاً على شفتيه إلى درجة الألم. حسناً! إنّ عملية تثقيف ليندا ستار حول مخاطر العالم الحديث، سوف تكون مهمته التالية.

من أيّ نقطة على الرجل أن يبدأ، عندما يأخذ على عاتقه مهمة صعبة كهذه؟ هل بإمكانه أن يلقي عليها محاضرة عن هذا الأمر؟ مهما تكن الطريقة، يجب عليه أن يمرّر إليها بعضاً من تلك الحكمة التي اكتسبها عبر سنوات حياة العزوبية وعبر مشاهدته لبرامج التلفزيون النهارية.

فكّر ريك في قرارة نفسه أنّه لابدّ له أن يكون مثال الكياسة في مهمته تلك. يجب عليه أن يدعها تعلم كيفية تفكير الرجال في الحقيقة. أن تعرف المعنى الحقيقي وراء وضع بائع مغاطس الاستحمام لرقم هاتف منزله على الوجه الخلفي لبطاقة عمله.

- هل أنتَ على ما يرام؟

- أجل، أنا بخير.

- لا مانع عندي من الذهاب الآن لمشاهدة بعض الخيارات للأرضية،

لكنني أستطيع الذهاب بمفردي. فقط أعدني إلى المنزل وأنا سآخذ سيارتي.

أيدعها تذهب بمفردها؟ تساءل ريك في سرّه. أجل، بالطبع! من يدري ما الذي قد تتعرض له أثناء اختيار أرضية غرفة النوم الرئيسية؟ من تراها ستصادف هناك، في متجر الأرضيات؟ هنالك نماذج مشابهة لجايسون وميرسير في كلّ زاوية، وريك لا يملك الوقت الكافي لتوعيتها بشأن نواياهم الحقيقية وما الذي يريدونه من المرأة. إنهم يريدون إغواءها ومشاركتها السرير!

تماماً كما يريد هو ذلك!

آه! لقد أصبح سخيفاً إلى حدّ ما. أدرك ريك ذلك بعد أن ألقى نظرة سريعة إلى ساعته. لقد فوّت حتى الآن، موعدي عمل في هذا الصباح. ريك تشايس لم يكن أبداً ليفوّت مواعيد العمل! ها قد ابتدأت حياته بالانحلال. يجب عليه أخذ هذا الأمر كإشارة على ذلك! عليه أن يتراجع الآن.. أن يستعيد تحكمه الطبيعي بحياته ويستعيد رباطة جأشه.. أن يعيد تقييم ما يحصل الآن، وما الذي يريده أن يحدث في المستقبل.

على الرغم من كلّ ما فكر به، وجد ريك نفسه يقول: «سآتي معك للبحث عن الأرضيّة المناسبة. ليس لدي جدول مواعيد اليوم».

- عظيم!

تأكّد ريك من صوابية عمله عندما قرّر مرافقتها. سُحِرت ليندا تماماً بصديقه الذي يعيد صقل الأخشاب، وظهر الافتتان بينهما متبادلاً. تساءل ريك عما إذا كانت ليندا تظن أن إد لم يعد يشكل خطراً على النساء لمجرد بلوغه الثانية والسبعين!

في نهاية اليوم شعر ريك بأنه مرهق تماماً. بينما بدت ليندا ساحرة ومليئة بالنشاط، عيناها تبرقان بحيوية الحياة، فيما أخذت تثرثر بسعادة، وهي تتحدث بإعجاب عن مغطسها وخياراتها للأرضية.

أنزلها ريك قرب سيارتها.

- شكراً لك يا ريك، لقد أمضيت يوماً جميلاً.

كان بالفعل يوماً جميلاً! يوم مرهق، لكنه جميل. أيقن ريك أن هناك الكثير

مما يجب عليه أن يعلّمه لليندا، ومجرد التفكير بذلك زاد إرهاقه. سألها بتلقائية: «ما رأيك بأن نقوم بجولة معاً على دراجتي النارية نهار السبت؟»

سيكون الأمر مثالياً. بإمكانهما أن يتوقفا لشرب القهوة أو لمشاهدة المناظر الطبيعية، وهناك ستسنح له الفرصة للتحدث عن الحيل القذرة التي ينصبها الرجال للنساء أمثالها.

أصبحت ليندا هادئة جداً بعد سؤاله. نظرت إليه مطوّلاً حتى شعر بأنه سيغرق في بحر عينيها، ولن يخرج من هناك مجدداً. ثم داعبت أجمل ابتسامة رآها ريك شفتي ليندا.. ابتسامة ناعمة، وخجولة إلى حدّ ما. تلك الابتسامة أكّدت لريك صوابية ما يقوم به. تلك الابتسامة بالضبط هي السبب وراء احتياج ليندا إليه لكي يفتح عينيها على الحقيقة. انطلاقتها إلى العالم مسألة جديدة عليها، وهي خائفة من ذلك. برأي ريك، يجب عليها أن تخاف، فالحياة مليئة بالذئاب والأفاعي.

أجابته ليندا: «لسوف أحب مشاركتك في ذلك».

ثم عادت تسأله: «لكن ما الذي يجب أن أرتديه لكي أركب الدراجة النارية؟»

فجأة، ساور ريك شعور رهيب جداً، بأن ليندا التي سترتدي الجلد الأسود ستكون أخطر عليه من ليندا الجالسة التي تتحدث عن المغاطس.

آه، ما أصعب الأمور التي يجب على الرجل القيام بها باسم الواجب! وعَدها قائلاً: «سوف أحضر لكِ أنا شيئاً مناسباً».

تأكّدت ليندا من صحة العنوان لمرّة جديدة، ثم ركنت سيارتها في الممر وخرجت منها. مجمع الشقق الذي يقطنه ريك حديث الطراز ومختلف عن الطراز التقليدي للشقق السكنية، كما بدا ضخماً ويمتاز بذوق رفيع. بدت الشقة من الداخل، ذكورية الطابع، وملائمة تماماً لرجل كريك.

مضت عدّة أيام منذ أن رأت ليندا ريك، فهي لم تلتقِ به منذ ذلك اليوم حين تسوّقا باحثين عن المغاطس والأرضيات. لكنها كلّمته على الهاتف يومياً،

وتحادثا أحياناً أكثر من مرّة في اليوم. كانت تراجع التفاصيل الخاصة بالعمل معه، تطلب نصيحته، وتتعلم من تجاربه. لقد اعتمدت تماماً عليه وعلى خبراته.

غرامها بمنزل أوبراين، أخذ في الازدياد يوماً بعد يوم. وبالرغم من أن التعامل مع ذلك المنزل هو أشبه بالتعامل مع امرأة عجوز متطلّبة، إلا أن ليندا أحبت العمل. أحبت النهوض في الصباح لتجد مكاناً تذهب إليه، وعملاً تقوم به. وهو ليس مجرد عمل عادي، بل وظيفة تحبها. تساءلت عن السبب الذي أخّر عودتها إلى خضم الحياة. كما شعرت بالامتنان، ولو على مضض، لابنتها لإعادة عجلة الحياة لديها للدوران.

أمّا اليوم، فليندا ستار الجديدة كانت على وشك الحصول على رحلتها الأولى على الدراجة النارية. لابدّ أن ريك كان في انتظارها، فبمجرد وصولها إلى الباب قام بفتحه لها. ارتدى ريك قميصاً قطنية بيضاء مع بنطلون جينز، فوقهما معطف جلدي طويل اسود اللون. أشارت ملابسه إلى شخصية متمردة داخل رجل الأعمال الناجح، كما أبرز المعطف طوله وقوّة جاذبيته. حتّى تلك الخصلة المتمردة في شعره، بدأت ملائمة تماماً لريك هذا. تذكّرت ليندا فجأة، ملمس تلك الخصلة تحت أصابعها.. ناعمة ومتشعثة.

توقفت ليندا ونظرت إلى ريك، متذكرةً أشياء أخرى؛ بالتحديد ذلك العناق الذي تبادلاه في منزلها. قالت من دون تفكير: «هذا ليس موعداً غرامياً، أليس كذلك؟».

رفع ريك رأسه ضاحكاً، وقال: «حسناً! إنه ليس كذلك طالما أنه لا يجعلك تشعرين بالارتباك. بالإضافة...»

أخفض ريك صوته، وانحنى نحوها مكملاً: «... بعد أن مرت تجربة ذلك العناق، لابد أن مرحلة الشعور بالارتباك أصبحت خلفنا الآن. هل تريدين أن نلقي نظرة على الشقة، أم نمضي مباشرة؟»

بالطبع، أحسّت ليندا بتلك الرغبة الأنثوية الصرفة لرؤية المكان، ورؤية الخفايا التي قد يكشفها لها. منزل ريك بدا مرتباً، ذا ذوق رفيع، وديكور متكلّف وراق. الستر الوحيد الذي اكتشفته ليندا من شقة ريك هو أمر كانت

تحس به من قبل: ريك تشايس ينتمي إلى عالم أكبر بكثير من العالم الذي انتمت هي إليه.

- فيما كنت أنا أمضي أيامي وأنا أمسح أنوف الأطفال في المدرسة، بعملي كمساعدة في الصف. وأنذر حياتي، لأبقي مناشف الطاولة بيضاء كالثلج، كنت أنت تجوب أفريقيا.

قالت ليندا ذلك وهي تشعر بأنها غير ملائمة في ذلك المكان، بينما لمست تمثال الزرافة المحفور يدوياً، الذي يلائم بشكل تام مفروشات الجلد في غرفة الجلوس.

لمس ريك ذراعها بخفّة قائلاً: «ليندا! لا تقولي هذا الكلام. وكأنك توحين بأن أحد الخيارين أفضل من الثاني. كلّ ما هناك أنهما مختلفان، وهذا كلّ شيء. ألا تدرين كم من المرّات كنت أنظر إليك متمنياً لو أن الأمور سارت معي بشكل مختلف؟»

- متى حصل ذلك؟

- في عيد الميلاد ذاك، عندما دعوتني عدة مرات إلى منزلك بعد طلاقي. ألا تدركين كم كنت أتوق لأكون أنا الشخص الذي يقوم بوضع تلك الزينة المصنوعة في المنزل على شجرة العيد؟ أو أكون أنا الشخص الذي يحاول تركيب الدراجة؟

- هل أنت جاد في قولك؟

- آه! أجل أنا كذلك.

نظرت ليندا إلى عيني ريك، وأدركت مدى صدقه. امتلك زوجها ذلك كله، ولم يظهر ولو مرة واحدة، مقدار ذرّة من التقدير والامتنان للأمر. الزواج والواجبات العائلية كانت بمثابة سجن بالنسبة لبلير. اليوم لم يكن الوقت الملائم لتذكر هذه الأشياء، بل هو الوقت الملائم لمعانقة واعتناق هذه المغامرة الجديدة التي أصبحت حياتها عليها.

- تفضلي! وجدت لك بعض الثياب الجلدية. بإمكانك تبديل ثيابك في حمّام الطابق السفلي. سنتطلق بعد أن تنتهي.

إذا ما أملت ليندا بأنها سوف تبدو فاتنة في الثياب المصنوعة من الجلد الأسود، فإن خيبتها كانت عميقة.

البذلة التي أعطاها إياها ريك كانت كبيرة المقاس عليها. بالرغم من ذلك، هي واثقة من أنها مصنوعة من أجل امرأة. أتراه ذهب في جولات مع نساء من قبل؟ تساءلت ليندا، ثم أجابت نفسها أنه بالطبع قد فعل. حياته الشخصية ليست بالأمر الذي يحقّ لها السؤال عنه. لربما وجب عليها سؤال نفسها هذه الأسئلة قبل أن تأتي إلى هنا. إلى أين سيؤدي بهما هذا الأمر؟ ما هي نوايا ريك الحقيقية؟ و ما هي نواياها هي؟

عندما نظرت إلى صورتها في المرآة، وجدت أنها تبدو جدية جداً. ألا تستطيع أن تستمتع ولو قليلاً؟ هل يجب أن تقوم دوماً بتحليل الأمور؟ أتراها تخشى من إمكانية تعرضها لجرح جديد في قلبها في نهاية المطاف؟ هل سيقوم ريك بتحطيم قلبها أيضاً؟

أنبت ليندا نفسها بصرامة قائلة: نحن لسنا بصدد هذا الموضوع. نحن فقط صديقان قديمان جداً، ذاهبان لتمضية النهار سوياً.

لكن لم يكن هذا ما بدا في عيني ريك عندما خرجت ليندا من الحمام.

- تبدين جميلة جداً!

نظرت إليه عابسة، فملاحظته هذه ليست الطريقة الفضل لبداية نهار لصديقين قديمين يمضيان الوقت سوياً.

- لِمَ تنظرين إليّ بهذا الشكل؟

أجابته ليندا بنعومة: «لا أريد أن تتعقّد الأمور بيننا».

قال ريك بصوت متأنٍ: «حسناً! لا مزيد من المغاطس، أو البسكويت، أو العناق».

- هذا ملائم جداً.

أجابته ليندا بتصميم. غير أن هذا لم يكن شعورها عندما قام ريك بمساعدتها على وضع الخوذة على رأسها، ثم وضع خوذته. خرجا من باب خلفي للمنزل يصل بينه وبين المرآب. بعد لحظات كانت ليندا تجلس على دواجة

نارية للمرة الأولى في حياتها، وتتمسك بريك بكلّ قوتها.

بالرغم من الحاجز البسيط الذي شكله اللباس الجلدي، إلاّ أن ليندا شعرت بكلّ حركة يقوم بها ريك. أحست بقوّة جسده، بصلابة كلّ عضلة فيه، بينما كان تتمسك بكتفيه بقوة.

في الواقع كانت تشعر ببعض الخوف، وأحسّت بالفعل بأنها هشّة جداً على تلك الدراجة، غير أنها سرعان ما أحسّت بمدى تحكّم ريك بتلك الآلة، وبثقته بقدراته وهو يدخل ويخرج بين السيارات بسهولة ويسر. إن ركوب الدراجة خلف ريك بدا مشابهاً للرقص معه. راحت ليندا تقيس حركاته، تنحني معه، تنقل وزنها من جهة إلى أخرى، تترقب الخطوة المقبلة... هدير المحرك القوي، أرسل في داخلها شعوراً جميلاً باليقظة والتنبّه.

سرعان ما أصبح ريك وليندا خارج المدينة، على الطريق المفتوحة. المحادثة بينهما بدت مستحيلة، غير أن ليندا لم تستطيع مقاومة الشعور بأنهما يتواصلان من دون الحاجة إلى الكلمات. استطاعت أن تشعر بمدى ارتياحه لأنها كانت قريبة جداً منه. كما استطاعت أيضاً أن تشعر بأنه يتمتع بلياقة بدنية تامة. هذا القرب الشديد من رجل، جعل ليندا تعي مدى وحدتها والفراغ الذي يملأ حياتها.

في ظروف طبيعية، كانت ليندا لتقاوم أفكارها هذه، أمّا في وضعها هذا، وعلى الدراجة، فمن الطبيعي أن تنتبه إلى ذلك الشعور. إلا أنها قررت الاستمتاع بيومها، وعدم التفكير بأي شيء آخر. بدا النهار دافئاً. إنه يوم مثالي في نهاية الصيف. أوراق الأشجار بدت موشحة باللون الذهبي، والشمس تبسط أشعتها على الأراضي العشبية المحيطة بالطريق. عند قرية كلاريشولم الصغيرة، استدار ريك وأخذ طريقاً فرعية، حيث رأيا مجموعة من رعاة البقر، يرعون الماشية وهم يمتطون ظهور أحصنتهم، كما تمتعا برؤية لمحات من الجبال الصخرية البعيدة.

توقف ريك إلى جانب الطريق، وأطفأ المحرّك، ثم قال: «انظري!».

أشار بيده يدلّها على طائر ضخم، كانت ليندا قد تعرّفت إليه من خلال

كتابها الجديد عن الطيور: إنه النسر الذهبي، وهو أضخم من النسر الأصلع. جلس النسر على قمة شجرة ضخمة ينظر إليهما في الأسفل. نظر إليه ريك وليندا بصمت ورهبة، ثم استدار إليها.

- كيف تبلين مع هذا الأمر؟

- لقد أحببته جداً، فهو يجعلك تشعر بحرية مطلقة. لربما هو أقرب شعور إلى الطيران قد يحسّه الإنسان.

أومأ ريك موافقاً، وأضاف: «الميزة الإضافية، هو أنّك لست مضطرة إلى تحمل مخاطر الطيران».

تأملا الطائر لفترة إضافية، ثم عادا إلى ركوب الدراجة. سرعان ما أصبحا على الطريق الرئيسية من جديد. عاد ريك من الطريق التي أتيا منها ملتفاً حول المزارع. الآن أصبحا في منطقة طبيعية آخّاذة، حيث تنتشر الغابات الكثيفة، وحيث التلال المتوّجة بالأشجار تنحدر باتجاه عظمة جبال الروكي المكللة بالثلج الأبيض في الغرب.

عبرا في طريقهما قرب مزارع ذات أبواب خشبية ضخمة قديمة، وأسماء خارجة من القصص، وقطعان من الماشية السمينة. أخيراً، وصلا إلى مدينة صغيرة تدعى لونغفيو، فأوقف ريك دراجته أمام قهوة نافاجوماغ التي يملكها مغنٍ يدعى إيان تايسون. طلب ريك وليندا القهوة. وبنظرة محتالة أخذ ريك أيضاً عليتين كبيرتين من البسكويت بالشوكولا، ثم غرقا في الأريكة الجلدية المريحة.

قال ريك: «حسناً! لدي هدف مخفي خلف هذا اليوم».

أملت ليندا أن يكون هدفه كهدفها، الذي تغير بشكل جذري منذ الصباح، حين كانت مصممة على عدم حدوث أي تعقيدات! نظرت إلى عيني ريك، ثم نظرت بخفة بعيداً عبر النافذة المواجهة للعشب، والتلال، والماشية.

- أريد أن أعلم ما الذي تعرفينه عن وضعك كامرأة عازبة في مثل هذا العمر، وفي أيّامنا هذه.

- أعطني مثلاً عمّا تقصده بكلامك.

بدا على ريك عدم الارتياح بشكل واضح. ثم قال وانزعاجه يزداد: «حسناً! هل تعرفين مثلاً شيئاً عن المضايقات التي تتعرض لها النساء؟»

لسوء الحظ كانت ليندا قد قامت للتو بقضم قطعة كبيرة من البسكويت. ومع سؤاله هذا، نزلت القطعة من الطريق الخاطئة، فبدأت بالاختناق. ربت ريك ما بين كتفيها، حتى إن النادلة عادت أدراجها نحوهما، وقد بدت قلقة عليها.

كادت ليندا تموت من شدّة الضحك. ما إن استطاعت ابتلاع ما علق في بلعومها، حتى تناولت كوب الماء الذي عرضه عليها ريك. شربت جرعة منه، والتقت عيناها بعيني ريك.

- ريك! لدي ابنة في الثامنة عشرة من عمرها. بالطبع أعرف معنى المضايقات التي تتعرض لها النساء. السؤال هو كيف تعرف أنت عن هذا الموضوع؟

بدا على ريك السخط، ثم اعترف قائلاً: «من برنامج أوبرا».

ضحكت ليندا ثانية، وأحبت الشعور الذي بعثته الضحكة داخلها. منذ متى جفّ الفرح نهائياً من داخلها؟ لسوء الحظ، ليندا تعرف متى حدث ذلك بالضبط، لكنها لم تشأ التذكر. لاسيّما اليوم وهي برفقة هذا الرجل المرح. حضنت ليندا يد ريك بيدها وسألته: «ما الذي قصدته من هذا السؤال يا ريك؟».

أجاب بشكل دفاعي: «إنه مجرد سؤال لإجراء نقاش فقط!»

- كلاّ، إنه ليس كذلك.

تنهد قائلاً: «حسناً! شعرت بالقلق عليكِ وأنت، كما تعرفين، تعاودين دخول الحياة. الشبان يجدونك جذّابة، ومن الممكن أن تتعرضي للأذى».

ردّدت ليندا كلامه بدهشة: «الشبان يجدونني جذّابة؟»

- مثل جايسون!

قالت ليندا لريك بنعومة: «جايسون يناديني ماما!»

- هل يفعل ذلك فعلاً؟

- جلبت له معي سندويش أعددتها في المنزل يوم الجمعة الماضي، كما أعددت له الليموناضة، ما جعله يناديني كذلك.

- حسناً! أنا لم أقصد جايسون بالذات، بل الشبان بشكل عام. أظن انه يجب عليكِ معرفة ما ينتظرك.

شعرت ليندا بالسرور لأنها لم تكن تأكل المزيد من البسكويت، لأنها كانت ستختنق حقاً لمقاومتها الصعبة لضحكتها.

- يا لها من فكرة لطيفة!

قالت ليندا بنعومة وأكملت: «لِمَ لا تخبرني أنت بكلّ ما تعرفه؟».

* * *

في الظلمة التي بدأت بالتجمّع، وقف ريك يراقب سيارة ليندا وهي مغادرة.

هذا اليوم، لم يمرّ عملياً على خير ما يرام. إن هدفه من وراء قضاء هذا اليوم برفقة ليندا كان توعيتها ومساعدتها على الاستعداد للدخول مجدداً إلى العالم. هذا العالم المليء بالرجال الفاسقين الذين هم على أتم الاستعداد للكذب عليها لاستغلالها.

ليندا امرأة جميلة القوام، جذّابة، ومن دون خبرة، لا بدّ أن يجعلها هذا الأمر هدفاً لعديمي الضمير والمتلاعبين بقلوب النساء. عوضاً من توعيتها، شعر ريك بأنه تاه في مكان ما خلال الطريق. لقد نسي خطّته ووضعها جانباً، وضاع في ضحكة ليندا. كيف يمكن لأي رجل أن يتذكر ما الذي قد خطط له، وما هو مطلوب منه في ظروفٍ كهذه؟

شعر ريك أنه بدا مغفلاً بشكل كامل، لكنه على الأقل، أدرك أنها تعرف معنى المضايقات التي تتعرض لها النساء. اتّسعت حدقتا عيني ليندا كعملة مستديرة، عندما شرح لها معنى «المستأسدة».

- المستأسدة هي إذاً امرأة كبيرة في السن تشعر بالانجذاب إلى الشبان الأصغر منها سناً؟

- أظن ذلك. بالتحديد أكثر، هي امرأة كبيرة تصطاد الشبان.

- تصطاد!؟

سألته ليندا وهي تفكر بالكلمة ملياً، ثم أخذت رشفة من فنجان قهوتها ونظرت مباشرة إلى عينيه. هل لمح في عينيها بارقة من الضحك؟ تساءل ريك عن ذلك عندما سألته: «لكن ضحية تلك المستأسدة مستعد ليكون الفريسة. أليس كذلك؟»

ألا تدرك ليندا شيئاً من حقيقة الرجال؟ أجابها: «أجل، إنهم مستعدون».

- آه! إذاً، أنت تعتقد أنني قد أكون كذلك؟

تأمل ريك في التعابير البريئة المرسومة على وجهها، وشعر أن ليندا تستخف به بشكل متعمّد. لابد أنها تدرك معنى «المستأسدة»!

- كلا، أنا لا أعتقد أنك كذلك! لكنني أردتك أن تعلمي عن هذا الموضوع لأن الشبان اليافعين، كجايسون مثلاً، قد يخطئون الظن بك، ويعتقدون أنّك كذلك.

حسناً! ربما ليس جايسون بالتحديد. لكم شعر ريك بالارتياح لمعرفته بأن هذا المتعهد الشاب يناديها ماما.

قالت ليندا متنهّدة: «هذا الأمر يبدو شديد التعقيد!»

سأل ريك ليندا: «هل تشاهدين البرامج التي يعرضها التلفزيون خلال النهار؟»

لقد بقيت في المنزل لعشرين عاماً. لابدّ أنها خبيرة في مثل هذه الأمور أكثر منه.

- كلا، أنا لا أشاهد التلفزيون. في أوقات فراغي أفضّل القراءة.

فكّر ريك مكتئباً أن ذلك يؤدي إلى النتيجة نفسها: مسؤولية توعيتها تقع على عاتقه هو!

الآن، وفيما هو يلوح لها مودّعاً، أدرك ريك أنّه فشل في مهمته. صحيح أنّه حذرها من تحرشات الرجال ومن احتمال أن يسيء أحدهم الظن بها، لكن على الرغم من ذلك أحسّ أنه انحرف عن هدفه.

فيما جلس ريك وليندا في قهوة ناجوماغ، سمح ريك لنفسه بالاستسلام إلى

تلك المتعة البسيطة وهي مجرد وجوده معها. إنها يفهمان الأمور نفسها ويتحدران من الخلفية نفسها. تحدّثا عن المنازل القديمة والجديدة. الحوار بينهما بدا سهلاً ومريحاً، وغمرت الضحكات كلّ شيء. لم يتوقع ريك أن تداهمهما العتمة في الوقت الذي وصلا به إلى ممر منزله، لكن ذلك ما حصل. بالرغم من هذا، بدا ريك ممتعضاً من فكرة أنّ هذا النهار قد انتهى. ليندا هي من أصرّت على أنّها بحاجة إلى المغادرة والذهاب إلى منزلها.

- ريك، أنا مازلت أحيا مع الصناديق! لابدّ أن أذهب لأكمل توضيب أغراضي.

أمّا الآن، وفيما هو يشاهد ليندا وهي تغادر بسيارتها، تذكّر ريك أنّه وعدها بمساعدتها في إفراغ محتويات الصناديق وتوضيبها. هل يجدر به أن يذهب وراءها إلى هناك؟

كلا!

لم تكن هذه خطّته الأساسية. منذ اللحظة الأولى التي طلبت فيها بوبي مساعدته، أدرك ريك أنه بحاجة إلى خطة ليستطيع مساعدة ليندا بشكل فعّال، واليوم جاء البرهان الواضح على ذلك: لقد خرج بشكل كامل عن مساره المرسوم. ولم يقدم لها ولو شيئاً واحداً لمساعدتها في الدخول مجدداً إلى العالم. إلا إذا استطاع أن يحتسب الضحك... أما أسوأ ما في الأمر فهو أنها الآن، إذا ما صادف أن غازلها أي شاب، فإنها سوف تظن أنّه يعتبرها مستأسدة.

في الحقيقة إن الأعمى فقط هو الذي لا يقدر على رؤية رقة ليندا ووداعتها بمجرد النظر إليها. فهي عالم من النعومة، والنور والإخلاص. تذكّر ريك عناقه لليندا، وكيف دغدغ هذا العناق روحه. ثم انتقل خياله مباشرة إلى صورتها وهي تتفحص حوض الاستحمام الخاص بشخصين.

إذا كان هو، الذي لا يحمل تجاهها إلا الأفكار النبيلة ولا يبغي إلا مصلحتها، بالكاد يستطيع السيطرة على أفكاره. فكيف له أن يثق بأفكار الرجال الآخرين، بما فيهم من محتالين وغير ذلك، تجاه ليندا؟

لهذا السبب يجب على ريك ألا يحيد عن مساره. لهذا لا يستطيع أن يذهب

إليها ويساعدها على توضيب أغراضها. الأمور بينهما قد تذهب إلى مكان، جلّ ما أراده هو تحذيرها منه.

لا يستطيع ريك ترك ليندا تعود إلى المواعدة دون أن يزودها بالمعلومات التي تحتاجها. إنها تحب القراءة، لذا استخدم ريك الإنترنت ليجد لها بعض الكتب التي قد تنفعها. وجد اختيارات كثيرة: كيف تجدين الرفيق الملائم؟ كيف تحلّين شيفرة لغة الرجال؟... شعر ريك بالإرهاق عند انتهائه من فرضه هذا، وبعد أن أرسل بطلب أكثر من ستّة كتب حول هذا الموضوع.

نظر مجدداً إلى تلك اللائحة، ودرسها بتمعن. أمر واحد بدا جلياً أمامه كالشمس: الرجل الملائم لليندا هو ريك نفسه، باستثناء عائق واحد. يجب عليه أن يكون نزيهاً بشكل كامل معها. لكن ريك لن يستطيع أن يكون كذلك، بسبب الوعد الذي قطعه لرجلٍ أصبح الآن ميتاً.

تأمل قليلاً في سرّ بلير الأخير، شاعراً بثقله عليه. هناك طفلة في مكان ما، لابدّ أنها سوف تبلغ السنتين قريباً. ترايسي، خالة الطفلة، الشابة المذعورة، وهي شقيقة عشيقة بلير، أخذت على عاتقها مسؤولية أن تكون أمّاً لطفلة بلير اليتيمة.

وجد ريك نفسه مسؤولاً عن حساب الائتمان، والإجابة على الاتصالات المذعورة لشابة بالكاد أنهت سنوات مراهقتها. هذا هو سرّ بلير، وسّره هو أيضاً. تنهد ريك، وغمر رأسه بذراعيه. وهو يشعر فجأة بقلق كبير. لمَ يفكر في احتمال إخبار ليندا بالحقيقة؟ ألم تعانِ ما فيه الكفاية على يدي بلير؟ ما الذي ستجنيه من معرفتها بخيانة بلير الأخيرة؟

بالرغم من ذلك، فهذا الستر، ودوره كحافظ له، يعني أنّه ليس الرجل المثاليّ لليندا. شعر ريك بالحزن والارتياح في آن واحد لمعرفته هذا الأمر. لن يستطيع أن يكون هو هذا الرجل، لأن ليندا لن تسامحه أبداً على هذا الأمر الذي أخفاه عنها.

مرّ بها في اليوم التالي في منزل أويراين لكي يعطيها الكتب، فوجدها مغطاة بغبار الجفصين، وقد بدا شعرها أبيض اللون. أعطاه منظرها لمحة جميلة موجزة،

عما ستبدو ليندا عليه بعد ثلاثين سنة. ستبقى خلابة بشعرها الفضي، كما هي الآن. انتهى الأمر بريك وهو يراجع مع ليندا بعض الأمور المتعلقة بالمنزل، بدل أن يعطيها تلك الكتب.

بين يدي ليندا تحوّل المنزل إلى أكثر بكثير من مجرد منزل عادي. حتى ميلدريد، الموجودة هناك لتساعد ليندا على اختيار بلاط السيراميك من أجل المطبخ، ابتسمت لريك ما إن رأته. بعدئذٍ، أخذ ريك ليندا وميلدريد إلى الغداء.

أقسم ريك لنفسه، أنّه في المرّة المقبلة التي يلتقيها فيها، سوف يسلمها كتيب التعليمات حول اصطياد الرجل المناسب. لكن وجّهت إليه دعوة إلى حفل أقيم لمناسبة عرض أحد المنازل للبيع، ومن يحب هذه الأمور أكثر من ليندا؟

مرّ ريك بها، فأخذها من منزل أوبراين. سارا عبر الطريق المحاطة بالأشجار، المتلوّية عبر الحيّ القديم. راحت الأوراق التي ابتدأت تتشح باللونين الذهب والأحمر تصدر خشخشة تحت أقدامهما.

قدّم لهما العصير والجبن في ذلك المنزل المعروض للبيع من قبل متعهد لبيع المنازل القديمة، تجوّل ريك وليندا في المكان وراحا ينظران إلى التفاصيل، ويأخذان الأفكار، ويقارنان المكان مع عملهما. عرّفها ريك إلى منافسه، راي جوراسي، وهو رجل احترمه ريك وأعجب به كثيراً.

في تلك الليلة بالذات، تلقى ريك اتصالاً من راي.

- هل هنالك علاقة ما بينك وبين السيدة التي جلبتها معك إلى المنزل؟ قلت لي إنها مديرة المشروع، أليس كذلك؟

- مديرة المشروع، وأرملة بلير.

- آه!

قالها راي، فالجميع يعرف حقيقة بلير.

- لا أريد أن أتعدّى على حقوقك، هل يمكنني أن أتصل بها؟

- ماذا؟ أتريد أن تكلّمها بصفتها مديرة المشروع؟

ضحك راي، وأجابه بنبرة لا تخلو من الانزعاج: «كلا، أريد أن أكلمها في

شأن شخصيّ أكثر من ذلك».

لم يعد ريك قادراً على الكلام. أليس هذا أقصى ما يتمناه من أجل ليندا؟ رجل محترم وموظف ناجح في حياته؟ رجل يعتبر على حدّ علم ريك شريفاً جداً؟ راي أرمل وليس مطلّقاً، وهو رجل مخلص ومتفانٍ مع أولاده الراشدين، كما أنّه مدرب فريق البايسبول الذي يلعب فيه حفيده.

- ليندا ليست مستعدة للمواعدة بعد.

سمع ريك نفسه يجيب راي بهذه الكلمات. لكنّه علم أن هنالك حقيقة جديدة يكتشفها الآن: هو ليس مستعداً لهذا الأمر بعد، فهو لا يريد أن يرى ليندا تخرج مع رجل آخر. أما السبب في ذلك فليس لأنّه ما زال يفشل بشكل بائس في توعيتها حول هذا الموضوع!

أقفل ريك خط الهاتف وحاول أن يقرّر معنى شعوره ذاك. إلهام مفاجئ هبط عليه كالوحي. لن يعطي ليندا هذه الكتب التي اشتراها لها، وهو بكلّ تأكيد لن يقوم بتعريفها على أي رجال واعدين مثل راي، ولن يقوم بمحاضرات واهية حول مخاطر العالم بعد اليوم. لن تستطيع ليندا أن تجد الرجل المثالي لها. أو حتى الذي يستحقها، لأن ريك يدرك وهو الخبير بهذا الموضوع، أن هذا الرجل غير موجود. كلّ ما عليه القيام به هو أن يجد لها هواية تملأ بها ساعات المساء. فكّر ملياً، محاولاً استذكار ما عرفه من معلومات من ليندا: إنها تحب مراقبة الطيور. كما تحب الأشياء القديمة وتهوى الطبخ. وجدها! سيقترح عليها الانضمام إلى صفوف مسائية.

لكن... ما هذه الفكرة السخيفة؟ أعاده هذا الأمر إلى نقطة البداية. فكّر ببعض الكتب الرائعة التي تستطيع ليندا أن تدرسها في المنزل وبعض الأفلام لتشاهدها، ربما...!

عاد ريك ليجوب الإنترنت، وأصابعه يتسارع نقرها، كلما طبع طلبات جديدة من الكتب من أجل ليندا: مراقبة الطيور للمبتدئين، أصول الأثاث الراقي، المزيد من العجائن لمطبخك، دليلك لصناعة الخبز. قهقه فرحاً من ذاته بعدما انتهى من ملء الاستمارات المطلوبة لتبضّعه على الإنترنت.

فجأة توقف ريك عن إكمال ما كان يفعله. لسبب ما لا يعرفه، تذكر ريك تعابير وجه ليندا، عندما سألت جايسون عمّا يريده في حياته. عندما أجابها قائلاً إنه يريد كلباً صغيراً، كادت ليندا تذوب من شدة التأثر.

تنهد ريك بارتياح. سوف يجلب لها مئات الكتب بالإضافة إلى كلب صغير. سوف يملأ حياتها بهذه الأشياء! وأي صحبة أفضل من صحبة الكلب؟ إن وجود الكلب معها سوف يعطيها الشعور بالأمان في ذلك الحيّ الذي اختارته لتعيش فيه.

أخذ الكتب الملفوفة كهدية، الكتبّ التي تتحدث من المواعدة والمصادقة وكلّ ما بينهما، من حقيبته، ثم رماها جميعاً وهي ما تزل مغلفة بورقة الهدية، في النفايات.

الآن، كلّ ما عليه القيام به هو أن يجد لليندا الكلب المناسب...

٦- هدية وسؤال!

جلست ليندا في الغرفة الإضافية في منزلها، محاطة بأبراج من الصناديق. أخذت أحد الصناديق من الكومة، وفتحته دون أي اهتمام حقيقي. وجدته مليئاً بعلب حفظ الطعام البلاستيكية. أغلقت الصندوق، وكتبت عليه ورقة تدلّ على محتواه. أخذت صندوقاً آخر وفتحته، فوجدته مليئاً بالمناشف. مناشف كافية لمنزل كبير يحتوي على أربع حمامات. إنها مناشف اعتاد بلير استخدامها. أغلقت ليندا الصندوق، وسجلت عليه ملاحظة أنّه للتبرع.

لم ترد ليندا أن تفكر ببلير في هذه اللحظات. كرهت فكرة أنّه ما ينفكّ يتسلل إلى خواطرها كلمّا ابتدأت بالشعور بالحياة الجميلة.

تركت تلك الصناديق وذهبت إلى الحمام. نظرت في مرآتها وأعجبها ما انعكس عليها. بدا شعرها مشعّثاً بشكل جميل، أما وجنتاها فاصطبغتا باللون الأحمر بسبب تعرضها للشمس والهواء والضحك، كما بدت عيناها كعيني شخص قرّر اعتناق الحياة والثقة بها من جديد.

فكّرت ليندا بريك وهو يقدم إليها نصيحته التي لا يمكن اعتبارها مهذّبة تماماً، وضحكت للفكرة. كم هو صديق عزيز! هل هنالك من أمل في أن يتحول إلى أكثر من ذلك؟ لقد استمتعت ليندا بهذا الأسبوع الذي مرّ برفقة ريك، أكثر مما يحق لها الاستمتاع بأي شيء. في كلّ مرّة يظهر فيها ريك أمامها بشكل غير متوقع يكاد قلبها يتوقف من الخفقان. في كلّ مرّة يرّن فيها هاتفها، يساورها الأمل بأن يكون المتصل ريك. جعلها ريك تضحك من قلبها. بدا وجودها مع ريك مريحاً كأريكة جلدية قديمة محببة، تشعرك بالألفة والأمان، وفي أحيان أخرى كان وجوده معها مشوّقاً، كعالم مثير غير مكتشف بعد.

قالت لنفسها: «لا تستعجلي الأمور يا حلوة، عيشي التجربة يوماً بيوم!»

هذا ما علمها إيّاه الحزن، وأبشع ما في ذلك الحزن هو أنه اقترن مع الخيانة. بلير مات في حادثة حريق شب في أحد الفنادق برفقة عشيقته التي لم تدرِ ليندا شيئاً عنها. لقد استخف بها زوجها لسنوات طوال، فيما انهمكت هي في الاهتمام بأمان بإدارة منزلها، وتربية ابنتها.

ربما بدت كلمة أمان كثيرة على حياتها. فبالرغم من وجود الكثير من الأشياء المرضية والكافية في حياتها، غير أنها أدركت على الدوام أن هناك شيئاً ليس على ما يرام بينها وبين بلير.

بلير تزوجها ليكمل بها صورته الاجتماعية. الحياة الزوجية والطفلة كانا محور حياة ليندا، وحكماً بالسجن مدى الحياة بالنسبة لبلير. لذا وجدت ليندا نفسها في ذلك الموقف الفظيع. حاولت بجهد ويأس أن تكون الزوجة التي يتمناها كي لا يتخلّ عنها وبوبي.

عادت ليندا لإكمال فتح الصناديق. الصندوق التالي كان مليئاً بمختلف أنواع قطع الكريستال... لقد أحب بلير كلّ رموز الثراء. قام دوماً بإهدائها قطع الكريستال في الأعياد والمناسبات وعيد الميلاد، ليضيفها إلى مجموعته، متغاضياً عن حقيقة أن كلّ ما أرادته ليندا، هو هدية واحدة، تشعرها بأنه يعرفها ويعلم ما تريد.

أغلقت ليندا الصندوق، لكنها لم تضع عليه ورقة بمحتوياته. حملت الصندوق إلى القبو الفارغ الكئيب المبني من الإسمنت الصلب.

فتحت الصندوق ثم أخرجت إناء التقديم. قذفته بكل ما أوتيت من قوة باتجاه الحائط الإسمنتي، فارتطم به ليقع على الأرض وقد تكسّر إلى آلاف القطع. وعندما فرغ الصندوق من أمامها، كانت تلة من الزجاج المحطّم قد تكوّمت أمام الحائط، أما هي فأصبح صوتها أجشّ من الصراخ.

قامت ليندا بنعت بلير بكلّ الصفات والكلمات التي لم تسمح لنفسها أن تقولها خلال العشرين سنة الماضية. لعنته وشتمته وأفرغت حقدها عليه على هذا الحائط، متجاهلة جداول الدموع المنهمرة على وجنتيها.

بعد أن أفرغت كلّ غضبها، انهارت على الأرض تهتز وترتعش من الإرهاق والانفعال الشديدين، نظرت إلى كومة الزجاج ولم تستطع أن تقاوم الضحكة التي انطلقت منها.

ليندا ستار، وحيدة في القبو، ترتعش كسمكة خارج المياه، وتصرخ بكلمات يخجل البحّار من سماعها! ضحكت ليندا لمجرد تفكيرها بمدى سخافة المشهد الذي يحيط بها. ابتدأت بالضحك عالياً.. ضحكت بقوة امرأة أطلق سراحها بعد سجن طويل. ضحكت حتى آلمتها معدتها من شدّة الضحك. ضحكت بابتهاج... وحرية... وأمل.

أما ذلك المكان في داخلها، الذي يبدو لها قاسياً وبارداً في كلّ مرة تسترجع فيها ذكرى بلير، فبدا لها الآن خالياً من الألم. أخذت الصندوق الفارغ إلى الأعلى وأغلقت باب القبو. سوف تنظّفه في يوم آخر. الليلة كلّ ما تريده هو الاستمتاع بهذا الشعور، الشعور بأنها مستعدة لاستقبال أمر جديد رائع في حياتها.

رنّ جرس الهاتف، فذهبت ليندا لتجيب، ووجدت رقم بوبي. قالت ليندا: «لن تحزري أبداً ما الذي كنت أفعله طيلة هذه المدّة!»

ثم أخبرت ابنتها بكلّ التفاصيل التي حدثت معها. من رحلة الدراجة النارية، إلى رؤية الصقر، فمقهى ناجومغ، وزيارات متاجر الأثريات. كما أخبرتها عن تطوّرات العمل في منزل أوبراين، وعن ميلدريد وجايسون. غير أنها أغفلت النهاية المثالية، التي تكوّمت مهشمة في قبوها.

هتفت بوبي: «ماما؟!»

فتوقف قلب ليندا للحظة عن الخفقان. كلّ ما فعلته حتى الآن هو الثرثرة بكثرة عنها هي! لقد تصرفت بشكل عديم الإحساس تماماً. أدركت ليندا في تلك اللحظة أن ابنتها تبكي!

- ماذا بكِ يا بوبي؟ هل من سوء؟

- سوء؟! ماما، ما من شيء سيّء. لم أسمعك أبداً تتحدثين بهذه السعادة. هذا الأمر يجعلني أشعر بالسعادة أنا أيضاً.

قالت ليندا مستوضحة: «أتعنين أنّك لم تسمعيني بهذه السعادة منذ وفاة والدك؟».

- كلاّ! لا أعني ذلك. أعني أنني لم أسمعك تتحدثين بمثل السعادة، مطلقاً، في حياتي.

كلّ هذه السنوات التي قضتها وهي تحاول إضفاء الجو المميز على حفلات أعياد الميلاد، أو خياطة الثياب لمسرحية المدرسة، تزيين المنزل بشكل قصّة خرافية على عيد الميلاد.. هذا كله لم يخدع أحداً، لم تخدع إلا نفسها.

تكلّمت ليندا وبوبي على الهاتف لفترة أطول قليلاً. عندما وضعت ليندا سماعة الهاتف، وقفت أمام نافذتها المطلة على ظلمة الحديقة الخلفية. الآن أدركت لما سحرها طائر الكركي الناعق إلى هذا الحد. لقد كان تجسيداً لكل ما لم تحصل عليه: الحرية! أخيراً أتتها الفرصة لتجد سعادتها المنشودة.

لفت ذراعيها حول كتفيها ونظرت إلى النجوم، ثم تمنّت؛ تمنت أن تعرف أخيراً معنى محاولة الوصول إليها... معنى مطاردة النجوم. رفرفت السعادة داخل كيانها، كعلم يعبث به الهواء.

صباح اليوم التالي، كانت ليندا تقف تحت أحدى الشرفات التي أضيفت على منزل أويراين برفقة جايسون. أخذ جايسون يسحب الألواح الخشبية عن العارضة التي تدعم السقف بقوة كبيرة. قطع صغيرة لا تدرك ماهيتها أخذت تتساقط أمام عيني ليندا، لكنها بالرغم من ذلك كانت سعيدة.

قال جايسون: «أظن أنه يجب علينا أن نجذبها إلى الأرض ونزيلها كلّها».

- أوافقك على ذلك.

وجدت ليندا طريقها إلى الخارج من تحت ذلك المكان في المنزل. وقفت تنفض شباك العنكبوت عن شعرها عندما توقف ريك أمام المنزل. خلعت الثياب الواقية عنها بسرعة وكأنها تحترق، أما جايسون فخرج من تحت المنزل ووجّه إليها نظرة إعجاب.

تذكرت ليندا محاضرة ريك عن المستأسدات، فانفجرت ضاحكة، ثم سألت جايسون: «ما هي مخططاتك لعيد الشكر يا جايسون؟»

فغر جايسون فاه من الدهشة عجباً: «أ... أ... أنا لست أكيداً بعد».

- سوف تأتي ابنتي من الجامعة، لقضاء عيد الشكر معي. ظننت أنك قد تحب أن تمرّ بنا لتناول العشاء في ليلة ما.

- ابنتك؟

بدا جايسون مهتماً وقلقاً. كشاب لم يرد أن يوضع في موقع يؤتمن فيه على ابنة أحد ما، لاسيما أنه لم ير تلك الابنة! ثم هرع باتجاه المنزل، بحجة عمل طارئ ومفاجئ يجب أن يهتم به.

سألها ريك: «إلى أين يتجه مسرعاً هكذا؟»

- عرضت عليه أن أعرّفه إلى بوبي، لكنني أظن أنه لم يعجب كثيراً بهذه الفكرة.

- لا أظن أنه كذلك! الأم لا تقوم بتدبير المواعيد لابنتها مع أي شاب إلا إذا كانت لديها نوايا مخفية. أو كانت الابنة تعاني من شيء ما، كأن تكون قبيحة المنظر أو تزن أربعمئة باوند... شيء من هذا القبيل.

- أنا لا أملك أية نوايا مخفية. وبالطبع، ما من سوء تعانيه بوبي، وأنت أدرى الناس بذلك.

- أجل، أنا أعرف ذلك، لكنني لا أريد جايسون أن يعرف بذلك.

- ماذا لديك ضد جايسون على أية حال؟

- لا شيء، سوى أنه رجل. جايسون لا يريد أن يواعد ابنتك، لأنه سيصبح مضطراً إلى تملقها والتودد إليها لأنه يعرفك أنتِ.

- ريك! هل تسخر مني؟

- أريد أن أريك شيئاً ما. تعالي معي إلى سيارتي، يا ليندا.

سارت ليندا مع ريك، متوقعة أن يريها كتيباً جديداً من تلك الكتيبات المدهشة التي تعرض صور المنازل. عوضاً عن ذلك، قام ريك بفتح باب السيارة الخلفي، ومدّ يده إلى الداخل وجلب سلة. سلة صغيرة في داخلها كلبٌ أسود صغير نائم.

- يا إلهي! إنه جرو!

اقترب ريك ناظراً إليها، محتضناً الكلب على صدره الصلب. طبعت ليندا صورة الحنان تلك في ذاكرتها.

- دعني أحمله.

لبى ريك رغبتها بسرور، فهمست ليندا: «كم هو جميل!»

أطلق الكلب أنيناً بصوته المنخفض، وغرق في حضنها. قال لها ريك: «إنه جميل. أليس كذلك؟»

- لطالما تخيلت أنك تقتني كلباً، يا ريك.

- تخيلتني أقتني كلباً!؟

تعابير الرضا والارتياح التي بدت من قبل على وجه ريك، حلّ مكانها عبوس بسيط، وكأنّ تصوّرها إياه مقتنياً لكلب فيه انتقاص من رجولته.

قالت ليندا بليونة وهدوء: «أعتقد أن هذا أمر رائع. لقد ابتدأت اعتقد أنك رجل يخاف الارتباط والالتزام. أما الآن، فإن اقتناء كلب فيه مسؤولية والتزام كبيرين».

تمتم ريك قائلاً: «رائع! التزام ومسؤولية كبيرين!»

من النظرة التي رأتها ليندا ترتسم في عينيه وعلى تعابير وجهه، أدركت أن حماسه تجاه الكلب بدأ يخف من جراء حديثها. قالت له مطمئنة: «من الواضح أنه كلب لا يقتنيه إلا رجل».

ثم أضافت: «أقصد... انظر إلى حجم قدميه يا ريك! سوف يكبر ليصبح كلباً ضخماً. أنا أكيدة من أنه سيكون بحاجة إلى رجل قوي جداً مثلك، ليستطيع السيطرة عليه».

لم يبدُ على وجه ريك أنه ارتاح أو اطمأن من وراء تملّق ليندا ومدحها لقوّته. أمسكت ليندا كفّ الكلب ذا البراثن، وقرّبته من ريك لكي يتفحصه قائلة: «أظن أن نصف هذا الكلب من نوع اللابرادور...»

ثم ضحكت وأكملت: «... ونصفه الثاني من نوع نيوفاوندلاند. أين وجدت هذا الكلب، يا ريك، بحق السماء؟»

- في الواقع، لقد وجدته في متجر للكلاب، لم يكن هذا ما أبحث عنه

بالضبط، لكن عندما نظر إليّ هذا الكلب، بهاتين العينين البنيتين الواسعتين، شعرت أنه هو ما أبحث عنه.

سمعت ليندا رنّة الشك في صوت ريك مجدداً، لذا سارعت إلى إعادة التأكيد على صحّة القرار الذي اتخذه من أجل نفسه.

نظرت إلى هاتين العينين البنيتين الواسعتين، وقالت للكلب: «سوف يقوم بامتلاكك أروع شخص في العالم! وسوف آتي غالباً لزيارتك! هل توافق على ذلك يا ريك؟»

شعرت ليندا بتردّد بسيط يشوب صوت ريك قبل أن يجيبها: «حسناً! في الواقع... أجل، أعتقد ذلك».

تساءلت ليندا، ما خطبه الآن؟ ولِمَ هذا التردّد؟ حيرتها نظرة الانذهال التي علت وجهه.

وضعت ليندا الجرو على الأرض. بدا بالفعل صغيراً على اللعب، لكنه أخذ بالوثب بشجاعة ومرح بين أوراق الأشجار المتساقطة.

في بداية الأمر، وقف ريك بعيداً، واضعاً يديه في جيبيه، وقد بدت على وجهه إمارات الهمّ والشك. غير أن الجرو سرعان ما سحره وأخرجه من تلك الكآبة. وما هي إلا فترة صغيرة حتى أخذ ريك وليندا يطاردان الكلب، ويطارد أحدهما الآخر مثيرين حولهما عواصف من الأوراق المتطايرة ومن الضحك الكثير لدرجة الألم.

بعد ذلك قامت ليندا بأخذ ريك والكلب مندسٌّ بين ذراعيه، في جولة في المنزل. بالرغم من أن ريك شاهد المنزل في اليوم السابق، إلا أن التغييرات التي تحدث في يوم واحد لا يستهان بها.

اليوم، تم تركيب خزائن المطبخ الجديدة المصنوعة من خشب القيقب، مع أسطح من الرخام الأسود. بدا المطبخ رائعاً يخلب الألباب.

- ليندا! قمت بعمل مدهش، غير طبيعي. لا أدري إن كنت سأقدر على وضع يافطة لعرض هذا المنزل للبيع في ما بعد

ضحكت ليندا لقوله، لكنها شعرت بالزهو أيضاً لهذا المديح.

– أنا أيضاً يراودني الشعور نفسه. أتعرف يا ريك ما هو شعوري تجاه هذا البيت بالضبط؟

– ما هو؟

– أشعر أنه يمدني بالأمل. وجدنا هذا المنزل ضعيفاً، مهملاً، غير أن عناصر عظمته كانت موجودة، ولا تحتاج إلاّ إلى بعض الاهتمام لإبرازها.

– وهل هذا الأمر يمدّك بالأمل؟

– أجل. لأنني أعتقد أن الناس هم على هذا النحو أيضاً.

– أنتِ لا تقصدين أن تقولي أنّكِ أنتِ التي كنتِ ضعيفة ومهملة...!

توّردت وجنتا ريك فيما قال ذلك بعجلة.

– لكنني بالفعل كنت كذلك يا ريك. وأشعر أن ما حدث ويحدث لي هو أمر موازٍ لما يحدث لهذا المنزل. إنني أقوم بعملية استعادة شبابي.

– وهل ستستمرين بهذه العملية!

لمست ليندا ذراعه قائلة: «إن روحي هي التي تستعيد شبابها، وأنا أريد أن أشكرك أنت على ذلك الأمر. أنا أدرك أنني في نهاية الأمر كنت سأجد طريقي... عاجلاً أم آجلاً. لكن أنا ممتنة جداً لك على الدفعة التي أعطيتني إيّاها لتعجيل الأمور».

لحظة غريبة أوشكت على الحدوث بينهما، أنقذهما منهما الكلب الذي سال لعابه على قميص ريك البيضاء الجميلة. ولكي يعتذر عن فعلته، أخذ يهزّ ذيله ويلعق وجه ريك. تضاحك ريك وليندا فيما أخذا يتسابقان للوصول إلى الباب.

قالت ليندا له بنعومة: «شكراً على عملية ترميمي».

وقفت ليندا، ثم غابت داخل المنزل قبل أن تعود تلك اللحظة الغريبة بينهما.

في تلك الليلة، حلمت ليندا بالجرو الصغير. في ذلك الحلم، لفّ رقبته شريط أحمر جميل، وقام ريك بتقديمه لها، كهدية. عندما استيقظت، عاودت استذكار لقائهما غير المتوقع، فشعرت بالذهول. استعادت حوارهما كلمة

فكلمة، متذكرة كيف بدا ريك متردداً، بل مصدوماً.

جلست في سريرها مصعوقة لما اكتشفت. كلّ هذا التردّد والشك سببه أن نيته الأساسية كانت تقديم الكلب هدية لها! لم ينوِ ريك قط اقتناء الجرو! لم يقم ريك بشراء الكلب لنفسه، لقد اشتراه لها!

فجأة، بوعي أم دون وعي، شعرت ليندا أن عليها أن تعرف حقيقة الأمر. عليها أن تعرف إذا ما كان ريك قد اشترى الجرو من أجلها أم أن أحلامها قد مزجت نفسها بالحقائق لتخدعها. أرادت أن تتحقق من ذلك بنفسها.

ألقت نظرة على الساعة الموضوعة على المنضدة بجانب سريرها، فإذا بها تشير إلى الثالثة والنصف فجراً.

قرّرت أن تختبر الأمر وتتحقق منه. ارتدت سترة وبنطلونا واسعاً من الجينز فوق بيجامتها، وقفزت إلى سيارتها.

أدركت ليندا، بعد أن أصبحت في منتصف الطريق إلى منزل ريك، أن ما تفعله هو أمرٌ جنوني. ماذا لو أوقفتها الشرطة جانباً لأي سبب كان؟ إن تلك الرسوم الصغيرة تطل من تحت سترتها، وقد انتعلت في قدميها خفّي المنزل!

بعد أن أصبحت واعية بشكل كامل، أدركت أنها لا تستطيع مواجهة ريك بشأن موضوع الجرو، في الوقت الذي لا تدرك فيه هي حقيقة شعورها تجاه هذه المبادرة. ردّة فعلها الأوليّة أذابتها حناناً، فكم هو تصرف رقيق ولطيف من ريك أن يجلب لها جرواً! غير أن ردّة فعلها الثانية كانت أكثر تعقيداً من الأولى، لم تكن ليندا في حقيقة الأمر ترغب باقتناء جرو، فهذه المرحلة بالذات من حياتها هي ملك خاص لها.

بعد ذلك، ومع استيقاظ ليندا أكثر فأكثر، تبدّت لها حقيقة أكثر إذهالاً صدمتها بقوّة، هذه الرحلة بعد منتصف الليل إلى منزل ريك لم تكن بشأن الجرو أبداً! تلك الرحلة سببها رغبتها بأن تعرف إذا ما كان ريك وحيداً في منزله! ذلك الشك في داخلها هو ميراثها من حياتها السابقة مع بلير. كيف يمكن لشاب مثل ريك أن يعيش وحيداً؟ على الأرجح أن شخصية ريك تشبه شخصية بلير.

لم يعجبها تفكيرها بريك على هذا النحو. لم يعجبها أيضاً ذلك الإحساس

الكئيب الذي غمر قلبها. لكن من جهة أخرى، فكّرت ليندا أنه تم خداعها لمرة من قبل، وترك هذا الأمر داخلها ندوباً وجراحاً. فكرت أن من الأفضل أن يكون هناك الآن قليل من الشك العقلاني، بدلاً من الكثير من الندم في ما بعد!

- حسناً!

خاطبت نفسها بصوت عال، مدركة أنها من خلال الحديث بصوت عالٍ مع ذاتها، تحاول إقناع نفسها بالقيام بشيء هي أكيدة تماما أنه غير صحيح. ثم أكملت: «ما الضرر من الذهاب إلى منزله؟ إذا وجدت سيارة أخرى في الممر أمام المنزل، عندها ستعرفين».

لكن، كلما أصبحت المسافة أقرب إلى بيت ريك، كلما أصبحت أكثر وعياً إلى عدم رغبتها في القيام بهذا الأمر.

أرادت ليندا أن تشعر بالثقة. بالثقة بريك، وبنفسها أكثر. أرادت أن تعرف إذا ما كانت هي من ذلك النوع من النساء القادر على الحكم على الناس بدقة، والقادر على الوثوق بغرائزه. بالإضافة إلى ذلك، فكّرت أنها إذا استسلمت الآن إلى هذا الإغراء وتابعت القيام بهذا الأمر، ما هو الأمر الخسيس التالي الذي سوف تقوم به؟ أستقدم على الاتصال به ثم إقفال الخط في منتصف الليالي؟ أم ستكلّف محققين للتحرّي عن أرقام الهاتف الموجودة على هاتفه الجوّال؟

- لست من هذا النوع من الناس!

قالت ليندا ذلك في لنفسها. لكن الأمر جاء متأخراً، لأنها كانت قد وصلت إلى طريق غير نافذ، ويؤدي فقط إلى بيت ريك. الحل الوحيد للالتفاف والعودة هو المرور أمام منزل ريك.

بدا منزل ريك معتماً، ولم تجد ليندا أمامه أيّ سيارة غير سيارته. ثم، وفي اللحظة التي سمحت ليندا لارتعاشة من الارتياح أن تعبر جسمها. أنير ضوء الشرفة الأمامية وخرج ريك من الباب متعثراً، يرتدي رداءه المنزلي، حاملاً الجرو بين يديه. وضع ريك الجرو أرضاً، ونظر حوله والنعاس يملأ عينيه.

فجأة، رآها! اتسعت حدقتا عينيه، وجمد في مكانه.

تمنت ليندا بشدّة لو أنها تتقلص وتختفي خلف مقود سيارتها، أرادت أن

تقود سيارتها مسرعة وتبتعد، لكن الأوان كان قد فات. أطلقت تنهيدة عميقة، مدركة أنها مضطرة إلى أن تتوقف. إنها مضطرة إلى الاعتراف بجريمتها كاملة، من دون أن تمتلك أي عذر.

أرادت ليندا بشدّة أن تعترف بجريمتها، لأنها أرادت أن تحظى بما لم تحظَ به يوماً في حياتها. أرادت أن يهتم أحدهم لها ولأمرها. رغم كلّ العوائق، وبالرغم من شكوكها وظنونها التي هي وليدة جراح ألمّت بها، ولم يكن لها أي ذنب فيها.

ليتها قادرة على الوثوق بقلبها، فهو يخبرها أن ريك يمكنه أن يكون ذلك الرجل الذي يهتم بها، كما هي، ورغم كلّ ندوبها!

٧ - زائرة في الليل

في بداية الأمر، اعتقد ريك أنه في حلم. أغمض عينيه ثم فتحهما بقوة.. فركهما ليزيل منهما آثار النعاس، ويستطيع الرؤية بوضوح. لا يمكن أن تكون هذه المرأة التي تقود سيارتها في الشارع الهادىء، المؤدي إلى منزله قرابة الساعة الرابعة فجراً، ليندا ستار!

يا لها من صدفة غريبة! هذه السيارة التي تبدو مطابقة لسيارتها هي الوحيدة التي تجوب الشارع ذي الاتجاه الواحد أمام منزله في سكون الليل، بالإضافة إلى الجو النشيط الذي أخذ يشمّ الأشجار.

ركّز ريك نظره على السيارة ليقنع نفسه بهذه الفكرة، مرّت تلك السيارة تحت وهج ضوء الشارع، فشعّ من داخلها وجه شاحب. إنها فعلاً ليندا! بدت عيناها واسعتين، وقد ظهر عليها الارتباك والخجل.

ركنت ليندا سيارتها في الممر المؤدي إلى منزله، وخرجت منها. من خلال حركتها المترددة التي تدل على أنها مكرهة على القيام بذلك، شعر ريك بأنها مذنبة بأمر ما، كلص ضبط بالجرم المشهود. من حركتها تلك تأكد من أنها كانت تفضّل لو أنه لم يرها. لكن، ما الذي تريده ليندا منه في مثل هذه الساعة؟

همست ليندا: «مرحباً!».

- أهلاً!

إذا لم يكن مخطئاً، لقد ارتدت ليندا تحت سترتها بيجامتها الزهرية المزركشة التي تحمل صور الرسوم المتحركة.

- ما الذي تفعله هنا، في الخارج؟

سألته ليندا ذلك بشكل عادي، وكأنما وجوده في الخارج، في الباحة

الخارجية أمام منزله، لا وجودها هي، هو الأمر المفاجئ والغريب.

- الكتاب الذي جلبته عن تربية الكلاب، يقول إن من الأسهل تدريب السيد جانغلز الموجود هناك، على قضاء حاجته خارجاً، إذا ما أخرجته مرّتين في الليل.

قالت ليندا موافقة على كلامه: «هذا الأمر يتطلب الانضباط».

ذكّره هذا الأمر بأنه يجب عليه توخي الحذر في حديثه مع ليندا. من السهل جداً أن يؤخذ أي رجل بموافقتها هذه على كلامه، وسرعان ما ينسى أن يسألها ما الذي تفعله هنا، في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

- كتاب تمرين الكلاب يقول إن على صاحب الكلب أن يضحّي الآن كي لا يعاني لاحقاً.

حسناً! إن الكلام يدور عن كتاب تمرين الكلاب عوضاً عن أن يسألها هل هنالك من سبب معين لهذه الزيارة الليلية، مرتدية هذه البيجاما الفاتنة تحت سترتك؛ بالحديث عن هذه البيجاما الفاتنة.

- أهذا هو الاسم الذي ستطلقه عليه؟ جانغلز؟

فكر ريك أن ليندا تريد أن تتبادل أطراف الحديث معه، وهو يشعر بتساهل لا يمكن تفسيره معها. بدا الأمر غير واقعي، إلا أنه رائع وفيه لمحة من الجنون؛ ريك موجود في المرجة أمام منزله، قبيل الفجر، يرافقه كلب يتمرن على قضاء حاجته، وليندا ترتدي بيجامتها المزركشة.

أمضى ريك حياته وهو يجوب العالم، باحثاً عن تجارب جديدة ومغامرات مثيرة، فيما هنالك شخص مناسب لمغامراته، أو بالأحرى شخص قادر على جلب عالم من المغامرات الجديدة، وتقديمها إليه في باحة منزله..

- جانغلز هو الاسم الألطف الذي أطلقه عليه حتى الآن.

اعترف ريك بذلك وهو ويراقب الكلب. لم يستطع إلا أن يلاحظ أن انزعاجه لاضطراره إلى للخروج في مثل هذه الساعة قد تبخر، فأكمل قائلاً: «لن ترغبي في معرفة الأسماء التي حصل عليها من جراء اضطراري إلى اصطحابه إلى الخارج في منتصف الليل».

– أنا في الواقع أرغب بمعرفتها.

لم يكن ما قالته مهماً، ولا يعني شيئاً في الواقع، لكن ليندا قالته كامرأة تريد أن تعرف كلّ شيء عنه، حتى لحظاته التي لا تساوي شيئاً. أخبرها ريك عن كلّ الأسماء الرهيبة التي أطلقها على الكلب، وتظاهرت هي بأنها مصدومة، ثم ضحكت عليه.

حسناً! إذا كان الآن هو وقت الاعتراف، فيجب عليه أن يمضي في الأمر إلى نهايته، وإذا به يعترف قائلاً: «السيدة العجوز في المبنى المجاور لمنزلي حملقت في غاضبة لما يفعله الكلب، مع أنني قمت بإزالة الوسخ عن العشب بعد انتهائه من قضاء حاجته».

تنهدت ليندا قائلة: «أنت لست موهوباً على الإطلاق في التعامل مع النساء المسنّات».

أتراها تلمح إلى أنه يمتلك موهبة مع النساء الأصغر سناً؟ قرّر ريك أن الآن هو الوقت الأفضل ليعيد الأمور إلى نصابها الصحيح. سوف يرمي قنبلته أمامها لتعرف كم يمكن أن يكون قاسي الفؤاد: «بصراحة، لا أعرف إذا ما كنت أقدر على الاحتفاظ بهذا الكلب».

– هذا بالضبط ما شعرت به أنا بعد الليالي الأولى من ولادة بوبي.

قالت ليندا ذلك متذكرة بحنان، وأكملت: «لا أقصد أنني فكّرت إذا ما كنت سأحتفظ بها أم لا، لكن أعني أنك تعاني من التعب والإرهاق، فتهتزّ أعصابك حين تشعر أنك تحمل أكثر من طاقتك!

في حديثها لم تلفظ ليندا تلك الكلمة، لكن ريك سمع صداها... وحيدة! كانت ليندا وحيدة في كلّ ذلك. ابتدأ ريك بالشعور بالغيظ والاستياء الشديد من بلير ستار.

شعر بالامتعاض من ذلك الرجل بسبب ما جعل ليندا تعاني منه في الماضي، وبسبب أنانيته ونرجسيته الكبيرتين. لو أن بلير مكانه لكان على الأرجح تخلّى عن هذا الكلب، فالكلب سيشكل عقبة في طريق حياته.

وجد ريك نفسه الآن ملتزماً بإبقاء الكلب، في هذه المرحلة على الأقل، إن

لم يكن لشيء إلا لإثبات نقطة لنفسه. كأنما الكلب استطاع قراءة أفكاره، فركض إليه. وأخذ يكدح في شدّ رباط حذائه غير المعقود ذلك أن ريك انتعله للخروج على عجل.

– حسناً! حسناً! أنت باقٍ معي للنهاية.

– أظن إذاً أنه لابد لك من إطلاق اسم عليه.

وجد ريك نفسه يبتسم. من سوى ليندا يقدر على جعل الوقوف خارج المنزل على العشب، في الساعة الرابعة صباحاً، مليئاً بهذا الشعور المميز؟ هذا الشعور بأنك تضجّ بالحياة، عوض الإحساس بأنك نصف ميت من جراء قلّة النوم... وأن الآن هو الوقت الأفضل لمناقشة أي أمر، كإيجاد اسم للجرو، أو التحدث عن أحوال أو أوضاع العالم، أو منزل أوبراين؟

لمَ أنت هنا؟ بدأ هذا السؤال يبتعد أكثر فأكثر، بدل أن يقترب كما ينبغي. سألها: «ألديكِ اقتراحات للاسم؟»

– لابد من أنه سيكبر ويصبح ضخماً. لذا فإن اسم تايني أو ميدجيت سيبدو لطيفاً.

– لقد ضعت عن الطريق الصحيح، فأنا لم أفكر قطعاً بالأسماء اللطيفة، بل فكرت بأسماء قوية مثل كركس أو رور.

– أنت تفتقد إلى الخيال الواسع.

حسناً! لم يظن ريك أنه يفتقد للخيال، فخياله كان يعمل بشكل جيد في تصوّر بيجامتها تحت تلك السترة.

سألته ليندا فيما أخذت تجرّ أصابع قدمها على الأرض من دون اهتمام: «آه! أظن أنّك على الأرجح تتساءل من سبب وجودي هنا؟»

لاحظ ريك عندئذٍ أن ليندا انتعلت خفّين وليس حذاء.

هذا السؤال الذي طرحته ليندا والذي شغل ريك منذ لحظة وصولها، بدا أنه قد انزلق خارج عقله.

– من ملابسك الفخمة، اعتقدت أن منزلك يحترق.

أجابها ريك مداعباً، محاولاً بمزاحه أن يمحو نظرة الانزعاج والضيق التي

ظهرت عليها. ابتسمت ليندا، غير أنها كانت مجبرة على الاعتراف بالحقيقة: «في الواقع، لقد راودني حلم حول الكلب».

علّق ريك بدهشة: «آه!».

لم يكن أي شيء آخر ليفاجئه بمقدار ما فاجأه قولها هذا. لم يظهر على ليندا أنها من ذلك النوع من النساء الذي يسمح لأحلامه في قيادته في عمل ما. لكن في الوقت نفسه، ألم يضبطها منذ مدة ليست ببعيدة مستلقية على العشب الندي، مرتدية بيجامتها وتراقب الطيور؟ سأل ليندا: «هل تريدين الدخول؟ هل ستخبرينني عن الموضوع؟ لا أعتقد أنني سأعود إلى النوم ثانية الليلة».

- كلا، ما من داعٍ للدخول. المكان هنا جيد.

قالت ليندا ذلك، ثم ألقت نظرة على ملابسها حيث أطلّت بيجامتها من تحت السترة.

- كلا، المكان هنا ليس جيّداً. أنت قطعت هذه المسافة ليلاً، فلابدّ أن الأمر مهم لكِ. هيا، ادخلي!.

نظرت ليندا بتوق إلى سيارتها، ثم أخذت نفساً عميقاً، وتبعت ريك إلى داخل المنزل. سار ريك عبر المدخل المعتم ثم أضاء نور المطبخ. أسرع الكلب راكضاً إلى إناء الماء الخاص به وشرب محتويات الإناء بأكملها.

قال لها ريك: «لن تصدقي كمية البول التي هو قادر الآن على تصنيعها».

كافأته ليندا بضحكة عالية، فأكمل ريك: «دعيني آخذ سترتك».

شدّت ليندا سترتها أكثر حول جسمها قائلة: «آه...!».

- باستطاعتي أن أرى بوضوح أنك ترتدين بيجامتك تحت السترة. لقد رأيتها من قبل. كما ترين فأنا لست على آخر طراز أيضاً.

سلمته ليندا سترتها باستسلام. بيجامتها كما يتذكرها ريك سخيفة، ومغرية جداً.

- ما الذي تنوي أن تفعله مع... فيدو، عندما ستضطر إلى الذهاب للعمل؟

آه! لقد عادا إلى التكلم عن موضوع الكلب، فكّر ريك.

- بالتأكيد لن أتركه هنا في المنزل. انظري ما الذي فعله بزرافتي الخشبية.

قال ريك ذلك لليندا، بينما وضع البن في جهاز تحضير القهوة. أخذ رداؤه بالانزلاق والانفتاح قليلاً، واستطاع ريك أن يرى تعابير ليندا، ويعرف اللحظة التي أدركت فيها أنه عاري الصدر.

صعقت ليندا عند رؤيته، وبإمكانه القول أنها فرّت إلى غرفة الجلوس لتتحقق من مدى الضرر الذي أصاب الزرافة.

- أهذه علامات أنياب الكلب على حافر الزرافة؟

- أجل! حاولت الاستعانة بكتاب التمرين لأرى ما الذي يقولونه عن أكل الزرافات، فماذا وجدت برأيك؟ لا شيء إطلاقاً.

- إنه فقط بحاجة إلى بعض العظام الصغيرة المخصصة للعضّ. هل جلبت له شيئاً منها؟

- كلا، ليس بعد.

- أنت لم تجلب تلك الأشياء، لأنك لم تتوقع أنك ستحتفظ بهذا الكلب لنفسك. أليس كذلك؟

جمد ريك في مكانه دون حراك وهو يفكر. أخيراً نطقته، «هذا هو إذاً سبب الزيارة!

- أنت لم تشترِ الكلب من أجلك أنت، أليس كذلك يا ريك؟

وقفت ليندا جامدة أمام باب مطبخه، مسندة ظهرها على إطار الباب، وهي تضم ذراعيها بشكل أنيق فوق تلك الرسوم السخيفة في بيجامتها. أدرك ريك أن ليندا تدرس تعابير وجهه منتظرة الردّ، لذلك تجنب النظر إليها.

- ما الذي يجعلك تقولين هذا؟

- هذا ما حلمت به. حلمت أنك قمت بشراء الكلب من أجلي.

- حسناً!

قال ريك وهو يسلمها فنجان القهوة. ثم أكمل: «إن هذا الأمر مخيف فعلاً».

- أحقاً؟

– لسوء الحظ، أجل. أنتِ فعلاً تخيفينني. ما الذي حلمت به، إضافة إلى ذلك؟

تحاشى ريك، خلال حديثه معها، النظر إلى عينيها، أو النظر إلى تلك البيجاما. وحتى إنه تحاشى التفكير بما هو موجود تحت البيجاما. فكرة أن ليندا تستطيع قراءة ما يدور في ذهنه هي فكرة مقلقة فعلاً.

– لمَ جلبت لي الكلب يا ريك؟

– ألم يشرح لك الحلم هذا الجزء أيضاً؟

– كلا.

– حسناً! لربما إذا عدت الآن إلى النوم مجدداً...

هزّت ليندا برأسها.

أخذ ريك نفساً عميقاً، وقرّر إفراغ كلّ ما بصدره قائلاً: «حسناً! جلبت لك الكلب لكي يصبح عندك رفيق لطيف يستحق ثقتك».

تردّد قليلاً قبل أن يكمل: «هكذا لن أكون مضطراً لأن أجد لك شاباً يستحق ثقتك، ويطابق كل المواصفات التي وضعتها».

لم يبدُ على ليندا السعادة لسماع تصريحه. من سوء حظ ريك أنّه اضطر للاعتراف لها بهذا الأمر. لكن ما من رجل يستطع أن يكون في أفضل حالاته الدفاعية في الساعة... نظر ريك إلى ساعته للتأكد من الوقت، ... في الساعة الرابعة والربع صباحاً.

– حسناً! هل أنتِ سعيدة للنتيجة إذاً؟

ألقى ريك سؤاله، مع أنّه بدا واضحاً جداً أن ليندا ليست سعيدة على الإطلاق، ثم تابع قائلاً: «أهذا هو الأمر الذي أتيت إلى هنا لكي تعرفيه؟»

– ليس بالضبط. أعني... كنت أظن أن مجيئي إلى هنا هو بسبب الكلب، لكن، وأنا في طريقي لاحظت أنه ليس كذلك؟

– ما هو السبب إذاً؟

– أردت أن أعرف إذا كنت أنت فعلاً، كما تدّعي وكما تظهر عليه. أعني أنك... غير مرتبط.

جمد ريك في مكانه بسبب شعوره بالذعر. هذا هو الأمر إذاً في الواقع! لم يكن هو شخصاً غير مرتبط. أراد بشدّة أن يكون كذلك، لكنه بكل بساطة ليس كذلك. لقد ربطه بلير به، حين جعله حافظاً لسره وراعياً له. لقد حفظ ريك تلك الرسالة بسبب عدد المرّات الكثيرة التي قرأها فيها:

«إنّك يا ريك من أكثر الرجال الذين أعرفهم أمانة واستقامة. في بعض الأحيان شعرت بالغضب الشديد من هاتين الصفتين، لأنهما جعلاني أشعر بأنني أقل منك، أما الآن، فإنا أشعر بالامتنان العميق والشكر لله، لأن هناك شخصاً على وجه الأرض، أستطيع ائتمانه بثقة تامة على هذا الأمر».

كان يجدر ببلير، أن يأتمن زوجته على أسراره! فكّر ريك بذلك في البداية، لكن مع متابعته القراءة، فإن السّر الذي كشفته له الرسالة أوضح له لما لم تكن زوجته هي المؤتمنة. بالرغم من أن السرّ مخزٍ وشائن، وسلّط شعاعاً من الضوء على الوجه المظلم من حياة بلير، لكن ثقة الرجل به تعتبر أمراً مقدساً.

تذكر ريك أن بلير سلّمه تسليم اليد تلك الرسالة، قبل أسبوع من موته. لم يبدُ على بلير أنه من الأشخاص الذين يحظون بإيحاءات مسبقة للأمور، أو أنّه قد يتصرف وفقاً لوحي ما قد جاء، لكنه مات بعد أسبوع من ذلك، تاركاً ريك مع مغلف يحمل عبارة «لا يفتح إلا في حالة الموت».

كلّ هذه الظروف أعطت محتويات الرسالة أهمية كبرى، وجعلت ريك يرزح تحت ثقل أكبر من المعتاد.

المشكلة الآن هي أن ريك بات يدرك أموراً كثيرة من شأنها أن تحطم قلب ليندا من جديد، وبكلّ بساطة، هو ليس مستعداً ليفعل هذا بها. ألم يرها بعينه وهي تطيب من جراحها في الأيام والأسابيع الماضية؟ ألم يرَ عودة الضوء والإشراق إلى عينيها؟ ألم يرَ الثقة بالنفس وهي تطفو عائدة إليها، كمياه الحياة تطفو عائدة إلى أرض قد أظمأها العطش والجفاف؟

إن رغبته في القيام بما هو صائب بالنسبة لليندا، حتى لوّ كلّفه غالباً، هو نوع من أنواع الحب.

الحب!

تعمّد ريك عدم السماح لتلك الكلمة بالدخول إلى علاقته المدروسة بعناية مع ليندا. وبما أن تلك الكلمة دخلت الآن، فهل من الممكن له أن ينظر إليها ثانية، من دون سماع رنّة تلك الكلمة، كهمسة من الصفاء والطيبة؟

قال ريك من دون تفكير: «بروتوس».

- ماذا؟

- اسم للكلب.

اسم سخيف... زلّة لسان فرويدية، تعبّر عن اسم رجل ظنّ رجل آخر أن باستطاعته الثقة به، ثم تبين أنه غير أهلٍ للثقة على الإطلاق.

- نحن لم نكن نتكلم عن اسم الكلب في هذه اللحظة!

كلا، لم يكونا يتكلمان عن هذا الموضوع. كان حديثهما عن روح رجل ما...

ضربت ليندا رجلها بالأرض من شدّة غيظها، ولو أن هذا الغضب لم يكن موجهاً إليه، لوجد ريك تلك الحركة فاتنة جداً.

- نحن نتكلم عنك وعنّي.

في طريقة قولها لتلك الكلمات لمح ريك امرأة تشع ثقة وقوة إلى درجة حبست أنفاسه. عاودت تلك الكلمة الظهور في عقله ثانية من تلقاء ذاتها: الحب! كلا لم تعاود الظهور فقط في عقله، بل شعر بها تملأ قلبه وروحه، فيما حاول عقله بجهد كبير البقاء هادئاً. جاء كلام ليندا خارقاً الصمت المزعج الذي أحاط بريك، وبدا صوتها يقطر بالازدراء، وهي تقول: «هل جلبت لي كلباً كي لا تضطر إلى إيجاد رجل من أجلي؟»

- مهلاً يا ليندا...

- إيّاك أن تقول لي مهلاً يا ليندا. ألا تعتقد أني كفؤة كفاية لإيجاد رجل لنفسي، إذا ما أردت واحداً؟

- آه...!

- تخيّل ذلك! كنت غبية بما يكفي لأعتقد أنني أريدك أنت، وأنت لا تستطيع أن تجيب عن سؤال بسيط.

قال ريك وهو يشعر بالانزعاج: «ربما يجدر بنا الحديث عن هذا الموضوع في مرة ثانية».

ليس الآن بكلّ تأكيد... ليس وهو يشعر بالضعف لمعرفته بأنه واقع في غرامها. والآن هي تخبره أنها تشعر بالشيء نفسه تجاهه. على الأقل هذا ما اعتقد ريك أن ليندا كانت تقوله.

وضعت ليندا فنجان قهوتها على الطاولة وقالت: «في الواقع يا ريك، أنا قد انتهيت من الكلام».

نظر ريك إليها، وأمل طفيف يداعبه بأنها تعني أنها سوف تغادر. لكنه يعلم في الوقت نفسه أن ليندا ليست مستعدة بعد لإنهاء هذا الموضوع. هذا ما تفعله بالرجل أي امرأة شخصيتها شبيهة بشخصية ليندا؛ تثير داخل نفسه ضدّين متصارعين.

أرادها ريك أن تبقى، وأرادها في الوقت عينه أن تغادر. أراد أن يجد رجلاً آخر من أجلها، لكنه لم يتحمل فكرة أن يجد رجلاً آخر من أجلها. رأى ريك نفسه يتشتت ويضعف ويبتعد عن مثاليته، أصبح رجلاً يحتوي على الأضداد المتناقضة. فهو جيّد وسيء، ضعيف وقوي، محب وأناني في الوقت عينه.

رأى داخل عيني ليندا شيئاً متألقاً، شيئاً عنيفاً متوحشاً. أدرك ريك أنه الشغف يومض داخلها، وأن ليندا رأت ما بداخل قلبه بوضوح، وكأنه صرّح عنه بصوت مرتفع. كيف يمكن لأي شخص أن يخفي أي شيء عن امرأة تحلم بالحقيقة؟

وضع قهوته على الطاولة، واقترب منها فاتحاً ذراعيه ليضمها إلى صدره. فكر للحظة أنه لا يجدر به القيام بذلك، لكن حقيقة شعوره كانت أبعد ما تكون عن التراجع.

اقتربت ليندا إلى ما بين ذراعي ريك كأن ما تفعله هو أمر محتوم. مهما كان مقدار القوة التي يمتلكها للمقاومة فقد تبخّرت في تلك اللحظة. خططه، وبرامج العمل التي أعدّها للتعامل مع هذا الموقف تبخرت أيضاً، وذابت فيما لفّ ذراعيه حول ليندا.

بدا الأمر أشبه بعودة المرء إلى المكان الذي ينتمي إليه. ما من شعور أحسّه ريك من قبل بإمكانه مضاهاة الإحساس بضآلة حجمها وهي تستند إليه، وأنفاسها تلفح صدره بنفحات دافئة. شعر بخدر في حواسه من رائحتها ونعومتها.

قال لنفسه بحزم: سوف أستمتع بهذه اللحظة، ثم سأترك ليندا ترحل.

لكن في اللحظة التي استحضر فيها ريك قواه، والحزم الذي بناه في سنين لكي يبعد ليندا عنه، رفعت ليندا رأسها ونظرت إليه بعينيها المخمليتي النظرات، المشعتين بالعمق والرهبة والروح الفائقة القوة.

سرعان ما تجاهل نيته في تركها ترحل، ولم يعد يرغب بأن يفلتها من بين ذراعيه. لفّت ليندا ذراعيها حول عنقه، فيما هو يشدها نحوه. أغلقت جفنيها اللذين أخفيا نعومة عينيها، وذابت بين ذراعيه.

بتلات الورد التي حضنت ندى الصباح، لم تكن بهذا الجمال العميق. أراد ريك الاحتفاظ بهذه اللحظة.. أراد أن يحظى بها للحظة جديدة إضافية لتسانده خلال الليالي التي تنتظره. الليالي التي سيشعر فيها بالوحدة بشكل لا يحتمل بعد اكتشافه بأنّه يحب ليندا، وبعد معرفته حقيقة أنه لن يستطيع أن يحظى بها ما لم يسبب لها الألم في البداية.

الإحساس بها بقربه هشمّ كلّ فكرة عقلانية خطرت بباله. أخذته ليندا إلى مكان آخر، خالٍ من الأفكار، يحترق من صفاء المشاعر وقوتها. مكان يشع بسلطة وفعالية الإحساس الذي اكتشفاه معاً. رائحة عطرها الدافئ تسللت إلى كيانه فأدفأته.

- آه!

أخذت ليندا نفساً قربه، كأنها قد اكتشفت أعمق أسرارها وأسرار ريك، بل كأنها أدركت ما يجهله هو. قالت: «آه» بإيمان راسخ وثقة، كأنها تدرك أن هذا العالم هو مكان مليء بالسحر والعجائب.

في تلك اللحظة، اللحظة التي تنهدت فيها روحها بكلّ معرفتها واستسلامها، قدّم ريك إليها كلّ ما بقي من مقاومته الممزقة وإرادته. عانقها

بكل قوة وعمق المشاعر التي تتفاعل في داخله.

همست بنبرة صوت ناعمة رقيقة: «أنا لست بحاجة إلى كلب».

كأنها قدمت له بذلك الإثبات الذي يحتاجه، وأكملت: «ريك، أنا بحاجة إليك».

لمسة يدي ريك جعلت ليندا تشعر بإحساس لذيذ ورائع. أدركت أنها تتصرف كمراهقة تتلقى أول عناق من حبيبها، لكنها أرادت جواباً عن سؤالها. أرادت أن تعرف طبيعة شعوره نحوها. وشعرت بريك يستعد لبناء الحواجز من الكلمات والعقلانية. احتاجت إلى القفز فوق كلّ هذه العوائق. أرادت أن تصل إلى ما هو حقيقي، وأدركت أن أقصر طريق إلى ذلك المكان هي عبر الاعتراف بحقيقة مشاعرها هي. ولقد نجحت في ما أرادته بشكل فاق أقصى أحلامها.

أدركت ليندا بالضبط ما الذي دهاها. منذ أسابيع، وحتى اليوم. سارت في رحلة أثبتت يوماً بعد يوم أنها من أطول رحلات حياتها وأكثرها صعوبة. إنها الرحلة من عقلها إلى قلبها. سألت نفسها: من أنا؟ ما الذي أساويه؟ ما الذي أريده؟ ما الذي أريد أن أحصل عليه من هذه الحياة؟ هل من الممكن لليندا ستار الحقيقية أن تظهر إلى الواجهة؟

تلك الأسئلة التي ثارت بداخلها، تعود أولى خطوات رحلتها إلى تسعة عشر عاماً مضت. يوم قالت «أوافق على هذا الزواج» للرجل غير المناسب، ولدافع غير صحيح. في تلك الأيام، كان الخوف هو المتحكم بها.

في بعض الأحيان، بدا لليندا أن كلّ لحظة منذ ذلك الوقت قد حكمها وسيطر عليها الخوف ذاته. ما الذي سيقوله الناس؟ بدأت وهي في التاسعة عشرة من عمرها رحلة مجنونة. كي تثبت من خلالها، لأهلها، وأصدقائها، وزوجها والعالم كلّه أنها فتاة صالحة، امرأة محترمة، وأهل للثقة.

أصبحت الزوجة المثالية لرجل أعمال ناجح وغني جداً. أثبتت أنها شخصية مثقفة ومهذبة، وأنها امرأة قادرة على التأقلم والاهتمام بنفسها في المناسبات الاجتماعية بكلّ كياسة وهدوء. كما كانت ليندا الأم المثالية. قامت

بهذا كله لإسكات تلك الأصوات التي همست وراء ظهرها في ما مضى قائلة إنها وصولية تزوجت من بلير طمعاً في ثروته.

لكن، لحسن الحظ، وفي تلك اللحظة، تبخرت من ذهنها كلّ الأفكار المتعلقة بماضيها ومستقبلها بسبب القوة المتملكة التي جذبها ريك نحوه بواسطتها، معيداً ليندا إليه وإلى ذاتها. ابتدأت ليندا بالارتعاش من التأثر. في تلك اللحظة عاودت ليندا ستار الحقيقية الظهور إلى الواجهة بقوة وعزم.

ابتعدت ليندا إلى الوراء قليلاً. شعرت بقوة شخصيتها الحقيقية تظهر داخلها. إنها امرأة شغوفة، متحررة. امرأة حقيقية، لها حاجاتها ومخاوفها وضعفها.

أعطت ليندا لنفسها الأذن لتشعر بهذا، ولتكون هذا المرأة. تألّقت ليندا بين ذراعي ريك، فشعرت بإحساس من السعادة يغمرها في حرارة ذلك العناق، وفي الشوق المتبادل الذي عبق في الجو بينهما.

اللون الأخضر في عيني ريك أصبح داكناً بصورة لم ترها فيهما ليندا من قبل. بدا لونهما غامضاً، ساحراً ومسيطراً على كل ما حوله. غدا عناقه أقل رقة وأكثر تطلّباً. كأن في داخله توق وحشي يطالبه، وكأنما شيء ما داخل ليندا استجاب إليه بتوق مماثل. ذلك الشيء هو الجزء الذي لطالما حاولت ليندا إنكاره، فسجنته في زنزانة داخلية قاتمة. لكن سجنها لذلك الجزء منها لم يضعفه أبداً.

ابتعد ريك إلى الوراء، ونظر عميقاً داخل عيني ليندا. رأى ذلك الشغف داخل عينيها مماثلاً للشغف الذي يشعر به في داخله.

تكلّم ريك بصوت أجش بسبب الأحاسيس التي تعتمل في داخله قائلاً: «ليندا. تعالي لنجلس على الأريكة في غرفة الجلوس».

بدا لفظ اسمها على شفتيه كالنغمة الموسيقية. أخذ بيدها وقادها عبر المطبخ إلى غرفة الجلوس الرائعة. أحد جدران هذه الغرفة كان مليئاً بالنوافذ المطلّة على عتمة الخليج الداكنة. إنّه النهر نفسه الذي يمرّ قرب منزلها، حيث شاهدت طائر الكركي. لقد جمعت المياه الغامضة التي تمنح الحياة، بين حياة ريك وحياة

ليندا.

قاد ريك ليندا إلى تلك الأريكة وجلس إلى جانبها. امتدت أصابعه إلى خصلات شعرها فراحت تمسدها وتلفها المرة بعد الأخرى، ثم انتقلت لترسم حدود وجهها، فكيها، خديها، حاجبيها... كأنها تطوف في رحلة استكشاف في إحدى بقاع الأرض المكتشفة حديثاً.

توقفت ليندا عن أخذ النفس.

تأملت فكه المنحوت بدقه، عرض كتفيه، صدره المليء بالعضلات، نظرت إلى الخطوط القوية على وجهه، وإلى الضوء الذي احترق في عينيه. بدا الأمر أشبه بالحلم، أو بلوحة فنية رائعة.

وفجأة انتهى الحلم، قبل أن يحين وقت انتهائه. رن جرس الهاتف، ممزقاً سكون اللحظة ومنهياً سحرها.

- تجاهليه!

دمدم ريك متذمراً في أذني ليندا، وأكمل: «ما من خير يأتي من وراء هاتف يرن في أحلك ساعات الليل».

بعث صوته برعشات في ظهرها مماثلة لتلك التي أثارها فيها عناقه. إلا أنها دفعته بعيداً عنها، فرنين الهاتف أصابها بالتوتر، وذكرها بأن لديها ابنة قد تتصل في ساعات الليل الحالكة. بالتأكيد سوف تقلق بوبي إذا ما اتصلت بها ولم تجدها في المنزل.

أعادها الرنين المتواصل للهاتف إلى المرأة التي كانت عليها لمدة طويلة؛ امرأة مسؤولة، يستطيع الجميع الاعتماد عليها. فكّرت ليندا أنه إذا ما اتصلت بها ابنتها ولم تكن موجودة في المنزل، فمن هو الشخص التالي الذي سوف تكلّمه؟ بالطبع ريك، عرّابها!

همست ليندا: «ماذا لو كانت هذه بوبي؟»

- بوبي؟!

عبس ريك، ومن البديهي أنه لم يستطع تتبع منطق الأم. لم يستطع أن يستوعب كيف أن أوّل الأفكار التي تأتي إلى ذهنها هي احتمال أن يكون قد

حدث شيء ما لأحد ما . . .

مدّ ريك يده إلى الهاتف ورفع السماعة، ودمدم بنبرة صوت غير ودودة: «أجل!»

راقبت ليندا تعابير وجهه، ورأت النظرة السريعة التي وجهها إليها. استطاعت أن تسمع صوتاً أنثوياً على الجهة الأخرى من الهاتف، لكنها أدركت بيقين مؤلم، أن تلك المرأة ليست بوبي.

ألقى ريك نظرة أخرى باتجاه ليندا، ثم قال: «سوف أعاود الاتصال بك بعد قليل».

أغمضت ليندا عينيها، وشعرت بالحرارة والحماسة تتسربان منها، ليحل مكانهما شعور لامتناهٍ من الريبة والشك. إنها تذكر هذا المشهد جيداً: الاتصالات الغامضة في منتصف الليالي!

أعاد ريك سماعة الهاتف إلى مكانها، واستدار عائداً إليها. بدا الثقل رابضاً على صدره بوضوح. مرّر يده عبر شعره الأشعث. في لحظة مجنونة لاحظت ليندا تلك الخصلة المتمردة، وتمنت لو أنها لمستها ثانية حينما كانت الفرصة سانحة أمامها.

قال ريك: «أنا آسف».

مع أن صوت ريك لم يكن مضمّخاً بالشعور بالذنب، ألا أن ليندا استطاعت رؤية ذلك في عينيه. لم يبدُ أنه ينوي تقديم أي تبرير حول ذلك الاتصال.

نهضت ليندا عن الأريكة واقفة. أرغمت رنّة من الابتهاج على تغليف صوتها. ومع ذلك بدا لها مليئاً بالمرارة ومهيّئاً للانكسار وهي تقول: «كلا، لا تشعر بالأسف. الحمد لله أن هذا الأمر قد حدث! لقد أنقذنا رنين الهاتف».

تمنت ليندا أن يناقشها ريك في ما قالته، على الأقل حول كلمة «أنقذنا». . تمنت أن يدفعها ثانية إلى الأريكة فيعانقها، ويجعل عالمها جيداً ورائعاً من جديد. . .

لكن ريك لم يفعل شيئاً من هذا. لقد غيّر ذلك الاتصال الهاتفي كلّ شيء.

- ريك. انس أن شيئاً من هذا قد حدث بيننا.

ركضت نحو الباب، ولم يلحق ريك بها. عندها ألقت نظرة إلى الوراء، كان ريك جالساً على حافة الأريكة، يداه معقودتان معاً، وهو ينظر إلى الأرض.

لم يكن ريك لينسى بأن شيئاً قد حصل بينه وبين ليندا.

ولسوء حظّها، لم تكن هي أيضاً لتنسى.

www.elromancia.com

٨ - سهم في القلب

سمع ريك صوت خطوات ليندا فيما خرجت من المنزل. ثم سمع صوت سيارتها الصغيرة عندما هدر محركها، وما لبثت أن غادرت...

غمر ريك رأسه بذراعيه خجلاً. لقد رأى النظرة في عيني ليندا بعد أن وضع سمّاعة الهاتف. كان مستعداً لفعل أي شيء ليثبت لها أن الأمر لم يكن كما تتخيل هي. لكن، حتى هذا لم يكن صحيحاً بشكل كامل. لم يكن الأمر كما تخيلت ليندا بالضبط، لكنه قريب إلى ذلك بشكل كبير.

ليندا امرأة مخدوعة، أخفي عنها أسوأ نوع من الأسرار.

هذا بالضبط ما شاهده ريك في عينيها. إنها تدرك الحقيقة، بشكل كامل، ودون أدنى لمحة من الشك. لقد أدركت أنه يخفي سراً عنها.

لا شك في أنها اعتقدت أنه على علاقة بامرأة أخرى. أما السر الحقيقي الذي يخفيه فلا شك عنده أن تأثيره قادر على إحداث دمار وضرر أكبر.

جاءه هذا الاتصال من ترايسي. ترايسي صغيرة جداً على تحمل مسؤولية رعاية ابنة أختها وابنة بلير ستار. في بعض الأحيان، اعتادت ترايسي أن تقوم بهذا الأمر؛ الاتصال في منتصف الليل. لكن هذا الأمر أصبح الآن أخف وطأة عليه مما كان عليه في البداية. لطالما شعرت المرأة أنها خائفة ووحيدة مع تلك الطفلة، لذا حاول ريك دائماً الوقوف إلى جانبها.

والآن، تساءل ريك عن سبب اتصالها. هل هنالك أمر طارئ؟ على الرغم من إحساسه بأن ضلوعه قد قدّت من الحديد، وبأنه مرهق إلى درجة لا يقدر معها على الكلام، إلا أنه أجبر نفسه على معاودة الاتصال بها.

قال لها ريك: «عفواً، كنت مشغولاً».

قالت ترايسي: «لم يجدر بي الاتصال بك، لكن أنجلينا تبكي منذ ساعات، ولم أعرف ما الذي يجب فعله!»

استطاع ريك سماع بكاء الطفلة في الخلف، بشهقات صغيرة مرهقة.

- ترايسي، عندما تبكي الطفلة طيلة تلك المدة، خذيها إلى المستشفى. لِمَ لم تأخذيها حتى الآن؟

- لهذا السبب اتصلت بك. حاولت طلب سيارة أجرة لكنها لم تأتِ. أملت أن تستطيع أنت أخذنا.

أراد ريك أن يصرخ بها، أنه كان يجب عليها الاتصال بسيارة الإسعاف. لكنه عضّ على لسانه وسكت، فترايسي ليست سبب انزعاجه، ولا علاقة لها مطلقاً به. إحساسه بالخجل والخزي ازداد عمقاً، وأدرك أنه لن يكون الرجل المناسب الذي تستحقه ليندا إذا ما بقي أنانياً ومركزاً اهتمامه على نفسه فقط.

فكّر بليندا، متمنياً أن تكون هناك فرصة أمامهما للمستقبل. شعر ببعض الأمل والتفاؤل بعد ما حدث بينهما للتو. يجب عليه إعادة الأمور إلى نصابها، وتنظيف تلك الفوضى، وكلمّا أسرع بذلك كلما كان ذلك أفضل لهما.

استمع بصعوبة إلى صوت ترايسي الناعم وهي تصف له العوارض التي أصابت الطفلة. سمع ريك ما لم تقله ترايسي بكلماتها. كانت خائفة من الذهاب إلى المستشفى بمفردها. ترايسي فتاة لطيفة ورقيقة، إنها شخصية رائعة لرعاية الطفلة وحضانتها. لكنها مازالت شابة صغيرة، وهي غير مثقفة ولا تتحلى إلا بالقليل من الثقة بالنفس. عندما يقوم أحدهم عادة بطلب سيارة أجرة ولا تأتي، فإنه يتصل بالشركة من جديد مشتكياً، أما هي فلم تفعل. قال لها ريك: «سوف أكون عندك حالاً، سوف نذهب الآن».

- شكراً لك.

* * *

بعد عدة ساعات، أعاد ريك ترايسي وأنجلينا إلى المنزل الصغير الذي سمح مال بلير لهما بشرائه، والذي قام ريك بنفسه باختياره لهما. أنجلينا كانت مستغرقة بالنوم، أخيراً، بعد أن أعطاها الطبيب جرعة قوية من المضادات

الحيوية.

ذهب ريك إلى مكتبه. لم يكن أي من الموظفين قد أتى إلى العمل بعد، فترك ملاحظة لسكرتيرته، وطلب منها أن تلغي كلّ مواعيده لذلك النهار، ثم قام بأخذ موعد جديد.

لاقاه صديقه لورنس، لتناول الفطور في مقهى هادئ في وسط المدينة، حيث بإمكانهما أن يحظيا ببعض الخصوصية في حجرة صغيرة. ريك ولورانس صديقان منذ أيام المدرسة. لورانس أصبح محامياً يدير شركة قانونية تهتم بكامل الأعمال القانونية الخاصة بشركة ستار تشايرز، لكن شركة لورانس ليست هي التي اهتمت بتخليص حصّة ترايسي وأنجلينا من تركة بلير.

- تبدو في حالٍ تعيسة جداً.

قال لورانس لريك من دون أي مراوغة.

- لأنني فعلاً في حال تعيسة جداً. هل أستطيع أن أريك شيئاً؟

- كصديق أم كزبون؟

- كصديق.

مرّر ريك إلى لورانس رسالة بلير. رسالته الأخيرة التي غيّرت مسار حياة ريك بشكل كامل.

لقد عرف لورانس بلير أيضاً. خلال قراءته للرسالة ازداد العبوس حول فمه مع القراءة، ثم قال: «لم يكن باستطاعة أي شخص أن يتعرف إلى بلير ولا يعجب به».

ثم رفع نظره عن الرسالة وأكمل: «لكن... يا له من وغد! أعني أنه... حسناً! لقد تكفل برعاية الطفلة، لكن يا له من تصرف سيء تجاه ليندا! أعتقد أنّك قمت بالتقيّد بتعليماته الموجودة في الرسالة، وليندا لا تعلم شيئاً عن الموضوع. أليس كذلك؟»

قال ريك مخاطباً صديقه: «هذا ما أحتاج إلى نصيحتك بشأنه».

- أهنالك شيء ما بينك وبين ليندا؟

حزر لورنس ذلك، فموهبته في قراءة الأشخاص لم تكن بظاهرة جديدة.

- أنا مغرم بليندا.

- آه! الحبكة تزداد تعقيداً. سأخبرك برأيي المهني. هذه الرسالة ليست وثيقة قانونية. لا شيء فيها يلزمك بأي أمر.

لم ينطق ريك بأي كلمة، فيما أخذ يدير فنجان قهوته بين يديه، منتظراً أن يحلّ عليه شعور بالراحة، لكن هذا الشعور لم يأتِ. لم تكن قانونية الأمور هي التي تشغل باله. فالأمور القانونية ليس فيها حل وسطي، قانونها هو: إما أسود وإما أبيض. أما أمور القلب والروح فلم تكن تحمل هذه القدرة على الحسم.

- حسناً! سوف أعطيك الآن رأيي الشخصي، كصديق لك، سواء أردت أن تسمعه أم لا.

أراد ريك بشدّة سماع رأي لورانس.

- إن ترك بلير لرسالته هذه لك أنت، وترك مسؤولية كهذه على عاتقك، هو تصرف أناني، وغير مسؤول لرجل نذل وحقير.

سأله ريك: «هل هذا مصطلح قانوني؟».

تجاهل لورانس ملاحظة ريك، وأكمل: «وضعك بلير في هذا الموقع من دون طلب إذنك، وأنت تتصرف وكأنك وافقت بكامل إرادتك على الحفاظ على أسرار بلير الوسخة، فيما أنت لم توافق على ذلك!»

فكّر ريك بتلك الطفلة الجميلة، بوجهها المستدير وتجعيدات شعرها الأشقر، والتي كان قد جلبها اليوم إلى المستشفى ومنه. لم تعجب ريك فكرة أن يُشار إلى أنجلينا بأنها السرّ الوسخ لأحدهما، لكنه أدرك أن ما من فائدة ترتجى من إيضاح تلك النقطة.

قال ريك محاولاً تنقيح تلك الصورة: «لقد وثق بي وائتمنني على هذا الرسالة لأنه يعرف أي نوع من الرجال أنا».

- أجل. يا لك من شخص يسهل خداعه!

قال لورانس ذلك، ثم حاول تلطيف الأمور فأكمل: «هاي، أنت تملك قلباً طيباً، وبلير قام باستغلال ذلك».

- حسناً! ما هي الخطوة التالية؟

ابتسم لورانس قليلاً: «أنت لست بحاجة إلي لأخبرك بالخطوة التالية. أنت تدرك ما الذي يجب فعله».

– يجب أن أقوم بإخبار ليندا بالحقيقة.

قال ريك تلك الكلمات بصوت عالٍ، وما إن لفظها حتى أدرك أنّه كان يعرف ذلك من البداية. أدرك أن سبب عدم إخبارها بذلك الأمر، لم يكن دافعه الولاء لبلير، بل لأنه كره فكرة أن يقوم بإيذائها.

وافق لورانس على ما قاله ريك: «حسناً! أنا سعيد لأن هذا هو قرارك. بالرغم من أنني أعتقد أن بلير قد آمّن مبلغاً وفيراً للطفلة، لكن، من يدري؟ قد يأتي أحدهم يوماً ما، وينصح تلك الطفلة بأن تحاول أخذ قطعة أكبر من الحلوى. تخيّل مدى الصدمة التي قد تصيب ليندا حينها».

تخيّل ريك الموضوع فعلاً، ولم تعجبه تلك الفكرة أبداً.

– وهل يحق لأنجلينا أن تأخذ المزيد؟ أعني قطعة أكبر من الحلوى؟

– هذا هو السؤال الذي يجني المحامون المال وهم يحاولون الإجابة عنه. والآن، هيا خففْ عن نفسك قليلاً. تبدو متجهّماً جداً بالنسبة إلى رجل مغرم.

– لأن الأمر معقد جداً.

– حسناً! تقبل تلك الفكرة يا صديقي، لأن هذه هي ماهية الحب.

نعم، لورنس على حق!

مرّ ريك بمنزل أوبراين ليرى ليندا، ويحاول ترتيب موعد للاجتماع بها، لكن ليندا لم تكن موجودة. شعر ببعض الامتعاض لذلك الأمر وفكّر، أتراها قررت ألا تأتي إلى هنا بسبب ما حدث بينهما في الليلة السابقة؟ لابد أن تكون إذاً في المنزل، ترعى جراحها وتعالجها، وهي على الأرجح، تلتهم البسكويت بالشوكولا بكميات كبيرة.

سأل جايسون ريك: «هل تريد أن تلقي نظرة على المنزل؟»

– يجب أن ترى يا ريك الحمام الرئيسي. إنه أفضل عمل قمت به في حياتي.

نظر ريك إلى ساعته وقال: «في الواقع، لا أملك الوقت للقيام بذلك».

لكن حقيقة الأمر هي أنه لا يريد أن يرى لمسات ليندا الساحرة المنتشرة هنا

وهناك.

بدا المنزل مشعاً من حب ليندا. قلبها وروحها بدوا واضحين في كل مكان من المنزل.

– ليندا تخطط لإقامة مزاد مفتوح لبيع المنزل.

قال له جايسون ذلك، وأكمل: «أراهنك أن هذا المنزل سوف يباع في يوم المزاد نفسه. إنني في الحقيقة مغرم بهذه السيدة العجوز».

شعر ريك أنه يودّ لكم جايسون على فمه، وهو يفكر. ليندا؟ السيدة العجوز؟ هذا الأمر بالضبط هو ما حاول تحذير ليندا منه!

– المنزل!

قال جايسون موضحاً بلباقة: «كنت أقصد المنزل بكلامي».

سأله ريك: «حسناً! أين هي ليندا في الوقت الحالي؟»

ثم استجمع قواه، محضراً نفسه لما سيجيبه به جايسون. أبلغه هذا الأخير أن ليندا اتصلت لتبلغه أنها مريضة، وبدا من صوتها أنها مصابة بزكام شديد. آه! لا شك أنه بدا كصوت امرأة قضت الليل وهي تبكي!

– أظنها قالت إنها سوف تذهب إلى صف تعلم قيادة الدراجات النارية. إنه أمرٌ جيل. أليس كذلك؟

عندما حظي ريك بها بعد طول عناء، واستطاع أن يكلّمها على هاتفها الخليوي. لم يبدُ على صوتها أي كبتٍ أوزكام نتيجة البكاء. أبلغته ليندا أنها مشغولة جداً بالمزاد المفتوح الذي ستقيمه في المنزل، وأن أفضل ما يمكن أن تفعله من أجله لكي تقابله، هو أن تحشره في جدولها المكتظ فيتناولان عشاءً سريعاً في الليلة التي تسبق ذلك الحدث.

في الوقت الذي كان هو يطيل التفكير، ويناقش نفسه بشأن ما حدث وما سوف يقوله لها، كانت ليندا تمضي أفضل وقتٍ في حياتها. فالسهرة التي تنوي تنظيمها من أجل منزل أوبراين، كانت حديث الشركة بأكملها. بدا الأمر وكأنه تحوّل بسرعة إلى الحدث الاجتماعي الأهم في هذا الموسم.

– ليندا لديها بعض المعارف في فرقة كالغاري باربرشو، وسوف تقوم الفرقة

بتقديم وصلة غنائية على الشرفة الأمامية لمنزل أوبراين.

أبلغته إحدى سكرتيراته بذلك، وأكملت: «طلبت مني أن أوصي على بعض المقبلات من مطعم «فيرناندو». تخيّل أنهم وافقوا بسرعة على القيام بذلك. أي شخص يحتاج إلى شهر على الأقل قبل أن يستطيع حجز طاولة للعشاء في هذا المكان! كما أن ذلك المحل الرائع الذي يبيع قطع الأثاث الأثرية في الشارع السابع عشر، سوف يتبرع بالأثاث في ذلك اليوم، دون أي مقابل».

يعرف ريك من هو الشخص الذي تعرفه ليندا في فرقة باربرشو، إنه أحد المغنين ويدعى هيربرت وهو أحد أصدقاء بلير. وكذلك كان فيرناندو. ولا شك أن محل الأثريات أيضاً يملكه رجل ثري غير مرتبط.

بدا له أن الرجال يحومون حول ليندا كالعقبان التي تلاحق السنونو. أو ربما كان الأمر معكوساً؛ أي هي العقاب وهم السنونوات التي تقع من السماء دون أي رحمة، تحت تأثير ذلك السحر والجمال الذي أسرهم كما أسره هو.

أما مسيرة حياته في هذا الوقت فقد اقتصرت على تمرين الكلب على قضاء حاجته. لقد تم إخطاره أن هذا الكلب يعتبر كبيراً على المجمع السكني. اعتاد الكلب النباح كلما اضطر ريك إلى تركه وحيداً، حيث كان يحجزه في الحمام، المكان الذي يكون فيه الضرر أخف من الأماكن الأخرى. لقد تلقى ريك بعض الشكاوى بسبب هذا النباح. كما أن جارته، التي اعتبرها التوأم الشرير لميلدريد، أخذت بالثرثرة قائلة إن العشب سوف يموت في تلك الأماكن التي قام الكلب بالمساعدة في ريّها.

أما الليلة، فعندما عاد ريك إلى المنزل تم تسليمه باليد رسالة من لجنة المجمع السكني، تخبره بلهجة تدل على نفاد الصبر، بأنه يُسمح باقتناء الكلاب الصغيرة فقط في هذا الحي، وتسمي له بعض فصائل الكلاب المسموح بها.

نظر ريك إلى تلك اللائحة، والفصائل الموجودة فيها بذهول. كلاب البودل؟ أو التيريير؟ هذه الكلاب ليست للرجال.

قذف ريك تلك اللائحة بعيداً، ووضع كلبه في حضنه، ثم أخذ ينظر إلى كفيّه الضخمين برضا تام. لم يكن قادراً على التصديق أنّه فكّر ذات مرّة بأن

يعطي كلبه إلى ليندا، أو أن يتخلى عنه بالمطلق.

لقد أثبت الكلب أنه إلهاء لطيف جداً عن الفوضى التي أحاطت بحياته.

- لن أبدلك بأي كلب آخر.

أما الكلب، الذي لم يحظ باسم بعد، فقد أنّ برضا موافقاً ريك، الذي أخذ يداعبه تحت ذقنه.

- لا يستطيع الجيران أن يفرضوا عليّ أي نوع من الكلاب أقتني. هذا هو قانون الدولة.

في الليلة التي كان يفترض بريك ملاقاة ليندا في حجرة هادئة في مطعم «أوكلير»، اتّصلت به، وقد بدا عليها الإرهاق بشكل واضح.

- ريك، أنا مرهقة تماماً. كنت أرتب الأثاث طيلة النهار، كما أن بائع الزهور أخطأ في الطلبية، فأرسل لي زهوراً معدة لجنازة شخص ما يدعى بيرتي كايثيرستون. بالإضافة إلى ذلك أصيب أحد أعضاء باربرشو كوارتت بالتهاب في حنجرته.

- هدئي من روعك، فلابدّ أن تصطلح الأمور.

قال ريك ذلك، فيما تمنى بمكر أن يكون هيربرت هو المصاب. أدرك أن ليندا مرهقة جداً. لقد كانت كمن يقوم بأعمال سيرك كامل بمفردها. بالإضافة إلى ذلك، حشرت بين أعمالها دروساً لتعلم قيادة الدراجة النارية. بالرغم من ذلك كله، لم تحاول ولو مرة واحدة، الاتصال به لتسأله مساعدتها. فكر ريك أنه شعر بالارهاق هو أيضاً، إذ احترقت أعصابه من ثقل حمل سرّين معاً.

سرّ يتعلق بابنة بلير، وسرّ آخر حول وقوعه في غرام ليندا. آه! يجدر به الاعتراف لها بذلك كله.

لكن... قد لا يكون الاعتراف بالأمر الجيد والمناسب... عند تلك الفكرة، أدرك ريك أنه يجب عليه أن يرى ليندا حالاً، قبل أن يقنع نفسه بالعدول عن قراره.

- هل أستطيع أن أمر بك في منزلك؟ لن آخذ الكثير من وقتك.

- بالطبع، تستطيع القدوم.

بدت ليندا غير واثقة على الإطلاق من صوابية ترحيبها به، فذكرى آخر مرة كانا بها وحيدين سوياً قفزت عبر سماعة الهاتف لتملأ ذهنها بالهواجس.

على أي حال، لن يكون هناك وجود لأي بسكويت هذه المرّة. ولن تسمح للتهور بأن يسيطر عليها.

عندما وصل ريك إلى منزلها، وفتحت ليندا الباب له، فهم ريك لما امتلأ منزل أوبراين بقطع الأثاث القديمة المجانية. وفهم لما وافق فرناندر على تقديم المقبلات، ولما وافق هيربرت، لولا آلام حنجرته، أن يشدو مغنياً أحاسيسه. فعلوا ذلك كله من أجلها! كان هؤلاء جميعاً ينوون القيام بكل هذا من أجل ليندا، لأن جمالها يبدو مذهلاً. بدا كأن جمالها أخذ بالتألق والازدياد منذ أن ابتدأت ليندا بالعمل على المنزل. فمع الولادة الجديدة للمنزل، استعاد سحرها الخاص رونقه وانتعاشه. أمل ريك ألاّ يقوم الأمر الذي ينوي إبلاغها إياه بتغيير ذلك الواقع.

- تفضل بالدخول.

بطريقة ما، تمكنت ليندا، بالرغم من جدولها المكتظ، من ترتيب غرفة الجلوس في منزلها. بدت الغرفة ودودة حميمة، وكأن ليندا قد أمضت وقتاً طويلاً في ترتيبها، ما جعل ريك يأمل أنه لم يكن لديها وقت كثير لتقضيه مع أولئك العقبان.

استطاعت أيضاً توفير الوقت، للقيام ببعض التغييرات في شعرها، إذ بدت فيه بعض الخصلات الذهبية التي تداخلت مع لون شعرها الطبيعي، كما أنه تخطى مرحلة التشعث. بدت عيناها مرسومتين بشكل رائع، وبدتا مشعتين كعيون نجمات السينما. ارتدت ليندا بذلة حريرية بلون الكريما تحتها بلوزة سوداء، فيما التمعت بعض الأحجار الكريمة في أذنيها وعلى عنقها.

سألته ليندا، بعد أن جلس: «أترغب ببعض القهوة؟»

التعابير التي ارتسمت على وجهها، والتي ساعدتها مساحيق التجميل، والبذلة الراقية جداً، كانت بعيدة وجامدة، وذكّرت ريك بالوقت الذي كانت فيه ليندا زوجة لبلير. أراد أن ينزع ذلك القناع عن وجهها بقوة.

أن ينزعه بعناقه، لا بالكلمات التي أوشك أن يقولها. هزّ رأسه رافضاً دعوتها إلى شرب القهوة، ثم قال لها: «من فضلك، اجلسي».

جلست ليندا، بالرغم من حيرتها واضطرابها.

- لدي بعض الأشياء الصعبة التي يجب أن أقولها لكِ.

بدا على ليندا أنها تريد أن تنهض راكضة وتهرب بعيداً، لكنها بسطت يديها على حضنها متأهبة، كامرأة مستعدة للأسوأ.

- عندما جاءني ذلك الاتصال الهاتفي في تلك الليلة، أعرف أنك افترضتِ أن لدي صديقة ما، أو أنني أقابل امرأة أخرى. لكن ما من فكرة أبعد عن الحقيقة من هذه الفكرة.

أجابته ليندا ببرودة امرأة مختلفة تماماً عن تلك المرأة الشغوفة التي كانت عليها تلك الليلة، قائلة: «في حقيقة الأمر يا ريك، أن ذلك من شأنك وحدك، أنت لست مضطراً...».

- ليندا! كان الاتصال من فتاة تدعى ترايسي أديسون.

بدا أن اسم عائلة الفتاة ذكّر ليندا بشيء، فأكمل ريك برقة: «إنها شقيقة لايسي أديسون».

علّقت ليندا بصوت قاس كالخشب: «المرأة التي ماتت برفقة بلير».

أحنى ريك رأسه موافقاً.

- رأيت صورتها في الجريدة، بجانب صورة بلير مباشرة، وتحت العنوان الرئيسي: «شخصان من كالغاري يموتان في الحريق». بدت امرأة جميلة جداً.

بدا صوت ليندا بعيداً جداً، وعيناها فارغتين.

- ترايسي لا تشبهها كثيراً.

- ترايسي ولايسي. كم أن الأمر جميل!

جاء صوت ليندا بارداً جداً، فيما أكملت: «وأنت... ما علاقتك بشقيقة تلك المرأة؟».

تلك المرأة! فكر ريك. جال هذا الأمر بباله مرّات عديدة، وتمرّن عليه، وفكّر به كثيراً. لكنه مع ذلك لم يجد طريقة سهلة لقول ما سيقوله.

قال ريك بحذر: «تلك المرأة، لايسي... لديها طفلة. وترايسي هي عرّابة الطفلة التي تدعى أنجلينا».

نظرت ليندا إليه دون أن تحلّل ما قاله. فأدرك ريك أنه سيضطر إلى لفظ ما يريد كلمة كلمة، وبوضوح شديد جداً.

- لايسي وبلير كانت لديهما طفلة.

لفظ ريك جملته بنعومة، ثم نظر إلى ليندا. الجمود الذي سيطر على وجهها اختفى. نظرت إلى ريك بحذر منعها من فهم ما يقوله. ثم بدا كأن الفكرة خبطتها بقوة، كضربة موجهة إلى المعدة. انثنت ليندا على نفسها، دون أي صوت، وأخذت تهتز، وتحرك فمها دون خروج أي صوت منه.

في لحظة أصبح ريك إلى جانبها، لكنها دفعته بعيداً ولم تسمح له أن يساندها ويدعمها في تلك اللحظة.

- لطالما أردت المزيد من الأطفال!

أخيراً قالت ليندا ذلك بصوت مخنوق من الألم، كصوت الجليد المتكسّر، وأكملت: «أردت دائماً عائلة أكبر، لكن بلير لم يقبل... لم يقبل حتى أن نتناقش في الموضوع».

- أنا آسف جداً يا ليندا.

استقامت ليندا في جلستها. بدت عيناها جافتين لكنهما تلتمعان بذاك الجليد الذي سمعه ريك في صوتها. سألته بعد فترة طويلة: «لِمَ لم تخبرني بالأمر قبل الآن؟»

أراد ريك أن يلقي اللوم على بلير، لكنه أدرك أنه لن يستطيع، فأجاب: «لم أشأ أن أسبب لك الأذى، فقد عانيت ما فيه الكفاية. فكّرت أنك قد لا ترغبين حتى في معرفة ذلك الأمر».

بقيت ليندا صامتة. لم تنظر ناحية ريك. ظلت يداها معقودتين بشدّة حتى أصبحت عقد أصابعها ذات لون أبيض.

سألته في نهاية الأمر، بهدوء وكبرياء: «لماذا لم تخبرني عن بلير من قبل؟»

أدرك ريك أن هذا السؤال كان موجوداً بينهما، دون أن تقوله، طوال تلك

الفترة. رفعت ليندا رأسها بقوة ونظرت إلى ريك قائلة: «الجميع كان مدركاً للأمر. لِمَ لم يهمس أحد شيئاً في أذني، أو لم يأتني أي اتصال من مجهول؟ لماذا؟»

استجمع ريك شجاعته وأجابها: «ليندا، أنت لم ترغبي بمعرفة حقيقة بلير».

- عفواً! ما الذي تقوله؟

رفعت ليندا ذقنها عالياً، واستطاع ريك أن يرى عقد أصابعها تصبح أكثر بياضاً.

- لقد أخبرك هو بنفسه! أخبرك بلير الحقيقة بكل طريقة ممكنة إلا بالكلام. أخبرك عندما لم يكن يعود إلى المنزل في الليل، وعندما كان يغادر لقضاء عطلة الأسبوع من دون أن يأخذك معه. أخبرك عندما كنتِ تجدين أرقام الهواتف في جيوبه وأحمر الشفاه على ياقاته. هو من أخبرك بالأمر بنفسه!

ساد الصمت بينهما، ثم ارتعدت ليندا بشكل قوي. اقترب ريك منها ليضع يده حول كتفها، لكنها أجفلت مبتعدة عنه، وتركت يده تسقط بعيداً.

- هذه هي الأنباء السيئة. شعرت أن لديك الحق بمعرفتها. رأيت أنه لا يمكن لعلاقتنا أن تتقدم وتتطور إذا كنت أنا أعرف أسراراً أنتِ لا تعرفينها. لكن يا ليندا، ما من داعٍ لجعل هذا الأمر يؤثر على حياتك.

حملقت ليندا بريك، وهي تشعر كأن صوته آتٍ من مكان بعيد جداً. ما من داعٍ لجعل هذه الأخبار تؤثر بها؟ كيف يمكن ذلك؟ لقد حرمها بلير من الحصول على أطفال آخرين...

- بوبي لديها أخت. كيف يمكن لهذا الأمر ألاّ يؤثر في حياتي؟

المرارة ارتفعت داخلها كالعلقم. لم تكن تلك الأخبار فقط هي التي آلمتها، وإنما الكلمات الأخرى، حين قال: «ليندا، أنتِ لم ترغبي بمعرفة حقيقة بلير».

- أنا بحاجة لأن أكون بمفردي. شكراً لك لقدومك.

- ليندا...

فكّرت ليندا، إذا لم يذهب ريك الآن، ربما قد تنظر إلى الرقة في عينيه وتضعف أمامه. هذا الألم الذي يتآكلها من داخلها هو ألم الحقيقة، وهي لم تشأ

أن يحاول ريك أخذ هذا منها. هذا الألم هو درعها وحمايتها.

خروج ريك ومغادرته لم يكونا واضحين لليندا.

ما إن غادر منزلها، حتى نزلت إلى القبو ووجدت صندوقاً كاملاً من الصحون لم تقم بتكسيره بعد. أرادت ليندا أن ترمي كل شيء لمسه بلير يوماً إلى الحائط، وأن تكسره بشكل لا يحتمل معه أي تصليح. لكنها أدركت أن هذا الأمر ليس مجدياً. أدركت أن هناك شيئاً لمسه بلير وتركه محطماً إلى درجة لا يمكن معها إصلاحه: هي نفسها.

زحفت إلى سريرها، ولم تجد لديها القوة حتى لتقوم بخلع ملابسها. قبل أن تنام تذكرت الرقة التي ارتسمت على وجه ريك، ثم تذكرت كلماته، وكيف خلّص نفسه والآخرين من الجريمة التي ارتكبت بحقها: «ليندا، أنت لم ترغبي بمعرفة حقيقة بلير».

كانت الدموع لتساعدها وتجعلها تشعر ببعض الارتياح، لكنها أبت أن تنهمر. تمنت ليندا لو أنها تستطيع أن تشعر بشيء ما في داخلها. لكنها لم تقدر أن تحس بأي شيء على الإطلاق، سوى شعور واهٍ بالامتنان لوجود المزاد في الصباح التالي ليشغلها. لولا ذلك المزاد لزحفت بالتأكيد إلى حفرة الظلام التي فُتحت داخلها، وقبعت فيها إلى الأبد. لكن، حمداً لله على نعمته، لأن لديها عملاً في اليوم التالي، ولا وقت لديها للنواح والشعور بالشفقة على نفسها، لا وقت على الإطلاق!

في اليوم التالي، قامت ميلدريد، التي ارتدت ملابس تليق بملكة، بالتصرف وكأنها هي المضيفة الحقيقية لهذا المزاد. فأخذت تقود الناس الذين قدموا في جولات داخل المنزل شارحة تاريخ المنزل. راحت تقصّ عليهم نوادر رائعة عن حفلات الزفاف والمناسبات الاجتماعية التي حدثت على المرجة أمام المنزل.

كان ذلك النهار رائعاً بحق. فهو أحد أيام الخريف المعتدلة الدافئة، حيث غمرت الشمس المكان بأشعتها الذهبية. امتلأ المنزل بأصوات الضحكات وأحاديث الناس. بعد ذلك خرج الجميع إلى باحة المنزل الخارجية، وبدأت الحفلة التي طالت إلى ما بعد الوقت المحدد لها.

فرقة الباربرشو كانت قد وجدت مغنياً بديلاً للمغني الذي أصيب بالتهاب الحنجرة. وبالرغم من أن الفرقة وافقت على أداء ست أغنيات فقط، إلا أنها استمرت بالعزف والغناء لوقت أطول، مؤدية المزيد من الأغنيات بسبب المتعة التي رافقت الحفلة. صدحت الألحان الجميلة من الشرفة عبر المرجة، مالئة المنزل.

بعد ساعات عدّة. كان الظلام قد حلّ، وغادر التادلون والموسيقيون والزوار، بينما بقيت ليندا تخرج القمامة حتى آخر كيس منها إلى الباب الخلفي. وحدها ميلدريد بقيت معها. لم يظهر ريك بعد ذهاب الضيوف، مع أن ليندا انتظرته وترقبت قدومه لمساعدتها. فكان هذا الأمر دليلاً إضافياً لها، على أن الشخص الوحيد الذي يمكنها أن تعتمد عليه هو ذاتها فقط.

- تعالي يا ميلدريد، سوف آخذك إلى المنزل.

- آه، ليندا!

- ماذا؟

- شكراً لك. كان هذا النهار أحد أجمل أيام حياتي.

- أنا سعيدة جداً لسماع ذلك.

أجابتها ليندا، وهي تعني ما تقوله. مهما كانت صعوبات حياتها، فمازال لتلك الحياة معنى. إنها مازالت قادرة، مهما كانت ظروفها، أن تفعل شيئاً مفيداً، وأن تعطي لحظات من البهجة للآخرين.

بعد أن أوصلت ليندا ميلدريد إلى منزلها في دار المسنين، شعرت بدافع للعودة إلى منزل أوبراين. دخلت بهدوء عبر الباب الأمامي. أضاءت الأنوار، وأخذت تتمشى بهدوء في المنزل. لقد أحبت ليندا كلّ غرفة وكلّ تفصيل وكلّ قطعة خشب في هذا المكان.

توقفت في الحمام المذهل، ولمست حوض الاستحمام. شعرت بالدموع تكاد تنهمر من عينيها. آه، كم هي سخيفة! لن تبدأ الآن بالبكاء على منزلٍ لم يكن يوماً لها، في الوقت الذي لم تذرف فيه دمعة على خيانة زوجها. سخافة منها أن تتعلق بهذا المنزل... أن تتخيل نفسها تعيش في كلّ غرفة من غرفه، تستحم

في حوضه، وتصنع البسكويت في مطبخه.

سمعت الباب الرئيسي وهو يفتح، كما سمعت وقع خطى ذكورية قوية قادمة عبر المنزل دون أي تردد. عرف ريك تماماً أين سيجدها، أما هي فرفضت أن تستدير حين سمعته يدخل إلى الغرفة. رفضت أن تسمح للسعادة التي بدأت تتكون في داخلها أن تحلق بها إلى مكان آخر.

أدركت أن هذه اللحظة التي تحياها ملك لهما سوياً. لأن ريك هو جزء من هذا المنزل كما هي جزء منه. هو جزء من التغير الصارخ الذي قد حصل لها في هذا المنزل.

قال ريك بهدوء: «ليندا، لقد بيع هذا المنزل».

يا لها من فكرة خاطئة حين ظنت أن المنزل لن يؤذيها! كرهت ليندا فكرة أن يُباع المنزل بهذه السرعة. لن تستطيع بعد الآن المجيء إلى هنا وقتما شاءت، لتستمد الراحة من صلابة جدرانه. حاولت إيجاد جملة مرحة، لكن صوتها جاء متهدجاً وهي تقول: «كنت على ثقة أن هذا سوف يحصل».

- لقد صنعت لك اسماً ومكانة هذا النهار. والآن، ما من حدود لك إلا السماء.

يا له من أمر مضحك! هذا ليس شعورها على الإطلاق.

- ليندا، هناك ما أريد قوله لك.

استدارت ليندا ناظرة إلى ريك للمرة الأولى منذ أن دخل. بدا عليه بعض الإنهاك، كما أن تلك الخصلة المتمردة من شعره انتصبت مرتفعة أكثر من العادة. شبكت ذراعيها كالمعلمة فوق صدرها.

- اشتريت هذا المنزل لي شخصياً من شركة ستارتشايرز..

فغرت ليندا فاها من الدهشة وهي تقول: «اشتريت... ماذا؟».

- أنا بحاجة إليه من أجل الكلب.

قال ريك محاولاً الدفاع عن نفسه بنبرة غير مقنعة، ثم أكمل: «يجب أن يحظى بباحة خارجية، فالجيران في المجمع السكني يتذمرون، وأخذوا يتصرفون بشكل سيء نحونا».

حملقت ليندا بريك غير مدركة إن كان عليها أن تضحك أو أن تبكي. ريك قام بشراء المنزل! اشتراه من أجل كلبه! أي نوعٍ من الرجال يقوم بأعمال كهذه، مدهشة، مجنونة وجميلة في الوقت نفسه؟

بدلاً من طرح الأسئلة التي دارت في ذهنها عليه، استدارت ليندا بعيداً عنه وقالت: «هل تنوي إطلاق اسم على ذلك الكلب المسكين؟».

تنهد ريك مجيباً: «أنا لا أكف عن التفكير بأنني سوف أجد هذا الاسم عندما أراه. حاولت فعلاً استخدام بعض الأسماء، لكن الأمر لم ينجح. حظي هذا الأسبوع بمجموعة صغيرة فقط من الأسماء مثل ألفي، مايكي وبارثولوميو».

- أنت محق. ما من اسم من هذه الأسماء مناسب له.

اقترب ريك من ليندا، رافضاً السماح لها بالبقاء مديرة ظهرها إليه هكذا. نظر إلى عينيها ثم لمس وجنتيها بيده. انحنت ليندا مسندة رأسها إلى صدر ريك، ثم أغمضت عينيها. وسمحت لنفسها بالاستمتاع بالشعور الذي يبعثه ريك في داخلها. شعور بالأمان، والمحبة، والقدرة على الثقة مجدداً.

ما هي إلا لحظة حتى أبعدت ليندا نفسها عنه بقوة، لأن السماح لنفسها بهذه المشاعر يجعلها ضعيفة مجدداً.

قال ريك بنعومة: «أنا لا أعتقد أنني قمت بشراء المنزل من أجل الكلب، في الحقيقة».

لم تجرؤ ليندا على الكلام.

- أعتقد أنني قمت بشرائه، لأنني، ولأول مرة منذ وقت طويل جداً، أريد الإيمان بالمستقبل. أريد أن أؤمن بمستقبل يجمعنا معاً.

- آه، يا ريك!

قالت ليندا بحزن. ألم تقم منذ أسبوع بالضغط عليه بكل الطرق الممكنة للوصول إلى هذه النتيجة؟ ألم ترغب في معرفة ما هو موقعها بالضبط في حياته؟ الآن، في هذه اللحظة، أصبح بمقدورها معرفة هذا الأمر من مجرد النظر في عينيه.

– أنا أدرك أن معرفتك بأن بلير لديه طفلة من امرأة أخرى مازالت حديثة جداً، يا ليندا. أنا مدرك لذلك تماماً. لكني أريدك أن تعرفي أنني سأنتظرك ما شئت. سأنتظرك حتى تصبحي مستعدة.

أحست ليندا بدموعها تتجمّع في مقلتيها وتكاد تخنقها، إلا أنها دفعتهما إلى الوراء، بوحشية. إنها لا تريد البكاء مجدداً. لا تريد أن تكون رقيقة وهشة مجدداً. لكن، من جهة أخرى، إذا أرادت أن تسمح لنفسها بأن تقع في غرام ريك، بأن تكون امرأة تستحق حبه لها، عليها أن تكون رقيقة وهشة.

قال لها بنعومة: «ما من داعٍ لأن تقولي شيئاً. ولا كلمة واحدة... كلّ ما عليك فعله هو السماح لي بالوقوف إلى جانبك ومساندتك في هذا الأمر».

هذا هو ما أرادته طيلة حياتها: شخص تستطيع الاعتماد عليه. شخص قوي قادر على نزع آلام الوحدة من أعماقها. والآن، عندما قام أحدهم بعرض هذه الأمور عليها، لم تدرِ ليندا ما الذي وجب عليها القيام به.

– دعينا نأخذ الأمور بهدوء وروية. ما من داعٍ للعجلة.

– ومن أين نبدأ مشوارنا؟

– أنا بحاجة إلى شخص ما ليساعدني في الانتقال من شقتي إلى هذا المنزل، كما أنني بحاجة إلى شخص يساعدني في خبز البسكويت، لكي تفوح رائحة البسكويت فيه ويصبح بيتاً حقيقياً.

كانت معرفة ليندا ببلير واهية جداً، عندما وافقت على مساعدته. هذه المرة يجب عليها أخذ الأمور بروية. وضعت ليندا يدها بيد ريك، الذي عانقها عناقاً رقيقاً.

* * *

مرّت الأسابيع التالية بإيقاع بطيء وجميل. قامت ليندا وبلير بإيجاد منزل جديد لشركة ستار تشايرز للعمل عليه.

أكملت ليندا دروسها في قيادة الدراجة النارية. كما خرجت برفقة ريك لتناول العشاء أحياناً، وبأخذ الكلب في نزهات إلى أروع وأجمل متنزهات كالغاري. أحست ليندا كأنها تعيد إكتشاف مدينتها التي ولدت ونشأت فيها،

وتتعرف عليها من جديد.

الألم الذي عاشت فيه ليندا أخذ بالانحسار. فريك يجسّد كل ما تحلم به أي امرأة. فهو حنون، وفي، أهل للثقة، شغوف ومرح. لكن شيئاً ما في داخلها رفض التسليم له.

في الأسبوع الذي يسبق عيد الشكر قام ريك بتقديم خاتم إلى ليندا. حدّقت ليندا بالعلبة الجميلة، ومرّرت رأس إصبعها على الماسة البسيطة التي توسطت الخاتم. لم يكن الخاتم مشابهاً لما كان يشتريه لها بلير، إذ لم يكن فيه الكثير من الجواهر الملفتة للانتباه.

الخاتم ينطق بما في قلب ريك من القوة وعدم التعقيد.

شعرت ليندا بالفخر وبمدى النعمة التي حلّت عليها لوجود رجل يحمل لها هذا المقدار من الحب. ظهر حب ريك لها في كلّ إيماءة ولفتة صغيرة يقوم بها من أجلها. بدا في العبارات الصغيرة التي اعتاد تركها على سيارتها، في الرسائل العذبة التي يتركها على جهاز الرسائل لديها، كما ظهر في الأزهار التي يتم تسليمها إليها في منزلها، وفي الأشياء الصغيرة، الرائعة المعبرة عن الاحترام التي يفعلها كلّ يوم.

نظرت ليندا إلى الخاتم، ثم إلى ريك. وضع ريك يده فوق يدها، وابتسم لها ابتسامة لا تحمل أي لمحة من لمحات نفاد الصبر، وهمس قائلاً: «لا تقولي لا، فقط فكّري في الموضوع».

وعدته ليندا أنها سوف تفكر بهذا الموضوع لكنها سرعان ما استرجعت كلماته التي راحت ترن في أذنيها، كاتهام وجهّه إليها، أو سهم صوبه إلى قلبها: «ليندا أنت لم ترغبي بمعرفة حقيقة بلير». وهكذا، أعادت إليه الخاتم.

٩ - حلم في يد امرأة

علا صوت الهاتف، وراح يرنّ بحدة وإلحاح، ما جعل ريك تشايس يجفل مستيقظاً من نومه. سارع بإلقاء نظرة عجلى على الساعة الموجودة على المنضدة قرب سريره، ليرى أرقامها الحمراء تومض في الظلام، مشيرة إلى الساعة الرابعة فجراً.

فكّر ريك أن أي اتصال هاتفي في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل لا يمكن أن يحمل أي أخبار جيّدة.

التقط سماعة الهاتف بيده، آملاً في قرارة نفسه أن يكون المتصل شخصاً قد أخطأ في طلب الرقم الذي يريد.

- مرحباً!

- عمي ريك؟

أطار الصوت الذي سمعه ريك آخر ذرّة باقية من آثار النعاس في عينيه، فانتصب جالساً في فراشه، دافعاً أغطية السرير بعيداً عن صدره العاري. أخذ يبحث بيد متعثرة عن زر المصباح الموضوع على المنضدة بجانب السرير، كأنما الضوء الذي سيساعده على الرؤية، سيساعده أيضاً على السماع بشكل أفضل.

- بوبي؟!

- أنا آسفة جداً لأنني أيقظتك، لكنني أردت أن أتكلم معك قبل أن أتوجّه إلى الصّف.

- ألم نقم بإجراء هذا الحديث من قبل؟

سألها ريك وهو لا يزال شبه نائم. نظر حوله في الغرفة التي كان نائماً فيها، غير مدرك لمكانه نظراً للمحيط الجديد الذي وجد نفسه فيه.

اختار ريك ألاّ ينام في غرفة النوم الرئيسية بعد أن انتقل إلى منزل أوبراين. أدرك في داخله أنه كان يدخر تلك الغرفة لليلة مميزة مع المرأة التي أمل أن تصبح عروسه.

- أخبرتني أمي بالأمر منذ بضعة أيام... أعني أمر الطفلة. لم أستطع النوم بشكل جيد منذ ذلك اليوم.

- أنا آسف لذلك.

- عمي ريك، فكرت بهذا الأمر طويلاً ومليّاً، وتوصلت إلى نتيجة. أريد أن أرى الطفلة، فهي أختي.

تأمل ريك في هذه الاتصالات التي تأتيه في منتصف الليالي وتأثيرها الأشبه بالهزات الأرضية، وهي تخبط عالمه المثالي التنظيم رأساً على عقب. فكر من جهة أخرى ما الذي قدمه له هذا العالم المنظم؟ بتنهيدة عميقة قرّر ريك تشايس الاستقالة، وترك عالمه المثالي التنظيم لصالح حياة أخرى مليئة بالمفاجآت. سأل بوبي بحذر: «هل تحدثت مع أمك حول هذا الموضوع؟»

- أجابتني بأنك سوف تعلم ما الذي يجب فعله.

فكّر ريك في هذا الأمر قليلاً. إن ليندا تمنحه ثقتها الهشة، السريعة الانكسار في مسألة بهذه الحساسية والأهمية معاً.

- حسناً! أنتِ ستعودين إلى المنزل لعطلة عيد الشكر، أليس كذلك؟

- أجل، في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة.

- حسناً! سوف أرى ما يمكنني القيام به.

- عمي ريك؟

- أجل!

- هل هنالك من خطب ما مع أمي؟

- ما الذي يجعلك تقولين هذا؟

سألها ريك مدركاً للحذر الذي غلّف صوته.

- كلّ ما في الأمر هو أنها بدت غاية في السعادة عندما كلمتها منذ فترة ليست ببعيدة. بدت أسعد مما سمعتها من قبل في حياتي. كذلك بدت حينما

كلمتها بعد أن أخذتها أنت في تلك النزهة على الدراجة النارية. كان يجدر بك سماعها وهي تتحدث عنها بصراحة. بدت لي كأنها فتاة في السادسة عشرة من عمرها واقعة في الغرام!

ابتسم ريك للصورة التي ارتسمت في خياله، وللذكرى الجميلة لذلك اليوم الذي قضاه مع ليندا. شعر بالسعادة المطلقة لأنه منحها ذلك اليوم بروعته، كما أمل أن يكون هناك الكثير من الأيام المقبلة المشابهة.

ريك لاحظ بنفسه التغيير الذي أصاب ليندا أيضاً. كانت ليندا تذبل بدل أن تنتعش وتنشط. قد تكون معه في بعض الأحيان، لكنه يشعر بأنها غير موجودة وأفكارها بعيدة. كانت كمن يجلس خلف حائط من زجاج حيث تستطيع مراقبة كلّ شيء ولكن لا يقدر شيء على المساس بها.

ريك أدرك ساعة قرّر إخبارها الحقيقة، بأن ذلك يحتوي على مخاطرة. لطالما أعتقد الناس أن الصراحة والنزاهة هما أفضل الطرق المعتمدة، لكن ريك لم يكن أكيداً من ذلك. هل من الممكن أن تكون بعض الجراح عميقة بشكل لا يمكن معه أن تشفى؟

أمل أن يكون الجواب عن سؤاله هو النفي. أراد فرصة ليمنح ليندا السعادة، مثلما أعطته هي إياها. أجل، لقد قام ببعض الأشياء من أجل ليندا، كنزهة الدراجة والوظيفة، لكن ما فعلته هي من أجله أهم من ذلك كثيراً. أعادت إليه ليندا قلبه وروحه.. بثت الألوان مجدداً في حياته المليئة بالأبيض والأسود...

أكملت بوبي قائلة: «مهما كانت طبيعة الشيء الذي ظهر من قبل في صوتها، لقد اختفى الآن. أنا بالفعل مشتاقة إلى ذلك الجزء من شخصية أمي، بالرغم من أنه الجزء الذي لم أعرفه جيداً فيها، لكنني لا أريده أن يختفي».

- أنا أيضاً لا أريد ذلك!

قال ريك ذلك بهدوء، ثم لاحظ من الصمت الطويل الذي ساد أنه قال أكثر اللازم.

سألته بوبي بلهفة: «هل أنت مغرم بأمي يا عمي؟»

ساوره إحساس بأن هذا الاتصال أصبح شبيهاً بأحاديث المراهقين في ظلام الليل، حيث تكثر الاعترافات التي لا يجرؤ أحد على الإفصاح عنها في ضوء النهار. أجاب ريك بوبي: «نعم، أنا مغرم بوالدتك».

ساد صمت آخر طويل على الجهة المقابلة من الهاتف، ثم تنهدت بوبي قائلة: «هذا رائع!»

فسّر ريك قولها على أنه شعور بالارتياح للحب الذي أينع في منتصف العمر بينه وبين أمها. أكّدت بوبي ذلك بقولها: «آه، يا عمي ريك! لقد جعلتني سعيدة جداً».

لماذا؟ لماذا تبكي النساء عندما يشعرن بالسعادة؟

- بوبي!

- هم؟

- في المرة القادمة التي تقومين فيها بالاتصال بي، حاولي تذكر الفرق في التوقيت. رجاءً!

بين الشهقات والضحكات أجابته بوبي: «حسناً يا عمي!»

وضع ريك سماعة الهاتف. كان الكلب قد زحف خلال الليل إلى السرير بجانبه، وفي الوقت الحاضر فتح عيناً كسولة ليرى إذا ما كان ريك قد لاحظه. وعندما رأى أن الملاحظة قد تمت، أصدر صوتاً خافتاً، ولعق يد ريك بحب واضح، ثم عدّل قليلاً من وضعيته وعاد مباشرة إلى النوم.

نظر ريك إلى الساعة ثم خرج من سريره. دمدم الكلب وتقلّب محتلاً السرير بأكمله لذاته، فيما ذهب ريك عبر الصالة إلى غرفة المكتب، واستقر خلف مكتبه. أحب ريك هذه الغرفة بنوافذها الكبيرة الجديدة المطلة على الباحة الجانبية. شعر كأنما ليندا كانت تفكر فيه عندما قامت بتصميم الغرفة واختيار ألوانها.

كان ريك معجباً بشقته، لكنه الآن يشعر كأن قلبه عرف أن هذا المنزل هو بيته منذ اللحظة الأولى التي رآه فيها. كما أن ميلدريد ابتدأت بملاحظة نواياه الحسنة، أيضاً.

اعتادت ميلدريد المرور به يوميا، لدقائق معدودة. لم تبدُ يوماً متطفلة في زيارتها، ولم تمر يوماً من دون جلب شيء معها: طبق مليء بالطعام، بعض المافين المخبوز حديثاً... واليوم جلبت له صورة موضوعة في إطار من حفلة أقيمت في الحديقة في العام ١٩٣٠، في الباحة الجانبية نفسها التي تطل عليها نوافذ هذه الغرفة. لكن هديته المفضلة من ميلدريد كانت الطريقة التي تلمس بها وجنته، وكأنه ابنها، والنظرة في عينيها عندما يفتح لها الباب.

حبّه لهذا البيت، ازداد عمقاً مع اكتشافه للصداقة مع ميلدريد، وللمسات ليندا اليومية في كلّ مكان.

شعر أن ليندا موجودة في هذا المنزل رغم غيابها عنه. لهذا الأمر بالذات شعر أنه ممتن ومحبط في الوقت عينه. فكر أن الوقت حان لانتهاز فرصة جديدة، فقرر أن يضع كل أوراقه على الطاولة. وضع لائحة دقيقة بما يريده، وفي الصباح قاد سيارته إلى المنزل الجديد حيث كانت ليندا تعمل. رأى سيارتها مركونة خارجاً، وكذلك شاحنة جايسون. رأى مكباً كبيراً من النفايات وقد امتلأ بكسر الخشب الذي تم نزعه من الجدران، كما احتلت خزانة قديمة معظم الباحة الأمامية.

خرجت ليندا من المنزل، وهي تخفي نصف وجهها بكمامة خاصة للأنف والفم، وتحمل بعض القطع الخشبية المحطمة. أدرك ريك أن ليندا ترمي نفسها في خضم العمل، وفهم ريك سبب تصرفها هذا، فلقد قام هو نفسه باستخدام العمل كبلسم للشفاء عندما مر بأوقات عصيبة.

حيّاها قائلاً: «مرحباً!»

أنزلت ليندا القناع عن فمها وأجابته: «أهلاً!»

لم يبدُ على تحيتها عدم الترحيب، لكن بدا كأن شيئاً ما بينهما مفقود. الواجهة التي رسمتها على وجهها توحي برباطة الجأش، بالضبط كما كانت حالها عندما كانت متزوجة. أرادت أن تكون محصّنة ولا شيء يستطيع زعزعة استقرارها. لكن ريك يعرف مقدار الألم والتعب اللذين اخفتهما تلك الواجهة

- وصلت إلى حرف الكاف مع الكلب.

طفرت إلى عينيها ضحكة طفيفة فيما قالت: «وماذا حدث؟»

تلك الابتسامة أفضل من لا شيء، فكر ريك، وقال: «ارتعشت أذنه قليلاً عندما ناديته كليتوس».

- لا تقل لي إنك ستطلق على كلبك اسم كليتوس.

جاء الآن دور ريك ليبتسم من النزق الذي بدا في انفعالها. ثم قال: «لِمَ تهتمين بالاسم الذي سأطلقه على كلبي يا ليندا ستار؟»

- أنا لا أهتم! ادعه بالاسم الذي تريد.

لكنه أدرك أنها مهتمة بالاسم، وأمل ريك أن يكون سبب اهتمامها أن الكلب سيكون جزءاً مشاركاً في حياتها. كما أمل أن ليندا تفكر بالعيش مع الكلب واسمه لفترة طويلة جداً.

قال ريك يغيظها: «حسناً! سأدعوه كليتوس إذاً».

قرصته ليندا في ذراعه، تماماً كما أمل أن تفعل.

- سوف أعطيك دزينة من بسكويت الشوكولا المقرمش إذا لم تطلق على الكلب هذا الاسم.

أجابها ريك بنعومة: «آه! إذاً، أنت مهتمة بالرغم مما قلته».

رأى الحقيقة تومض من خلال عينيها؛ إنها مهتمة بأشياء أكبر من مجرد اسم الكلب. فاوضته قائلة: «سأعطيك دزينتين».

- اتفقنا! مررت بك في الواقع لأدعوك إلى عشاء عيد الشكر. بدا لي أنها طريقة ملائمة لتدشين المنزل كمقر جديد لي. لابد أن رائحة الديك الرومي وهو يشوى ملائمة لرائحة البسكوت بالشوكولا.

- آه!

عبرت ملامحها عن تعابير التوق بحزن وهي تكمل: «لكم كنت أود ذلك، لكن بوبي سوف تكون في المنزل. كما أنني دعوت جايسون إلى منزلنا، لكي يتعرف على بوبي».

احمرّت وجنتا ليندا عند اعترافها بذلك ثم أكملت: «سوق تكرهني بوبي بسبب هذا الأمر».

حسناً! من الواضح أن ليندا قادرة على القول إنها لا تريد الإيمان بالحب، وهي تحاول أن تتجاهل المشاعر. لكن بدا لريك بشكل واضح أن جزءاً منها أراد بقوة الإيمان لقاء شخصين مناسبين لبعضهما.

– في الواقع، أنا دعوت بوبي ووافقت على المجيء إلى منزلي.

رفعت ليندا يديها إلى شفتيها قائلة: «قمت بسرقة ابنتي مني في يوم عيد الشكر؟»

– باستطاعة جايسون أن يحضر أيضاً.

– حسناً! علي الاعتراف بأن الأمر يبدو جيداً. ذلك المنزل قد أعد من أجل اجتماعات العائلة الكبيرة.

عاد التوق إلى الظهور في عيني ليندا ثانية، لكنها حاولت إخفاءه، فقالت: «بالرغم من أنني لا أستطيع أبداً أن أتخيلك وأنت تقوم بطهو حبش العيد».

– آه! أتأتي هذه الملاحظة من سيدة رأت براعتي في صناعة البسكويت بالشوكولا؟

ذكّرته ليندا: «تلك العجينة جاءت جاهزة في أكياس بلاستيكية».

الحبش أيضاً يأتي مغلفاً بأكياس بلاستيكية. لقد تحققت من هذا الأمر.

قرصته ليندا ثانية في ذراعه. اعترف لها ريك قائلاً: «ميلدريد تريد أن تقوم بطهو الحبش من أجلي».

سألته ليندا بنبرة لا تخلو من الشك: «ميلدريد؟»

– في الواقع يبدو أن ميلدريد هدية إضافية مع المنزل. أنا توّاق لمعرفة إذا ما كانت تستطيع إعداد أي شيء غير الأواني المليئة بالبطاطا المقلية أو رقائق الذرة.

– أنا بالتأكيد موافقة على الحضور.

– هنالك شيء إضافي يجب عليك معرفته.

تابع ريك بحذر وبشكل عادي، وكأنه لم يكن يرمي بقنبلة عليها: «قمت بدعوة ترايسي وأنجلينا أيضاً».

جمدت ليندا في مكانها.

لم ينتظرها ريك لكي تتكلم، إنما أكمل: «بوبي تريد لقاءهما، وبدت لي هذه

هي الطريقة الأسهل. بالإضافة إلى أن فترة الأعياد قاسية جداً على ترايسي، فأختها كانت عائلتها الوحيدة، والآن هي والطفلة وحيدتان تقريباً في هذا العالم».

تعمد ريك اللعب على عاطفة ليندا التي أومأت موافقة وهي تقول ببطء شديد: «حسناً، يا ريك! أنا موافقة».

للحظة بسيطة، وقبل أن تنظر ليندا بعيداً، لمح ريك الثقة في عينيها. فأمل بشكل كبير أنه سوف يكون أهلاً لهذه الثقة.

– طلبت ميلدريد أن نكون هناك في الساعة الواحدة.

* * *

نظرت ليندا إلى صورتها في المرآة، فشعرت بأنها تحاول أكثر من اللازم أن تظهر بشكل جيد. لقد قامت بتمشيط شعرها في الصالون النسائي ظهيرة هذا اليوم، وأضافت تمشيحات ذهبية إلى شعرها الذي لم يظهر فيه أي تشعث. بذلتها التي ترتديها جديدة، لكنها تشبه إلى حد كبير ما كانت تلبسه ليندا القديمة: سترة من الكشمير ذات لون بني فاتح، تحتها قميص من اللون البني الغامق، مع قرطين من اللؤلؤ. بدت ثابتة ومنيعة أمام أي شيء.

قالت لنفسها مثنية على مظهرها: «هذا رائع ومثالي!»

لم ترغب ليندا برؤية شقيقة تلك الفتاة، فهي تشعر أنها هشة وضعيفة لمشاركتها عشاء عيد الشكر مع طفلة بلير.

كلمة مثالي بقيت معلّقة في الهواء، فيما نظرت ليندا إلى مظهرها ثانية. رنّت في رأسها تلك الكلمات: «ليندا أنت لم ترغبي بمعرفة حقيقة بلير!»

تلك الكلمات جعلتها تحتفظ بمقدار صغير من الغضب تجاه ريك، كدفاع أمام سحره وتأثيره عليها.

شعرت ليندا أنها تنظر إلى انعكاس متعجرف لامرأة لا تريد أن تعترف بأي شيء قادر على تعكير صفو العالم الوهمي الذي بنته حولها. عملت ليندا جاهدة لتبدو هي وعالمها الخاص بمظهر مثالي جداً، لكنها تدرك أنه كلما بدا الشيء أكثر مثالية من الخارج، كلما كان يتداعى وينهار أكثر من الداخل.

لم تعد تريد أن تبدو تلك المرأة المثالية بعد الآن. لقد كلّفها هذا المظهر غالياً... أخذ لحمها ودمها وحوّلهما إلى ثلج وصخور.

ابتعدت عن المرآة، وخلعت البذلة والحلي التي تضعها. ارتدت سروالاً من الجينز الأزرق المنخفض الخصر، كانت بوبي قد أقنعتها بشرائه، كما ارتدت بلوزة مقلّمة ووضعت وشاحاً ملوناً، دون أية مجوهرات.

التقت ليندا ببوبي في الرواق، فنظرت إليها بوبي مبتسمة بابتهاج وقالت: «أمي! تبدين شابة جداً».

نظرت ليندا إلى ابنتها متسائلة كيف يمكن أن يكبر الشخص بهذه السرعة. لقد غيّرت الجامعة بوبي في فترة قصيرة جداً. أصبحت ابنتها الآن امرأة شابة، ولم تعد طفلة صغيرة. لذلك فإن دعوة جايسون للتعرف عليها هي على الأرجح غلطة منها.

لكن الأمور لم تجرِ على هذا النحو مطلقاً. كان جايسون قد سبقهما في الوصول إلى منزل ريك، فقام باستقبالهما على الباب. نظر إلى بوبي متفحّصاً وكأنه يعرفها منذ الأزل، ثم قال لها: «أنا أدعو ليندا ماما، وهذا الأمر يجعل منك أختي».

ثم قام بضم بوبي ضمّة أخوية محطّمة لعظامها. تعرّفت بوبي إلى ميلدريد، التي كانت في المطبخ، متوردّة من السعادة الماكرة التي غمرتها وهي تصعّب الأمور على ريك وتلومه على الحبش الذي اشتراه. أما الكلب فكان يركض بين أقدامهم، مما جعل ميلدريد تأمر بحبسه في مكان ما، متمتمة بكلام غير مفهوم عن الكائنات الراكضة في المنزل. لاحظت ليندا أن ريك تلقى استبدادية ميلدريد بصدر رحب وطيبة قلب، فقام بحبس الكلب على الشرفة الخلفية، غامزاً إيّاها.

تلك الغمزة خطفت أنفاس ليندا. فاعترافها لذاتها، بأن ريك كان محقاً في ما قاله عن عدم رغبتها في رؤية حقيقة بلير، هدمت جزءاً من الحائط الذي بنته وسوّرت نفسها به. راقبته وهو يتعامل مع الكلب، ثم يأخذ دوره في مضايقة بوبي. كما راقبته وهو يراوغ ميلدريد التي تحاول ضرب يده بملعقة خشبية وهو

يسرق مكوّنات العشاء المختلفة ويضعها في فمه.

رأت ليندا ريك ساعتها باشراقة وصفاء مفاجئين وجميلين. رأت أنه أخبرها الحقيقة دائماً، حتى عندما كانت الحقيقة صعبة، حتى عندما كانت كلماته تجرحها. أدركت أن ريك من أندر أنواع الرجال؛ إنه رجل نزيه. عندئذٍ فعلت ليندا ما أحسّت أنها تحتاج إلى قيام به: غفرت لريك كلّ شيء. غفرت له عدم إخبارها الحقيقة عن بلير. غفرت له حقيقة كونه الشخص الذي حمل إليها أنباء آخر خيانات بلير. كما غفرت له كشف الحقيقة عمّا كانت هي عليه، حين لم ترد معرفة الحقيقة.

بعد هذا الغفران كله، أحسّت ليندا أنها أصبحت قادرة على رؤية ريك على ما هو عليه في حقيقة الأمر.

هل كان هذا الأمر، هو القطعة المفقودة في علاقتهما؟ تساءلت في قرارة نفسها هل أن عدم غفرانها له هو ما كان يمنعها من الاقتراب منه؟

بدا ريك رجلاً رائعاً بحق. نظرت إليه ليندا وكأنها لم تره من قبل في حياتها. كان قد اختار أن يرتدي ثياباً عادية مثلها تماماً، فارتدى بنطلوناً عادياً وقميصاً فوقها كنزة. بدا وسيماً بشكل مذهل، وتلك الخصلة في رأسه بدت منتصبة مثل العلم.

- ماما، هذا المنزل مذهل! هل أنتِ فعلاً من قام بهذا العمل؟ يجب أن تريني إياه.

بدا طلب بوبي الوسيلة المناسبة لتجذب نفسها من هذا الوعي الكبير لحضور ريك. وكما رأت ليندا ابنتها بطريقة جديدة، كامرأة شابة لا كطفلة صغيرة، رأت بوبي أمها بطريقة مغايرة وهما تتجولان في المنزل. أخذت بوبي بالترداد المتكرر لعبارة: «أمي، لم يكن لدي أدنى فكرة عنك».

فكّرت ليندا بأن تخفي عن ابنتها صدمتها وتقول لها إن هذا أمرٌ طبيعي. لأن أحداً لم يكن يعرف حقيقة ليندا، حتى هي ذاتها. توقفت بوبي عند الباب الفرنسي المزدوج المؤدي من الجناح الرئيسي إلى الحمام الرئيسي.

- يبدو هذا المكان خيالياً، وكأنه خارج من حلم.

قالت بوبي هذا ثم التفت ونظرت إلى أمها قائلة: «أأنت صمّمت هذه الغرفة أيضاً يا أمي؟»

أومأت ليندا إليها بالإيجاب، شاعرة ببعض الإحراج، مدركة أن هذه الغرفة تصرّح ببعض الأشياء عنها، أشياء لا ترغب أي أم أن تعرفها ابنتها عنها.

- أنا لا أعرف أي شيء عنك يا أمي. أليس كذلك؟

احمرت وجنتا ليندا بجنون، بينما ضحكت بوبي وغمرتها قائلة: «أنا فخورة جداً بك يا أمي! أنت موهوبة جداً، وهذا المنزل رائع جداً. أنا حقاً أحسد عمي ريك لأنه يعيش هنا».

أكان على بوبي أن تذكرها بذلك الموضوع؟ في الواقع، بوبي لم تكن سعيدة على الإطلاق من إقامتها في غرفة الضيوف في منزل أمها الصغير في بوالي، وليندا مجبرة على موافقتها على إحساسها، لأن الغرفة لم تكن أكبر بكثير من الخزانة. بالإضافة إلى ذلك، فلقد زيتتها حلقة بنية اللون بشعة المنظر في سقفها، من جرّاء تسرب الماء من السقف.

عادت ليندا وبوبي إلى الطابق السفلي، فقام ريك بمزج عصير التوت البري وقدمه لهما. أخذ جايسون بمضايقة بوبي وإزعاجها دون رحمة، تماماً مثل أي أخ كبير. عندها حانت اللحظة التي كانت ليندا خائفة منها، وقرع جرس الباب.

همست بوبي قائلة: «ها هما!».

نظرت ليندا إلى ريك الذي همس إليها ببعض الكلمات. لم تكن ليندا واثقة مما قاله، هل قال لها كوني قوية؟ أو ربما قال أحبك... ! مهما كان ما قاله فقد ساعدها ذلك. رفعت كتفيها وخرجت من المطبخ. بوبي كانت قد سارعت إلى الباب وشرعته على مصراعه.

للحظة، تمنّت ليندا لو أنها ارتدت البذلة الأخرى، وبعد ذلك شعرت بالسرور لأنها لم تفعل. في ذلك الباب المشرّع وقفت طفلة، تمسك بيد طفلة أخرى. على الرغم من أن ترايسي كانت على الأرجح في العشرين من عمرها،

فلقد بدت صغيرة جداً وهشة جداً. بدا هنالك شيء محبب فيها، ولم ترَ ليندا شيئاً من ذلك الجمال الشيطاني الذي لمحته في صورة أختها. بدا على ترايسي كذلك أنها خائفة.

ملاك صغير كان متعلقاً بيد ترايسي؛ شعر أشقر مجعد، عينان زرقاوان وسحر طفولي لا يقاوم. الطفلة، التي لم تبلغ الثانية من عمرها بعد، كما أبلغها ريك، كانت قد ألبست بعناية تامة: فستان حفلات مخرّم، مع شرائط ملائمة للفستان على شعرها، وحذاء جلدياً أسود لماعاً.

أصدرت بوبي صرخة صغيرة، ثم عانقت ترايسي كأنها تعرفها منذ زمن، وقالت لها: «أنا سعيدة جداً لأنني التقيتك».

ثم ركعت على ركبتها، وفتحت ذراعيها للطفلة، قائلة بنعومة: «مرحباً يا أختي».

لربما تعرّفت الطفلة على عينين زرقاوين، بزرقة عينيها، أو لربما أن القلوب تدرك هذه الأشياء. مهما يكن الأمر، مشت الطفلة مباشرة إلى ذراعي بوبي، وكأنها انتظرت طيلة حياتها القصيرة للقاء النصف الآخر من قلبها.

قال جايسون بنعومة: «أوه! من هي هذه الفتاة، بحق السماء؟».

ألقت ليندا نظرة على جايسون. كان يحدق بترايسي أديسون، بنظرة لا تشبه أبداً تلك التي نظر بها إلى بوبي. بدا جايسون كرجل قد رأى شيئاً لم يتوقع أبداً أن يراه، ولم يتخيل يوماً أنه حقيقي وموجود. بدا كأنه شاهد سانتاكلوز يهبط عبر المدفئة، أو أنه رأى بقرة تقفز من فوق القمر. سار جايسون خارجاً من المطبخ متوجهاً إلى الباب الرئيسي. أمسك بيد ترايسي، فتساءلت ليندا إذا ما كان سينحني ليقبل يدها! عرّفها بنفسه قائلاً: «أنا جايسون».

بالرغم من أن جايسون استفاق من نشوته الأولية، إلا أنه بقي ممسكاً بيد ترايسي، لفترة طويلة نسبياً، أما هي فراحت تنظر إليه وكأنها لا تريده أن يفلت يدها.

كان ريك قد انتقل إلى جانب ليندا، ووضع يده على ظهرها قائلاً: «حسناً، حسناً! من المؤكد أن هذا الأمر لم يخطر ببالنا».

دفع ريك ليندا إلى الأمام لتقابل ترايسي. لم يكن الأمر سيئاً كما توقعته في حقيقة الأمر، بل لم يكن سيئاً على الإطلاق. شعرت بيد ترايسي باردة من التوتر، وتمنت أن تبث في هذه الفتاة حرارة الأمان.

جولة أخرى على البيت انطلقت، لكن هذه المرة كان جايسون هو الدليل، متنعّماً بروعة إعجاب ترايسي بعمله.

نادتهم ميلدريد لتناول العشاء، فذهبوا وجلسوا في غرفة الطعام الرسمية الكبيرة. قام ريك بتقطيع الحبش، وبدا الأمر برمته جميلاً، حيث دارت الأحاديث خفيفة مرحة. أما أنجلينا فرمت عنها كل الخجل الذي غمرها في الدقائق العشر الأولى، وأخذت تصدر الأصوات مع بوبي. الكلب أخذ بالأنين من الشرفة الخارجية، وميلدريد تذكرت الأيام الخوالي. أما ترايسي فبدت خجولة جداً بوجود جايسون إلى جانبها حتى إنها كادت تختنق بطعامها.

وبعد أن تناولوا كميات كبيرة من الطعام، قرّروا تأجيل الحلوى إلى وقت لاحق. قال لهم جايسون بأن لديه كرة في شاحنته، واقترح عليهم الخروج ولعب الكرة ليساعدهم ذلك على هضم الطعام الذي أكلوه، ثم أضاف: «بإمكاننا إطلاق سراح ذلك الكلب المسكين ليأتي ويلعب معنا».

قالت ليندا: «أنا سوف أذهب لتنظيف المطبخ».

أجابها جايسون: «كلا، لن تقومي بذلك يا ماما. نحن بحاجة إليك في الفريق».

اندفع الجميع من الباب الخلفي إلى الخارج، وفجأة وجدت ليندا نفسها وحدها مع ترايسي. لم يكن الأمر محض صدفة، بل تعمدت ترايسي إيجاد هذه اللحظة.

قالت ترايسي لليندا بنعومة: «أنا آسفة، بشأن أختي وزوجك».

لاحظت ليندا أن تريسي تخفي في داخلها قوة تفوق الجبن الذي يظهر عليها، ففي داخلها ومضات من الشجاعة تظهر بوضوح. شجاعة كافية لمعالجة غرابة الموقف الذي هي فيه. تلك الفتاة هي في مثل سن بوبي أو أكبر بقليل، وعلى الرغم من ذلك فهي تقوم بتربية طفلة أختها. ومما رأته ليندا، قامت ترايسي

بعمل جيد.

لمست ليندا ذراع ترايسي قائلة: «شكراً لك».

مع إنه أمر بسيط... بضع ثوانٍ وبضع كلمات، لكنه كافٍ لإزالة المزيد من الهشاشة التي أحسّتها ليندا في داخلها. تبعت ليندا وترايسي الجميع إلى الخارج. الأرض كانت مفروشة بالأوراق المتساقطة من الأشجار، وأشعة شمس الخريف انسابت مشعة من خلال أغصان الأشجار العارية. جايسون وضع أنجلينا على كتفيه واختار ليندا كعضو في فريقه، هذا الأمر جعلهم في مواجهة ريك وبوبي وترايسي.

- آه، الآن فهمت الخطة!

قالت ليندا ذلك مخاطبة جايسون، وهي تلهث هاجمة عبر المرج ومعها الطابة، فيما يرافقها جايسون لصد الهجمات، ثم أكملت: «لقد وجدت طريقة يا جايسون لجعل الفتيات يركضن خلفك!»

بدا الأمر هستيرياً بحق، فيما أخذ الكلب بمساندة الفريقين دون تمييز وبنفس الزخم والنشاط. أضاعوا في حساباتهم من هو الرابح، ولم تستطع ليندا مقاومة الضحك.

كان ريك منافساً شرساً، وبعد طول وقت استوعب أخيراً أنه لن يستطيع معرفة الفريق الرابح، فاستسلم في النهاية. مدّ ريك يده وأمسك بيد ليندا، ثم غادرا تاركين الشبان ليلعبوا وحدهم. اطمأنوا على ميلدريد، فوجدوها غافية على الكنبة في غرفة الجلوس.

سألت ليندا ريك: «هل تريد أن نقوم بتنظيف المطبخ؟»

- كلا، باستطاعته الانتظار.

يدها كانت ما تزال في يده، فجلسا على الأرجوحة الهزّازة الجميلة الطراز، التي وضعها ريك على زاوية الشرفة. راقبا جايسون والفتيات والكلب يركضون لبعض الوقت إلى أن شعروا بالإنهاك هم أيضاً. أخذت بوبي الطفلة من يدها وراحت تستكشف وإياها كومة من الأوراق، وسرعان ما علت صرخات المرح والبهجة من تحت الكوم الحمراء والبرتقالية.

جلست ليندا على أرجوحة شادها ريك من دولاب قديم.

- متى وجدت الوقت لتقوم بذلك؟

- لقد أصرت ميلدريد على وضعها.

- همم. أنا متفاجئة!

- تكلمي مع ميلدريد، فهي التي تضع القواعد هنا.

ضحكت ليندا لقوله، ثم نظرت ثانية إلى ابنتها وهي تلعب بالأوراق مع أنجلينا، كما نظرت إلى جايسون وهو يتأمل ترايسي. ظهر شعور جميل قوي مطبوع على ملامح وجهه الشاب الجميل. علا من غرفة الجلوس صوت شخير صاخب، فقهقه ريك وليندا ضاحكين. ثم توقف الزمن...

نظرت ليندا إلى المشهد في الفناء أمامها، شاعرة بيد ريك وهي تمتد لتحضن يدها، شعرت كأن أشعة ذهبية تغمر هذا اليوم وتخضّبه بلونها. في وقت ما ظنت أن حياتها تهشمت بشكل لا يقبل التصليح. لكن وهي تجلس هنا، مستمتعة ببساطة اللحظات، شيء ما تغيّر في داخلها.

ألم تكن هذه هي بالضبط الحياة التي تمنتها يوماً لذاتها؟ ولاثم عيد الشكر محاطة بالعائلة... صرخات الأطفال... الكبار والصغار مجتمعون معاً... تقبل الحياة بمدها وجزرها الشبيه بتدفق النهر... الحب والضحك والتقبل والأمل، كلّها مجتمعة وتضّج في الهواء... الماضي والحاضر والمستقبل كلها مجتمعة سوياً في هذا المنزل الرائع، منعكسة في الحكمة المتجمعة للكبار والتفاؤل والأمل الموجود عند الشبان...

انفجرت أنجلينا خارجة من تحت تلّة من الأوراق، وهي تصرخ مبتهجة. ابتدأت الدموع بالتجمع في عيني ليندا عندما رأت بوبي وهي ترفع الطفلة: طفلة بلير وأخت بوبي الصغيرة! ترفعها عالياً فوق رأسها، وتدور بها مؤرجحة إيّاها. لطالما حلمت ليندا بأخوة لابنتها، حلمت بأن تتشارك بوبي وإياهم لحظات كهذه اللحظة.

هذه هي المعجزة إذاً! من دون كلّ مخططاتها، من دون تلاعبها بالحياة لتجعلها كاملة. كلّ ما تمنته في حياتها، أتى إليها بهدوء، ومن باب جانبي. الأمر

الذي خالت ليندا أنه سوف يدمرها، خيانة زوجها لها، هو الذي هيّأ لهذه اللحظة التي تعيشها اليوم.

نظرت ليندا إلى الرجل الشجاع الصادق النزيه الذي يجلس قربها. اقتربت منه أكثر، وبنعومة بالغة، رطبت رؤوس أصابعها وضغطت على خصلة الشعر التي انتصبت إلى الأعلى في مؤخرة رأسه.

تلك المبادرة الصغيرة بدت تملكية وحميمية بشكل مفاجئ. حقيقية لدرجة غير معقولة. تحولت العبرات على وجنتيها من رذاذ إلى طوفان. انهارت الجدران كلّها والمياه الشافية طافت خارجة من وراء تلك الجدران. بكت ليندا كثيراً حتى بلّك قميص ريك.

لم يطلب منها ولو مرة أن تتوقف عن البكاء، بل احتضنها وانتظرها حتى تنتهي. انتظرها كما فعل دوماً. وكأنه كان مدركاً طيلة الوقت لشخصيتها الحقيقية، حتى عندما لم تكن هي نفسها تعلم حقيقتها.

وجدت ليندا القطعة الناقصة من الأحجية. أدركت ما الذي يجب عليها فعله لتكون جديرة بريك. في داخل قلبها، وبينما نظرت إلى الولدين الجميلين اللذين أعطاهما زوجها إلى العالم، قامت ليندا بفعل الشيء الذي لم تتخيل أنها ستفعله يوماً: غفرت لبلير أخطاءه، كما غفرت لنفسها.

تساءلت ما إذا كانت كلّ لحظة معاناة ومذلّة، كلّ دقيقة ألم وعذاب عانت منها في حياتها تقودها لتصل بها إلى هنا. إلى هذه اللحظة بالذات... حيث استطاعت بعد طول انتظار أن ترى الأمور بوضوح، حيث استطاعت أخيراً أن تفتح قلبها بكامله لشخص آخر، وهي تعرف تماماً من هو هذا الشخص الآخر.

فتحت ليندا قلبها بكامله لريك. وعندما عانقها استجابت لعناقه كما تاقت أن تفعل منذ وقت طويل. بادلته العناق حتى انقطعت أنفاسها، وإلى أن شعرت روحها العطشى بالامتلاء، وطابت جراح قلبها. قطعا عناقهما فقط عندما سمعا أنّة قربهما، فقالت ليندا بانفعال: «كلب غبي!».

قال لها ريك بنعومة: «لقد قررت ماذا سأسميه».

- أحقاً؟

- سوف اسميه فينكس.

هزّ الكلب ذيله بتحبب.

همست ليندا: «فينكس!»

وما لبثت أن وجدت كفين ضخمين في حضنها، حيث حشر الكلب جسمه بينها وبين ريك، وأخذ يلعق الدموع عن وجهها.

أعاد ريك التأكيد: «سأدعوه فينكس، تيمّناً بالطائر الأسطوري الذي يقوم من تحت الرماد والدمار، فينهض بشكل أقوى وأفضل ليبقى رمزاً من رموز الأمل».

- فينكس!

سمع ريك وليندا صوتاً نزقاً يقول: «إنه اسم سخيف ليطلق على كلب».

لكن الكلب الذي بدا كأنه عرف اسمه ابتدأ بالركض باتجاه ميلدريد، التي وقفت في الممر.

- إذا كنتما قد انتهيتما من العناق، باستطاعتنا الآن أن نتناول الحلوى.

قالت ميلدريد ذلك بصوت صارم، وهي تربت على عنق الكلب ظانة أنهما لا ينظران إليها، ثم ابتسمت.

لم تستطع ليندا إلا أن تلاحظ كم تغير وجه ميلدريد منذ لقائهما الأول، لقد أصبح أرق وألطف. ميلدريد كانت بحاجة إلى ما يحتاجه الناس كلهم: مكان لتنتمي إليه. وهذا المكان يدعى العائلة. لكن ما الذي يعنيه هذا المكان بالذات؟ هناك عائلة أولى وعائلة ثانية وحتى عائلة ثالثة. كما يوجد زوج سابق وزوجة سابقة. هناك أنصاف الشقيقات والأشقاء والأخوة والأخوات بالتبني. هناك أشخاص أيتام كما أن هناك العائلات ذات القلب الطيب، إنهم أشخاص قد اجتمعوا سوياً بسبب ظروف معينة، واستمروا مع بعضهم بسبب الحب.

لربما، من الأفضل في النهاية، ترك هذه الأمور كلها تحت رعاية السماء!

بعد وقت طويل، كان المنزل قد فرغ، ولم يعد فيه سوى ريك وليندا. جايسون أخذ ترايسي وأنجلينا إلى منزلهما، وبوبي عرضت على ميلدريد أن توصلها مستخدمة سيارة أمها، بعد ذلك قالت إن لديها بعض الأصدقاء الذين

تريد زيارتهم.

همس ريك في أذنها قائلاً: «أنا لم أجرب ذلك المغطس بعد».

- ألم تجربه؟

قالت ليندا مدركة أنها كانت تهمس أيضاً.

- كلا.

- هل أعتبر هذه دعوة؟

- أريد أن أشاركك ذلك المغطس يا ليندا، وأشاركك أيضاً سريري، وهذا المنزل، وكلبي، وميلدريد...

توقف ريك للحظة عن الكلام، ثم أكمل بهدوء: «...أريد أن أشاركك حياتي».

- حسناً! ومن أين تريد أن نبدأ؟

أدركت ليندا أنها تبدو توّاقة جداً.

ضحك ريك قائلاً: «تعجبني حماستك».

حسناً! إنها فعلاً تنتظر بشوق اكتشاف ذلك الجزء المتحمس منها، لذا جاءت كلماته التالية لتعيدها إلى الواقع.

قال لها بنعومة: «أريد أن نبدأ من حفل الزفاف».

بطريقة ما، وجد ريك متعثراً الطريقة الصحيحة لبدء الأمور. وأحست ليندا بذراعه المتملكة تلتف حولها. شعرت بالحب والقوة، وبنعمة الشفاء والتقبل والغفران. شعرت كما لم تشعر يوماً في حياتها.

تذكرت الاستلقاء على عشب أيلول، من مدة ليست طويلة، محاولة تحليل معنى الرسالة التي حملتها رؤيتها لذلك الطائر النادر الجميل. طائر الكركي الناعق وهو يحدد مساره باتجاه نجمة الصباح.

لقد أدركت في ذلك الصباح أنه كان يدعوها لتتبع خطواته، لكي تكون أعظم مما كانت عليه حتى تلك اللحظة. أدركت روحها الرسالة التي بُعثت لها: أن تتقبل نفسها أكثر، أن تقبل كلّ الهدايا التي يقدمها الكون لها، وأن تراقص الحرية.

اعتقدت طيلة ذلك الوقت أنه دورها حان الآن لتقوم بمطاردة النجوم.

والآن... رأت ليندا أن الأمر مغاير لاعتقادها.

لم يكن الآن دورها لتطارد الحلم، بل حان دورها للوصول إلى حلمها.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة